جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
قسم الدراسات القرآنية والفقه

المنهج القرآني فِي إثبات العقيدة عند مفسري الإمامية

– عَرْض وَتحلِيل

رسالة مقدمة إلى مَجلِس كُليَّة اَلعُلوم الإسلاميَّة / جامعة كربلاء
وهي جُزْء مِن مُتطلَّبات نَيْل درجة الماجسْتير فِي الشَّريعة والعلوم الإسلاميَّة

كُتِبَتْ من قبل الطالب
حيدر حسين عباس جابر
إشْرَاف
أ.م. د. أسماء قاسم محمد

١٤٤٥هـ جمادي الثانية ٢٠٢٤م يناير

الآية القرانية

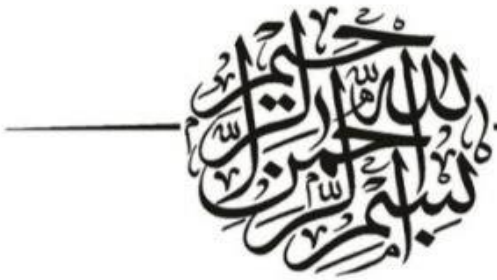

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . الروم: ٣٠

صدق الله العلي العظيم

م / ترشيح رسالة للطبع

نظراً لإنجاز فصول ومباحث الرسالة الموسومة (المنهج القرآني في إثبات العقيدة عند مفسري الإمامية ـ عرض وتحليل) لطالب الماجستير (حيدر حسين عباس جابر) فإني أرشحها للطبع .

التوقيع :

المشرف : أ.م.د اسماء قاسم محمد

مكان العمل : جامعة كربلاء

التاريخ : ٢٥/٤/٢٠٢٤

م / أقرار مشرف

أشهد أن الرسالة الموسومة (المنهج القرآني في إثبات العقيدة عند مفسري الأمامية ـ عرض وتحليل) التي قدمها طالب الماجستير (حيدر حسين عباس جابر) قد تم إعدادها تحت أشرافي في جامعة كربلاء ـ كلية العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية .

التوقيع :

المشرف : أ.م.د اسماء قاسم محمد

مكان العمل : جامعة كربلاء

التاريخ : ٣٠ / ٤ / ٢٠٢٤

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع :

الأسم : أ.د محمد ناظم محمد الجبوري

التاريخ : 30 / 9 / 2024

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة الطالب/ـــه ( ) الموسومة

بـ (المنهج القرآني في تقرير العقيدة عند مفسري الإمامية عرضا وتحليل) وقومتها لغوياً وأجد أنها صالحة للمناقشة .

التوقيع:

المرتبة العلمية : مدرس دكتور

الاسم : م. د. هيثم رشيد حميد

مكان العمل : جامعة كربلاء/كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٠٢٤/١/٣١

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أنّنا اطلعنا على هذه رسالة الماجستير الموسومة ب **(المنهج القرآني في إثبات العقيدة عند مفسري الإمامية - عرض وتحليل)** وناقشنا الطالب/ة **(حيدر حسين عباس جابر)** في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنّها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل شهادة الماجستير؛ في الشريعة والعلوم الإسلامية.

أ.م. د حسام علي حسن العبيدي
جامعة الكفيل
عضواً

أ.م.د. خضير جاسم حالوب
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
رئيساً

م.د. مواهب صالح مهدي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضواً

أ.م.د. أسماء قاسم محمد
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضواً ومشرفاً

صُدِّقتْ في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التوقيع :
الاسم : **أ.د. محمد حسين عبود الطائي**
العميد

التاريخ : ٥/٥/٢٠٢٠

الإهداء

إلى ...

من بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة

إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ، وسيد الخلق أجمعين ، رسولنا الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

إلى ...

حامل عبء الولاية الكبرى ، وسيد الأوصياء ، ومحبوب قلوب الورى أسد الله الغالب علي أبن أبي طالب (عليه السلام) .

إلى ...

سادتي وأئمتي وقادتي وقدوتي ، أهل بيت العصمة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي والتنزيل (عليهم السلام) .

إلى ...

من صان المقدسات والأوطان والأعراض بفتواه ، بقية السلف الصالح ، صالح بعد صالح ، المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني (دام ظله) .

إلى ...

روح والدي ووالدتي وأخي الشهيد ... أهدي لهم هذا العمل ... راجياً القبول .

شكرٌ وعرفانٌ

انطلاقاً من الآية القرآنية التالية: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [1]، أتقدمُ بخالصِ الشكر وعظيم الأمتنان إلى كلُ من ساهم في إتمام هذه الرسالة ،وساندني ومدّ يدّ العون لي ، وأخصُ بالذكر أستاذتي المشرفة الفاضلة الأستاذ المساعد الدكتور**(أسماء قاسم محمد)** التي لم تدّخرْ جهداً ولم تبخل عليّ بالنصح والإرشاد طول فترة كتابة الرسالة والتي كان لتوجيهاتها السديدة الأثر الكبير في ظهور هذه الرسالة بهذا الشكل فجزاها الله عني خير الجزاء .

كما وأتقدمُ بوافرِ الشكرِ والامتنان إلى كليةِ العلومِ الإسلامية في جامعة كربلاء متمثلة بعميدها الأستاذ الدكتور **(محمد حسين عبود الطائي)** ، لعنايته الأبوية خلال مدة الدراسة ولاسيما خلال فترة إنجاز الرسالة ، كما وأشكر السيدين الفاضلين المعاونين العلمي والأداري ، كما أبعث شكري وتقديري وأمتناني إلى جميع أساتيذي في قسم الدراسات القرآنية والفقه الذين تتلمذتُ على أيديهمِ ، وعلى رأسهم أستاذي الفاضل الوقور الأستاذ المساعد الدكتور **(محمد ناظم المفرجي)** رئيس قسم الدراسات القرآنية والفقه ، فجزاهم الله عني أفضل وأحسن وأكمل وأفى الجزاء .

كما لايفوتني أن أتقدمَ بموفور الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الدكتور**(ضرغام كريم كاظم الموسوي)** الذي كان الداعم الأول لي وصاحب الفضل عليّ منذُ الخطوة الأولى ، فاليوم ما نراه من عمل مكتوبٍ إنّما هو من بركات علمه ، فهو صاحب البذرة الأولى ألاّ وهي اختيار عنوان الرسالة ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

ولايفوتني أنْ أتقدمَ بشكري وتقديري إلى كُلّ مِنَ قْدّم لَي يدّ العون من خلالِ النصيحة والمشورة العلمية ، وساندني وكان ملاذي ومرجعي وأخصُّ بالذكر كُلّ من الأستاذ الدكتور **(ناهدة عبد الجليل الغالبي)** والأستاذ المساعد الدكتور **(كاظم الفتلاوي)** والأستاذ المساعد الدكتور**(عمار محمد حسين الأنصاري)** والأستاذ الدكتور **(رؤوف الشمري)** والعلامة الشيخ **(حميد العارضي)**، الذين غمروني بعطفِهم ونصحِهم ومؤازرتِهم الدائمة لي فشكراً لسعةِ صدرهم لي ، وشكراً لما قدموه لي من توجيهاتٍ سديدةٍ وصائبة ساهمت وساعدت في إنضاج البحث بهذا الشكل ، فلهم الشكر الجزيل والامتنان العظيم ، وكذلك

---

[1]) سورة إبراهيم : آية (٧) .

أتقدم بشكري وتقديري للسيد الخبير اللغويّ والسيدين الخبيرين العلميّين على ما بذلوه من جهود قيّمة في سبيل تقويم الرسالة ، والشكر موصول أيضاً لأعضاء لجنة المناقشة الموقرين على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة .

وكذلك جميل الشكر والامتنان إلى القائمين على المكتبات التي استفدْتُ منها في إنجاز بحثي لاسيما مكتبة كلية العلوم الإسلامية والمكتبة المركزية والمكتبات في محافظة النجف الأشرف وخاصة مكتبة الروضة الحيدرية ومكتبة الإمام الحكيم ومكتبة أمير المؤمنين (عليه السلام) ومكتبة الإمام الحسن (عليه السلام) ومكتبتي الروضة الحسينية والروضة العباسية في كربلاء المقدسة.

وفي الختام شكري وتقديري لكل من كان داعماً لي ومتفضلاً عليّ ، وإن كان بالدعاء سائلاً المولى ـ عزوجل ـ أن يجزيهم عني أفضل الجزاء ، وآخر دعوانا أنْ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الباحث

تهدف الدراسة إلى بيان المناهج القرآنية لإثبات العقيدة الإسلامية كما بينها مفسرو الشيعة الإمامية، مثل المنهج الفطري والعقلي وغيرها من المناهج الأخرى، وكذلك سعى البحث في الكشف عن أهم المناهج التفسيرية التي أستعان بها مفسرو الإمامية، لإثبات العقيدة في كتبهم التفسيرية، كالمنهج النقلي والعقلي .

حيث استطاعت الدراسة ـــ بحسب الطاقة البشرية ـــ إظهار الدور الحقيقي والمهم للنصوص القرآنية والروائية في إثبات العقائد، وهذا بخلاف المنهج السائد عند علماء الكلام، فعند مراجعة كلماتهم ، ستجدهم أنهم يعتمدون اعتماداً كلياً على العقل في التأسيس للمنظومة العقدية ، ولذلك حاول البحث بما يملك من أدوات، إبراز أثر النصوص القرآنية والروائية وبيانها في إثبات العقائد الصحيحة الحقة .

وتتمحور مشكلة البحث إن متكلمي الإمامية قد حصروا الوصول إلى العقيدة عن طريق الدليل العقلي فقط ، فهل من الممكن الوصول إليها عن طريق الدليل النقلي والمتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ؟ وإثبات عكس ما توصلوا إليه ؟ أو لايمكن ذلك .

وقد أستعمل البحث؛ المنهجيين التحليلي والوصفي في الإجابة عن مشكلة البحث .

أما إبرز العناوين التي تناولها البحث فكانت على النحو الآتي :

١ـ المناهج القرآنية وأثرها في إثبات العقيدة .

٢ـ نشأة علمي التفسير والعقيدة ومنهج مفسري الإمامية وأهميتهما في إثبات العقيدة .

٣ ـ إثبات العقيدة في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية .

وأما أبرز النتائج التي توصل إليها البحث :

١ ـــ استعمال القرآن الكريم عدد من المناهج لإثبات العقيدة، كالمنهج الفطري والعقلي والقصصي .

٢ ـــ سعى مفسرو الإمامية إلى إثبات العقيدة الإسلامية ، عن طريق المناهج التفسيرية النقلية والعقلية .

الكلمات المفتاحية : المنهج ، القرآن ، الإثبات ، العقيدة ، التفسير ، الإمامية .

قائمة المحتويات

الموضوع	من	إلى
الآية الشريفة		أ
الإهـــــداء		ب
شكر وعرفان		ت
الخلاصة		ج
المحتويـات	ح	د
المـقـدمـــة	١	٧
المبحث التمهيدي : الأطار النظري لمفردات العنوان	٨	٢٧
المطلب الأول : المنهج لغة واصطلاحا	١٠	١٣
المطلب الثاني : القرآن لغة واصطلاحا	١٤	١٦
المطلب الثالث : الإثبات لغة واصطلاحا	١٧	١٨
المطلب الرابع : العقيدة لغة واصطلاحا	١٩	٢٠
المطلب الخامس : التفسير لغة واصطلاحا	٢١	٢٢
المطلب السادس : الإمامية لغة واصطلاحا	٢٣	٢٧
الفصل الأول : المناهج القرآنية وأثرها في إثبات العقيدة	٢٨	٧٥
المبحث الأول : المنهج الفطري	٣٠	٤٥
المطلب الأول : الفطرة لغة واصطلاحا	٣٠	٣٤
المطلب الثاني : الفطرة في السنة الشريفة	٣٥	٣٦

المطلب الثالث : تطبيقات المنهج الفطري على العقائد في القرآن الكريم	٣٧	٤٥
المبحث الثاني : المنهج العقلي والجدلي	٤٦	٦٤
المطلب الأول : المنهج العقلي	٤٦	٥٨
المطلب الثاني : المنهج الجدلي	٥٩	٦٤
المبحث الثالث : المنهج القصصي	٦٥	٧٥
المطلب الأول : القصة في اللغة والقرآن الكريم	٦٥	٦٧
المطلب الثاني : خصائص القصة في القرآن الكريم	٦٨	٧٠
المطلب الثالث : تطبيقات المنهج القصصي على العقائد في القرآن الكريم	٧١	٧٥
الفصل الثاني : نشأة علمي التفسير والعقيدة ومنهج مفسري الإمامية وأهميتهما في إثبات العقيدة	٧٦	١١٨
المبحث الأول : نشأة علمي التفسير والعقيدة وأهميتهما	٧٨	١٠١
المطلب الأول : نشأة علم التفسير وأهميته عند المسلمين	٧٨	٩٤
المطلب الثاني : علم العقيدة : اسماؤه ونشأته وأهميته	٩٥	١٠١
المبحث الثاني : منهج مفسري الإمامية في إثبات العقيدة	١٠٢	١١٨
المطلب الأول : نشأة المناهج التفسيرية والعوامل التي أدت إلى ظهورها	١٠٣	١٠٥
المطلب الثاني : المناهج التفسيرية المعتمدة في إثبات العقيدة	١٠٦	١١٨
الفصل الثالث : إثبات العقيدة في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية	١١٩	١٩٥
المبحث الأول : عقيدتي التوحيد والعدل في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية	١٢١	١٤٥
المطلب الأول : عقيدة التوحيد في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية	١٢١	١٣٢
المطلب الثاني : عقيدة العدل في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية	١٣٣	١٤٥
المبحث الثاني : عقيدتي النبوة والإمامة في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية	١٤٦	١٧٣

المطلب الأول : عقيدة النبوة في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية	١٤٦	١٦٢
المطلب الثاني :عقيدة الإمامة في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية	١٦٣	١٧٣
المبحث الثالث : عقيدة المعاد في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية	١٧٤	١٩٥
المطلب الأول :المعاد لغة واصطلاحاً	١٧٤	١٧٥
المطلب الثاني : المعاد عند مفسري الإمامية	١٧٦	١٧٩
المطلب الثالث : إثبات المعاد وكيفيته عند مفسري الإمامية	١٨٠	١٨٩
المطلب الرابع : الرجعة عند مفسري الإمامية	١٩٠	١٩٥
الخاتمة	١٩٦	١٩٩
قائمة المصادر والمراجع	٢٠٠	٢١٦
الخلاصة باللغة الأنكليزية	B	A

المُقَدِمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على النَّبِيِّ الأكْرمِ الصادقِ الأمينِ وآلِه الطيبين الطاهرين .

وبعدُ ....

يمثل القرآن الكريم أحد المصادر الرئيسية ، لمجموعة من العلوم والمعارف الإنسانية، وقد حظي باهتمام بالغ من قبل العلماء والمفسرين، هذا الأمر دفعهم إلى الغوص في أعماقه لاستكشاف أغواره وأسراره، فعملوا بكل ما بوسعهم ــ بحسب الطاقة البشريةــ في استظهار آياته وسوره المباركة، ومن منطلق أن فيه تبيان كل شيء ، فكانت جهودهم مضنية في خدمة كتاب الله العزيز، فنجد الفقيه يذهب إليه من أجل انتزاع الحكم الشرعي منه، وكذلك المتكلم نجده يحاول استنطاق الآيات الكريمة للخروج بمحصلة معينة سواء كانت في مسألة التوحيد أو غيرها، فتكون العقيدة التي توصل إليها هي عقيدة قرآنية صحيحة، لم تخضع لرواسب الجهل وهوى النفس، فالقرآن كما هو معروف كتاب هداية من الضلال فهو الذي يخُرج الإنسان من ظلام الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد، إن كل ماجاء في الكتاب المجيد من آيات وسور، وبالتحديد في الموضوعات العقائدية، تتفق تماماً مع ماجاء به العقل الذي أودعه الله تعالى لدى الإنسان، فلم يأتِ القرآن الكريم بشيء يخالف فيه العقل لأن كليهما من منبع واحد وهو العلي القدير، وهذا أنعكس على أن الاستدلال على العقائد الحقة، لايتم فقط عن طريق العقل فهويحتاج إلى الكتاب العزيز لتصحيح مساراته، وإنما يمكن لنا الجزم في القول إن القرآن الكريم، يشارك العقل في الوصول إلى العقيدة الخالصة والصحيحة بحسب المنطلقات العقلية المنطقية الثابتة .

أهمية الموضوع وأهدافه :

لقد اعتنى القرآن الكريم كثيراً بالجانب العقائدي، وبالخصوص في قضية إيمان الفرد وتوحيده لله تعالى، فالذي يطالع آيات الكتاب المجيد، سيلاحظ أن المحور الذي دارت عليه جميع النصوص القرآنية، هي مسألة الإيمان به سبحانه ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر، هي أمور قد ركز عليها القرآن من أجل ترسيخها في النفوس، فلا نجد آية من آيات القرآن الكريم تخلو من أحد هذه العقائد، لمّا تمثلهُ هذه المسائل من أهمية بالغة في حياة الفرد، فكل

الأعمال والعبادات سوف لن يكون لها أثر ومعنى مالم تكن مرتبطة بإيمان حقيقي مرتكز على أسس صحيحة نابعة من فطرة سليمة مؤمنة بخالق السماوات والأرض وكل ما ينتج عنه، وبهذا الصدد يقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : «... أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُه ... » سبحانه وتعالى [1].

أما الهدف المنشود من هذه الدراسة، فهي محاولة الكشف عن مرادات الله ـ عزوجل ـ بقدر الطاقة البشرية، وكيفية تعاطي القرآن الكريم مع موضوعة العقائد، وتحليل تلك الخطابات القرآنية العقائدية، مستندين في ذلك إلى اقوال مفسري الإمامية .

سبب إختيارِ الموضوع :

إن سبب اختيار هذا الموضوع، الذي جاء بعنوان (المنهج القرآني في إثبات العقيدة عند مفسري الإمامية ـــ عرض وتحليل) هو سعي الباحث مع ما يمتلك من طاقة ومقدرة محدودة وبسيطة، في الكشف عن النفائس القرآنية بما يخص الجانب العقائدي، والتعرف عن كثب على المنهج الذي أستعمله القرآن الكريم لإثبات العقيدة الحقة، وترسيخها لدى الناس .

وكذلك التعرف على طريقة مفسرو الإمامية في إثبات العقائد الإسلامية ، وعن المناهج التفسيرية التي وظفوها في سبيل ذلك .

مشكلة البحث :

تتمحور مشكلة البحث حول محورين :

الاول: إن في القرآن الكريم مناهج خاصة للوصول إلى إثبات العقيدة، فما هي تلك المناهج ؟

الثاني : إن المتتبع لإراء متكلمي الإمامية، يجد إنهم قد حصروا الوصول إلى العقيدة عن طريق الدليل العقلي فقط ، فهل من الممكن الوصول إليها عن طريق الدليل النقلي والمتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية ؟ وإثبات عكس ماتوصلوا إليه ؟ أو لايمكن ذلك .

---

[1]) الشريف الرضي : أبو الحسن محمّد الرضي بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦ هـ) ، نهج البلاغة (خطب الإمام علي ـ عليه السلام ـ) ، تح : صبحي الصالح ، ط١ ، ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ، ص ٣٩ .

وأما حدود البحث فأنّه سيحاول تسليط الضوء على أبرز التفاسير لدى الشيعة الإمامية، وركز على اختيار بعض كتب التفسير عندهم، بحكم أنها أعطت للجانب العقائدي مساحة كبيرة في طياتها، كتفسير التبيان لشيخ الطائفة، ومجمع البيان للطبرسي، والميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي ، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن للسيد السبزواري ، وتفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي .

الدراسات السابقة :

بعد الاطلاع على ماكتب في هذا الموضوع، لم أجد أحداً من الباحثين قد خاض في هكذا موضوع، ولكن توجد بعض الدراسات المشابهة له وهي قليلة جداً، هذا في الإطار الخاص، وأما في الإطار العام فهناك كم هائل من الرسائل والأطاريح والبحوث المنشورة في المجلات والمستوعبات العالمية، قد كتبت عن التفسير على نحو خاص، وعن العقيدة كذلك، وعن التفسير والعقيدة معاً، وسنورد بعض الدراسات المشابهة لموضوع البحث .

١ـ (البحث العقائدي عند مفسري الإمامية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين) وهي أطروحة دكتوراه قدّمها الطالب محمد عيدان محمد عليوي إلى مجلس كلية التربية ــ أبن رشد ــ جامعة بغداد، وقد بحث فيها العقائد الخمسة عند الإمامية ــ التوحيد، العدل ــ النبوة، الإمامة، المعاد ــ بتفصيلاتها الفرعية عند مفسري الإمامية في القرنين الرابع والخامس عشر الهجري، مستعرضاً أراء المفسرين في تلك الفترة عن هذه العقائد وطرق إثباتها، وكيفيتها في القرآن الكريم، ورد الشبهات التي وردت عليها، أما الدراسة مدار البحث فأنها لم تقتصر فقط على بيان أراء مفسري القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، بل سعت إلى تتبع آرائهم في جميع العصور، وكذلك أظهر البحث المناهج القرآنية التي عن طريقها تم إثبات العقيدة، في القرآن الكريم .

٢ ــ (المنهج القرآني في تأصيل العقيدة ــ دراسة تحليلية تطبيقية) للباحث يحيى آل دوخي، وهو بحث منشور في مجلة الدليل التابعة للعتبة الحسنية المقدسة، وبحث فيه عن المناهج التي جاءت في القرآن، عن طريق عرض الآيات العقائدية وتحليلها مستعيناً بالمصادر التفسيرية عند المسلمين ، فهذه الدراسة اقتصرت فقط على بيان المناهج القرآنية التي عن طريقها تم

إثبات العقيدة ، أما الدراسة مدار البحث فأنها لم تكتفي بعرض المناهج القرآنية فقط ، بل سعت لبيان منهج مفسري الإمامية في إثبات العقيدة الإسلامية لدى الشيعة الإمامية .

الصعوبات التي واجهت البحث :

لم تكن مهمتي سهلة، وأنا أكتبُ في هذا الموضوع، إذ واجهتني مجموعة من الصعوبات، كان أولها؛ أن الخوض في مسائل العقيدة عند المفسرين وأستقراء أرائهم ، ليست بالمهمة اليسيرة، فهي موضوعات تنماز بالدقة والصعوبة في آن واحد، لذلك بذل الباحث جهداً مضاعفاً في فهم تلك المسائل الاعتقادية، وأما ثاني الصعوبات التي واجهتها في البحث هي السعة الكبيرة للموضوع وتشعبه، ولاسيما أن البحث لم يُحدد بعقيدة معينة، أوبعصر من العصور بالنسبة للمفسرين، لذلك لم يسعفني الوقت في تتبع كل أقوال المفسرين في مختلف الأزمنة، لكل المسائل الاعتقادية .

منهجية البحث :

يتمثل منهج البحث على النحو الآتي:

المنهج الوصفي : وصف وتعريف كل مايتطرق إليه البحث من مصطلحات تتعلق بعلميّ التفسيروالعقيدة .

المنهج التحليلي : وظفته في تحليل اغلب الآيات القرآنية التي وردت في البحث .

أما الخطوات المنهجية المتبعة فكانت كما يلي :

١- استعمال الطريقة المنهجية الأكاديمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح .

٢ـ الاستعانة بكتب اللغة والاصطلاح لبيان المفردات والتعريف بها .

٣ - الرجوع إلى كتب الرجال والتراجم للتعريف ببعض الشخصيات والأعلام .

٤ـــــ تخريج الآيات القرآنية، مع ذكر رقم الآية واسم السورة ، وكذلك تم تخريج الأحاديث والروايات الشريفة من الكتب والموسوعات الحديثية .

٥ـــ الاقتصار على كتب التفسير عند الشيعة الإمامية قدر المستطاع في مسألة تحليل الآيات القرآنية الكريمة .

٦ـ لم يراعِ البحث مسألة الأقدم فالأقدم في بعض المواضع، وذلك بسبب أن بعض المفسرين لم يتناول الآيات المراد بحثها والاستدلال بها أو عليها بحثاً معمقاً في كتابه ، مما اضطر الباحث إلى اللجوء للتفاسير الأخرى .

٧ـــ الحيادية في الطرح، فالبحث لم ينحاز إلى طرف على حساب طرف آخر ، إنّما من يملك الدليل الأقوى يكون البحث إلى جانبه ومنحازاً إليه .

خطة البحث :

وقد ارتسمت خطة البحث على تقديم مبحث تمهيدي، تضمن الإطار النظري لبيان مفردات العنوان، وذكر بعض المصطلحات ذات العلاقة بهذه المفردات، واحتوت الرسالة على ثلاثة فصول، حرص فيها الباحث على أن يتناول في الفصل الأول المناهج القرآنية والتي عن طريقها تم إثبات العقيدة في القرآن الكريم ، فحمل المبحث الأول عنوان المنهج الفطري ، بينما تحدث المبحث الثاني عن المنهج العقلي والجدلي، فيما كان المبحث الثالث تحت عنوان المنهج القصصي ، وكان الفصل الثاني؛ لبيان نشأة علميّ التفسير والعقيدة وأهميتهما والمناهج التفسيرية المعتمدة لدى مفسري الإمامية في إثبات العقيدة، فكان المبحث الأول مشتملاً على نشأة علميّ التفسير والعقيدة وأهميتهما، أما الثاني فكان لإيضاح المناهج التفسيرية التي اعتمدها مفسرو الإمامية لإثبات العقيدة ، وأما الفصل الثالث فكان عبارة عن تطبيقات لبيان المناهج التفسيرية التي وظفها مفسرو الإمامية في التوصل إلى العقيدة الصحيحة، فقد أحتوى على ثلاثة مباحث، تناول الأول عقيدتي التوحيد والعدل، فيما كان الثاني محتوياً لعقيدتي النبوة والإمامة، وأما الثالث فقد ركز على عقيدة المعاد، وقد ذيلت الرسالة بخاتمة ضمت أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

وختاماً ... أحمدُ الله تعالى على توفيقه في إتمام رسالتي، وأساله سبحانه وتعالى أن يتجاوز عن الخطأ، فكل جهد بشري يكاد لايخلو من الزلل والخطأ، وأن يمن علينا ويتقبل منا هذا القليل في خدمة كتابه العزيز وأن يجعله لنا ذخراً في الدنيا والآخرة وصلى الله تعالى على نبينا

وشـفيعنا وحبيب قلوبنا أبي القاسـم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين (عليهم أفضـل الصـلاة وأتم التسليم) .

الباحث

المبحث التمهيدي : الإطار النظري لمفردات العنوان

المطلب الأول : المنهج لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني : القرآن لغةً واصطلاحاً

المطلب الثالث : التقرير لغةً واصطلاحاً

المطلب الرابع : العقيدة لغةً واصطلاحاً

المطلب الخامس : التفسير لغةً واصطلاحاً

المطلب السادس : الإمامية لغةً واصطلاحاً

المبحث التمهيدي

الإطار النظري لمفردات العنوان

لمّا كان من متطلبات البحث الأكاديمي تحديد مصـــطلحات البحث، وجب علينا أن نمهّد الطريق للقول في أهمّ ما يمكن أن نبحثه في هذا الموضوع، إذ لا شكّ أنّ دراسة أي أمرٍ لابدّ أن تكون عبر بوابة بيان معاني مفرداته في اللغة أوَّلًا، والاصـــطلاح ثانيًا؛ حتى تكتمل الصـــورة لدى الباحث الذي يســـعى لكشـــف النقاب عن تلك المعاني التي يرنو لدراســـتها وفق المفاهيم اللغوية والاصطلاحية .

ولذلك قسّـــمنا المبحث التمهيدي الى عدد من المطالب؛ حيث جرى في المطلب الأوّل التعريف بمفردة (المنهج) لغةً واصـــطلاحا، فيما تعرّض المطلب الثاني لبيان مفردة القرآن الكريم من الجانب اللغوي والاصـــطلاحي، وعلى هذا المنهج ســـارت الخطّة البحثية في بيان المفردات الأخرى، وهي: الإثبات، والعقيدة، والتفســـير، والإمامية، والعمل على إيضـــاح هذه المفردات لغوياً واصطلاحياً وبيان أهميتها؛ لمدخليتها المحوريّة في البحث.

المطلب الأول: المنهج لغةً واصطلاحاً:

أولاً : المنهج لغةً: عند تتبع لفظ ـ المنهج ـ في المعاجم اللغوية سنجد هناك تعريفات عدّه للمنهج وبصيغ مختلفة ذكرها علماء اللغة في تعريف المنهج، لكنّنا سنقتصر على ذكر بعضها، لكفاية المعنى، وتمام الفهم بهذا الإيجاز، الّتي منها أن المنهج: " من نهج ، والنهج الطريق ، ونهج لي الأمر : أوضحه ، والمنهج : الطريق أيضاً " [١] ، والنهج : الطريق الواضح ، قال تعالى : ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنكم شِرْعَةً ومِنهاجًا**﴾[٢] ، " والمنهاج الطريق الواضح، ونهج الطريق أبانه وأوضحه ، فالمنهج والمنهاج أي الطريق الذي استبان، وصار نهجاً واضحاً بيّناً، ونهجت الطريق إذا أبنته وأوضحته " [٣]، " فالمنهج يدل على الوضوح والاستبانة والاستقامة في الطريق " [٤]، و" النَّهْج : بفتح فسكون : وهو الطَّريقُ الواضِحُ البَيّنُ. وهو النَّهَج محرَّكةً أَيضاً. والجمع نَهْجَاتٌ، ونُهُجٌ ونُهُوجٌ" [٥] .

وخلاصة الأقوال، مما تقدّم بيانه في تعريف المنهج في قواميس اللغة, هو دلالته على الطريق الواضح المستقيم.

ثانياً : أما اصطلاحاً: فقد تعدّدت التعريفات والصياغات، واختلفت الآراء، وكثرت زوايا النظر، ممّن لهم الدراية والخبر، بمصطلح ــ المنهج ــ ، كلًّا حسب تخصّصه العلمي، ومجال بحثه، حتّى يتم تحديد الغرض من هذا المصطلح، والتعرّف عليه عن كثب، ولذا كان لزاماً علينا إيراد بعض التعريفات الشائعة والرائجة، التي نعتقد بأنّها تفي بحدود المصطلح.

---

[١] أبن فارس : أبي الحسين أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) ، معجم مقاييس اللغة ، ج٥ ، دار الفكر ، د ـ ط ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ، مادة (نَهِجَ) ، ص ٣٦١ .

[٢] سورة المائدة : من الآية (٤٨) .

[٣] الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ) ، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، لبنان ـ بيروت ، د ـ ط ، ١٩٨٧ م ، مادة (نهج)، ص٣٧٩ .

[٤] أبن منظور : محمد بن مكرم الأفريقي (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، ج٢، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، د ـ ط ،١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦م ، مادة (نهج) ، ص ٣٨٣ .

[٥] الزبيدي : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق (ت ١٢٠٥ هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٦، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ، مادة (نهج) ، ص ٢٥١ .

يُعرّف المنهج، بأنّه: " هو الطريق الّذي يؤدّي الى كشـــف الحقيقة في العلوم من خلال مجموعة من القواعد العامّة التي تسـيطر على مسـار العقل، وتحدّد عملياته، حتى يصـل إلى نتيجة معروفة " [١].

وممّا عُرّف به أيضًـا، هو: " البرنامج الذي يحدّد الطريق أمامنا للوصـول إلى الحقيقة " [٢]. وكذلك : " الطريق الواضح في التعبير عن شيءٍ ما، أو القيام بشيء ما، أو تعلّم شيءٍ ما، وفقاً لمبادئ محدّدة ونظام محّدد من أجل الوصـول الى هدف محدد" [٣]، وعرف أنه :" طريقة البحث عن الحقيقة في أي من العلوم أو في أي مجال من مجالات المعرفة البشـرية " [٤]، أو أنه " طريق نصل من خلاله الى نتيجة معينة ، حتى لو لم يتم تحديد هذا المسار من قبل تحديداً أرادياً ترويا " [٥].

ومن التعريفات الأخرى للمنهج : " أنه السلوك النظري أو العملي الذي يجب أن نتوخاه من أجل تحقيق هدف محدد " [٦].

وعرّف كذلك بأنّه: " الطريقة أو الأسـلوب أو الوسـيلة المحددة التي تؤدي الى الهدف المنشود أو الغاية المحددة " [٧].

---

[١]) بدوي : عبد الرحمن ، مناهج البحث العلمي ، وكالة المطبوعات الكويت ، ط ٣ ، ١٩٧٧ م ،ص ٥ .

[٢]) المصدر نفسه ، ص ٦.

[٣]) خياط : يوسف ، معجم المصطلحات العلمية والفلسفية ، دار لسان العرب ، بيروت ، د ـ ط ، د ـ ت ، ص ٦٩٠ .

[٤]) النشار: علي سامي ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٩ ، د ـ ت ، ص ٣٦ .

[٥]) لالاند : إندريه ، موسـوعة لالاند الفلسـفية ، تعريب : خليل أحمد خليل ، منشـورات عويدات للمطبوعات الجامعية في فرنسا ، باريس ، ط ٢ ، ٢٠٠١ م ، ص ٨٠٣ .

[٦]) سعيد : جلال الدين، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، د ـ ط ، د ـ ت ، ص ٤٥٠ .

[٧]) مجموعة مؤلفين ، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الأجتماعية ، الأشـراف العام : بوحوش عمار ، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الأستراتيجية والأقتصادية ، برلين ، ط ١ ، ٢٠١٩ م ، ص ١٤ .

وهناك من قال إنّه : " مجموعة من القواعد العامة التي يتبنّاها الباحث في تنظيم أفكاره أو معلوماته؛ من أجل أن توصله الى النتيجة المطلوبة " [١] .

وعرّف أيضًا هكذا: " خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مشكلة أو أكثر، ومتابعتها للوصول الى نتيجة " [٢]. أو هو: " فن التنظيم السليم لسلسلة من الأفكار المتعددة إما من أجل الكشف عن الحقيقة غير المعروفة لدينا ، أو لإثبات حقيقة لا يعرفها الآخرون " [٣]. أو هو: " طريقة الاستدلال أو الكيفية المعتمدة في الاستدلال على إثبات المطلوب، لذلك نجد من يعتمد الأدلة العقلية في إثبات المطلوب منهجه عقلي كما في فلسفة المشاء، أو الذي يعتمد الأدلة النقلية فمنهجه نقلي ومن يعتمد التجربة فمنهجه في تثبيت ما ادعاه تجريبي، وهذا التعريف نجده يعتمد على إقامة الدليل، وأنّ أصحاب هذه المناهج المختلفة يقيمون الدليل على مدّعاهم فمع غياب الدليل يكون هناك غياب للمنهج، فالمنهج يراد به الدليلية بنحوٍ ما " [٤]. وهذا ينسجم مع منهج القرآن الكريم، فنراه مرّة يقدّم الأدلة العقلية فيكون منهجه عقلي وأخرى يقدم أدلة قصصية فيكون منهجه قصصي وهكذا.

والنتيجة المستقاة من التعريفات المتقدمة للمنهج، هي أن التعريفات اختلفت أو تعددت، فانها تشترك بالغرض الأساسي منها؛ وهو الكشف او الإيصال الى الحقيقة التي يستقصيها الباحث في بحثه، مع اختلاف الأدوات وتعدّد الطرق التي يسلكها؛ لكي يصل إلى هدفه المنشود وهو بيان الحقيقة المرجوّة من وراء بحثه، ويمكن لنا جمع كلّ هذه التعريفات بتعريف يجمع بينها؛ لأنّها تشترك في البدايات والنهايات، حيثُ لم يختلف المعنى الاصطلاحي عن اللغوي كثيراً فيمكن أن نقول: هو الطريق أو البرنامج أو السلوك أو الأسلوب المتبع للبحث عن

---

[١]) الفضلي : عبد الهادي (ت ١٤٣٤ هـ) ، أصول البحث ، مؤسسة دار الكتاب العربي ، قم ـ ستاره ، ط ٤ ، ١٤٣٤ هـ ـ ٢٠١٣ م ، ص ٥١ .

[٢]) المصدر نفسه ، نقلاً عن : مرعشلي : نديم ـ مرعشلي : أسامة ، الصحاح في اللغة والعلوم ، ص ٤٩ ، مادة (نَهِجَ) .

[٣]) عمر: محمد زيان ، البحث العلمي مناهجه وتقنياته ، مطبعة خالد حسن الطرابيشي ، د ـ ط ، د ـ ت ، ص ٤٨ .

[٤]) الحسن :طلال ، مناهج تفسير القرآن ، من أبحاث السيد كمال الحيدري ، مكتبة عروج ، بغداد ـ العراق ، د ـ ط ، د ـ ت ، ص ٢٥ .

الحقيقة والكشـــف عن العلوم طلباً للحقيقة والمعرفة والغايات التي نتّخذها للوصـــول إلى جادة الصواب.

فالبدايات دائماً ما تكون منهج أو قاعدة أو أسلوب أو سلوك ننطلق منه للوصول إلى كشف الحقائق والغايات فهي تصـــب أخيراً في مصـــب واحد ونتيجة معروفة حتى بلوغ الغاية والحقيقة، مع تعدد الوســـائل واختلاف الطرق، حيث يجب أن يكون هذا المنهج أو الطريق أو الكيفية أو السلوك متّسماً بالوضوح كما عرّفه علماء اللغة أنّ المنهج هو ـــ الطريق الواضح ـ حيث مهما اختلفت المسمّيات، لكن يجب أن يتزامن الوضوح مع الطرق التي ينتهجها الباحث.

ويبدو أنَّ أفضـل وأدقّ وأقرب التعريفات للمنهج المتصـل بموضـوع بحثنا التعريف الّذي يقول: طريقة الاستدلال أو الكيفية المعتمدة في الاستدلال على إثبات المطلوب...[1] .

(1) ينظر:الحسن ، مناهج تفسير القرآن ، ص ٢٥ .

المطلب الثاني: القرآن لغةً واصطلاحاً:

أولاً : القرآن لغة : هناك رأيان في تعريف القرآن لغةً، وهما :

أ : إنه مهموز وهو: "مشتق ، قال ابن فارس: إن الحروف ـ القاف والراء والحرف المعتل ـ هي أصل صحيح فيها دلالة على الجمع والاجتماع؛ ولذلك سمّي القرآن بهذا الاسم؛ لأنّه قد جمع الأحكام والقصص وغير ذلك " [١].

فالقرآن: من القرء بمعنى: " الجمع والضم ، ويقال ، قرأتُ الماء في الحوض ، أي جمعته فيه، وقالوا العرب قديماً: ما قرأت الناقة جنيناً، أي أنها لم يضم رحمها مولوداً، وسمي القرآن قرآنًا؛ لأنّه قد جمع الآيات والسور القرآنية، وضمَّ بعضها الى بعضٍ " [٢].

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ**﴾ [٣] " أَي جَمْعَه وقِراءَتَه ﴿ **فَإِذا قَرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ [٤] أَي قِراءَتَه " [٥] .

ب: إنه ليس بمهموز وهو: " مصدر، وَرُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ: أنه كَانَ يَقُولُ: القُران اسْمٌ، وَلَيْسَ بِمَهْمُوزٍ، وَلَمْ يُؤْخذ مِنْ قَرأْت، ولكنَّه اسْمٌ لِكِتَابِ اللَّهِ مِثْلُ التَّوْرَاةِ والإنجيل، ويَهمز قرأْت وَلَا يَهمز القرانَ، كَمَا تَقُولُ إِذَا قَرَأْتُ القُرانَ " [٦] .

ويظهر للباحث أن الرأي الأول، هو الأكثر قبولاً لوجود مايؤيده من القرآن الكريم .

ثانياً: أما اصطلاحاً : وأمّا من ناحية الاصطلاح، فقد وضعت عدّة تعريفات للقرآن الكريم، ومن هذه التعريفات :

---

[١]) معجم مقاييس اللغة ، ج٥ ، ص ٧٨ .
[٢]) أبن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص ١٢٨ ، مادة (قَرأَ) .
[٣]) سورة القيامة : آية (١٧) .
[٤]) سورة القيامة : آية (١٨) .
[٥]) أبن منظور، لسان العرب ، ج١، ص ١٢٨ .
[٦]) المصدر نفسه ،ج ١ ، ص ١٢٨ .

"أنَّه هو المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة، والقرآن، عند أهل الحق، هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها "[١] .

وعرّفه السيد الحكيم: " بالكلام المعجز المنزل وحياً على النبي - ص ـــ المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته " [٢].

وبعد أن بينا تعريف المنهج والقرآن الكريم من ناحية اللغة والاصـــطلاح ، لابد لنا من بيان تعريف مصطلح ـ **المنهج القرآني** ـ كمركب .

فالمنهج القرآني : من ناحية العقائد هو: " المنهج الذي قرره الله ـــــ ســبحانه وتعالى ـ ليتعامل مع النفوس البشرية؛ ذلك لأن الله سبحانه وتعالى ـــ يعلم أن إنشاء اليقين الاعتقادي بالحق والخير يقتضي رؤية الجانب المضاد من الباطل والشر" [٣] .

" ولا يخفى دعوة القرآن الكريم حينما يتحدث عن أسـرار خاصـة بالخالق؛ كالخلق مثلًا، يدعونا إلى التدبر، والتفكّر، والنظر فيها، قال تعالى: ﴿ **قُلْ سِـــيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾ [٤] .

وتراه كلّما حدّثنا بأسـرار الحياة والطبيعة دعانا إلى أن نتفكر فيها، وأن نتعقلها، أو أن نتبصـربها، فيكون هذا مدخلاً إلى الفهم، وسـبباً إلى الإيمان" [٥] ، فهذا التعريف ناظر إلى أهم ميزة من مميزات المنهج القرآني، ألا وهي مسألة التفكر والتدبر العقليين، التي أمرنا الله تعالى بها .

---

[١]) الجرجاني: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الشريف (ت ٨١٦ هـــ) ، التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ،١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ، ص ٥٥ .

[٢]) الحكيم :محمد باقر (ت ١٤٢٥ هـ) ، علوم القرآن، الناشر مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ، مطبعة النخيل ـ النجف الأشرف ، ط ٥ ، د ـ ت ، ص ٢٣.

[٤]) حوي :سعيد (ت ١٤٠٩ هـ) ، الأساس في التفسير، الناشر: دار السلام ، مصر ـ القاهرة ، ط ٦ ، ١٤٢٤ هـ ، ج ٣ ، ص ٣٦٨ .

[٤]) سورة العنكبوت : من الآية (٢٠) .

[٥]) بيطار: زهير، الإمامة تلك الحقيقة القرآنية ، الناشر: دار السيرة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ ، ص ٣٥٤ .

وفي الجانب الاعتقادي ذاته رأى السيد المدرسي أنَّه: "هو الطريق السليم لدراسة العقائد، الّذي يُستوحي من القرآن الحكيم، ويقوم على أسسٍ ثابتة من الفطرة السليمة المتميزة عن دواعي الهوى والغضب "[1].

وأما أبرز مميزاته، وأوفر بركاته: " فهو إيقاظ الوعي، وإثارة العقل، والدعوة إلى التدبر والتفكر، والتوجه نحو الانفتاح على الحياة؛ لمعرفة أعماقها، وملامسة أغوارها، ومخاطبة روحها النقية الخاصة، وأسلوب الحديث في هذا المنهج قائمٌ على أساس التذكرة والتنبيه والابتعاد أبداً عن المِراء والمكابرة على حساب الحق، وعلى المسلم أن يتّبع هذا المنهج لمعرفة العقائد؛ لأنّ الإسلام لا يمكن فهمه إلّا عبر الطريق الذي رسمه الباري ـــ عز وجل ـــ ، فهو طريق قريب، واضح المعالم، بليغ البينات، منسجمٌ مع الفطرة وضرورات الحياة "[2].

ولعل التعريف الثالث هو الأقرب لبيان المنهج القرآني؛ لما تميّز به من محدّدات وموجّهات من أسسٍ سليمة، وفطرة نقية، مبتعدة عن دواعي الهوى، متميّزة بالوعي والإثارة العقلية، وفيها دعوة للتدبّر والتفكر، لتساعد الفرد المسلم على الوصول إلى مبتغاه؛ وهو الله سبحانه وتعالى .

---

[1]) المدرسي : محمد تقي : أصول العقائد وأحكام التقليد والبلوغ ، الناشر : انتشارات محبان الحسين (عليه السلام)، قم ، ط ٤ ، ١٤٢٨ هـ ، ص ٨ .

[2]) المصدر نفسه ، ص ٨ .

المطلب الثالث: الإثبات لغةً واصطلاحاً:

أولاً : الإثبات لغةً: هو "الثباتُ، ضدّ الزوال، يقال: ثبت يثبتُ ثباتاً " [١] ، قال تعالى : ﴿ **يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكم تُفْلِحُونَ**﴾[٢] .

وعرّفه الرازي على النحو الآتي : " ثبت الشيء من باب دخل، وثباتاً أيضاً ، وأثبته غيره وثبته أيضاً ، وأثبته السقم: إذا لم يفارقه " [٣]. فيما عرّفه ابن منظور قائلاً: " ثبت الشيء يثبت ثباتاً وثبوتاً، فهو ثابت وثبيت وثبت..، ويقال ثبت فلان في المكان يثبت ثبوتاً، فهو ثابت: إذا أقام به " [٤].

ومن خلال التعريفات التي مرّت يتّضح أنّ مفهوم الإثبات هو ترسيخ الشيء وعدم زواله.

ثانياً : إما اصطلاحاً : فتعريف الإثبات عند الشيخ الطوسي هو : " الإخبار بوجود الشيء" [٥].

وعرّفه الطبرسي بأنّه: " تمكين الشيء مكانه للزومه إياه " [٦].

أمّا الجرجاني، فقد عرّف الإثبات بأنّه " هو الحكم بثبوت شيء لآخر"، فهو إقامة الحجة أو الدليل على شيء نريدُ إثباته [٧] .

---

[١] الراغب الأصفهاني : الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢ هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، الناشر : دفتر نشر الكتاب ، ط ٢ ،١٤٠٤ هـ ، ص ٧٨ ، مادة (ثَبِتَ) .

[٢] سورة الأنفال : آية (٤٥) .

[٣] مختار الصحاح ، ص ٦١ ، مادة (ثبت) .

[٤] لسان العرب ،ج ١، ص ٤٦٧ ، مادة (ثبت) .

[٥] الطوسي : أ بو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) ، التبيان في تفسير القرآن ، تح : أحمد حبيب العاملي، دار أحياء التراث العربي ، د ـ ط ، د ـ ت ،ج ٦ ، ص ٢٦٣ .

[٦] الطبرسي : أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ) ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤١٥ه ـ ١٩٩٥ م ، ج ١ ، ص ٣٥٦ .

[٧] التعريفات ، ص ٩ .

قد بان وظهر ممّا تقدم من التعريفات اللغوية والاصـــطلاحية للإثبات بأنه: حكم ثابت، أو إخبار عن شـيء، أو تمكين الشـيء بمكانه للزومه إياه... ونرى، وبوضـوح؛ أنَّ القرآن الكريم قد أثبت هذه العقائد من خلال المناهج التي استعملها .

المطلب الرابع : العقيدة لغةً واصطلاحاً:

أولاً - العقيدة لغةً: وهي مأخوذة من مادة "عقد" [١]، لذلك هي تدور حول معنيين: المعنى الأول من ـ العقد ـ ، وهو " نقيض الحل؛ ويقال: عقدت الحبل، فهو معقود، ومنه: عقدة النكاح، والمحور الآخر: " العهد، والجمع: عقود وهي أوكد العهود، ويقال: عهدت الى فلان في كذا وكذا، وتأويله: ألزمته بذلك، فإذا قلت: عاهدته أو عقدت عليه، فتأويله: أنَّك ألزمته ذلك باستيثاق المعاقدة: المعاهدة " [٢]. والمعنى الثاني : هو الاقرب لموضوع بحثنا .

ثانياً - أما اصطلاحاً: تعددّت في ذلك التعريفات، أبرزها القائل بأنّها " حصول إدراك تصديقي ينعقد في ذهن الإنسان ليس عملاً اختيارياً للإنسان حتى يتعلق به منع او تجويز أو استبعاد او تحرير" [٣]؛ " لأنّها إيمان جازم بالله، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر،وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب واخباره، والتسليم لله تعالى ولرسوله ـ صلى الله عليه وآله ـ بإطاعة وأتّباع " [٤].

فالعقيدة أذاً هي من الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك، وتطمئن أليها نفسك، وتكوّن يقيناً عندك، ولا يخالطها شك [٥].

وهذه هي العقيدة التي قد دعا إليها الرسل والأنبياء، وكل الكتب الالهية نزلت لبيانها، وبيان مايبطلها ويناقضها أو ينقصها، وكل الخلق أُمروا بها من المكلفين، فالعقيدة تتوقف عليها

---

[١]) ينظر: أبن منظور ، لسان العرب ،ج ٣ ، ص ٢٩٥ ـ ٣٠٠ ، مادة (عَقِدَ) .

[٢]) الفيروز آبادي : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧ هـ) ، القاموس المحيط ، تح : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بأشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ــ لبنان ، ط ٨ ، ١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٥م ، ج١ ، ص ٣٢٧ ــ ٣٢٨، ينظر : الفارابي : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٩٩٣هـ) ، الصحاح ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ،ج ٢ ، ص ٥١٠ ، مادة (عَقِدَ) .

[٣]) الطباطبائي: محمد حسين (ت١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، د ـ ط ، د ـ ت ،ج ٤ ، ص ١١٧ .

[٤]) الريشهري : محمد ، موسوعة العقائد الإسلامية ، تح : مركز بحوث دار الحديث ، دار الحديث للطباعة والنشر ، قم ـ ايران ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ ، ج١، ص ٢١ .

[٥]) ينظر: البنا :حسن ، رسائل العقائد ، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، مطبعة المنار ، القاهرة ـ مصر ، د ـ ط ، دـ ت ، ص ٣٧٩ .

سـعادة البشـرية في الدنيا والآخرة، وأنّ ما كان هذا شـأنه وأهميته لهو جدير بالعناية والبحث والتعرف عليه قبل كل شيء [1]، قال تعالى: ﴿ **فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [2] أما من خرج منها أي من العقيدة، فإنّه يكون متمسّكاً بالأوهام [3] .

[1]) ينظر: مغنية : محمد جواد (ت ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، ط ٣ ، ١٩٨١م ، ج٢ ، ص ١٣١ .

[2]) سورة البقرة : من الآية (٢٥٦) .

[3]) ينظر: الشيرازي: ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، د ـ ط ، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م ، ج٢ ، ص ٢٦ .

المطلب الخامس : التفسير لغةً واصطلاحاً :

أولاً : التفسير لغةً: من الفسر وهو: " إظهار المعنى المعقول"[١]. وقالوا أنّه " مأخوذ من الجذر فسر، إذ قالوا : إن التفسير هو الاستبانة ، وفسره أي أبانه "[٢]. "والفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل " [٣] .

والفَسر هو:" نظر الأطباء في العينة، ليستدلوا بلونها على علة العليل "[٤] . و" نظر الطبيب إلى الماء وكذلك التفسرة كما يستدل على المرض"[٥] . أو بمعنىً آخر " ليستدل الطبيب به على شيء من أمره" [٦] .

إذًا فالتفسير في اللغة هو: " الإبانة وإماطة اللثام، قال تعالى : ﴿ **إلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾ [٧] ، إي بياناً وتفصيلاً، ومنه السفور، يقال سفرت المرأة إذا ألقت خمارها عن وجهها، وإنما بنوا فسر على التفعيل فقالوا: تفسيراً للتكثير" [٨] .

ومن التعريفات التي وردت في بيان معنى ـ التفسير ـ فإنّ استعمالهُ في اللغة ينحصر على النحو الآتي ، أنهّ: " يستعمل في الكشف الحسي، وكذلك في الكشف عن المعاني المعقولة ، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول " [٩] .

---

[١]) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ، ص ٦٣٦ ، مادة (فَسر) .
[٢]) أبن منظور، لسان العرب ،ج ١٠ ، ص ٢٤٩ ، مادة (فَسر) .
[٣]) الزركشي : محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ) ، البرهان في علوم القرآن ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة – مصر ، د ـ ط ، ١٣٧٧ هـ ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد أبن سابق الدين الخضيري (ت ٩١١ هـ) ، الاتقان في علوم القرآن ، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ـ مصر ، د ـ ط ، ١٣٧٧ هـ ، ج٢ ، ص ١٤٧ ، مادة (فَسر) .
[٤]) أبن منظور، لسان العرب ،ج ١٠ ، ص ٢٤٩ ، مادة (فَسر) .
[٥]) الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ص ٤١٤ ، مادة (فَسر) .
[٦]) لويس معلوف : المنجد لغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت ـ لبنان ، ط ٢٦ ، ١٩٧٣ م ، ص ٥٨٣.
[٧]) سورة الفرقان : من الآية (٣٣) .
[٨]) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص١٤٨ .
[٩]) الذهبي : محمد حسين (ت ١٣٩٧ هـ)،التفسير والمفسرون، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د ـ ط ، د ـ ت ، ج ١ ، ص ١٣ .

ثانياً : أما اصـطلاحاً : حيث عرّفوه " انه علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ـ صلى الله عليه واله ـــ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصـــريف وعلم البيان وأصـــول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أســباب النزول والناسـخ والمنسـوخ " [١]. وقد عرّفه السـيد محمد باقر الحكيم بأنّه: الكشـف عن مدلوله وبيان معناه" [٢].

بينما رأى الســـيد الطباطبائي أنّ: " التفســـير علم يبحث فيه عن معاني ألفاظ القرآن وخصائصه، وهو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها" [٣].

والملاحِظ لما سبق يجد أنَّ التفسير في اللغة والاصـطلاح يشـتركان في الكشف والبيان عن مراد الله ـ عز وجل ـ في آيات كتابه المجيد، وفي قناة واحدة، واتجاهٍ واحدٍ .

---

[١]) السيوطي، الإتقان في علوم القران ، ج٢، ص ٤٣٦.

[٢]) الحكيم: محمد باقر (ت١٤٢٥هـــ) ، تفسير سورة الحمد ، مجمع الفكر الإسلام، شريعت – قم ، ط ١، ١٤٢٠هـ ، ص ١٥ .

[٣]) الميزان في تفسير القران ،ج ١، ص ٧ .

المطلب السادس: الإمامية لغةً واصطلاحاً:

قبل التطرّق إلى تعريف معنى الإمامية، لابدّ لنا من التطرّق الى تعريف الشـــيعة أوَّلًا؛ وذلك لأنّ فرقة الإمامية تعدّ من أبرز فرق المذهب الشـــيعي، والجامعة لمعتقداته ومبانيه، ويمكنك القول بأنّها أوّل المتبادر عند ذكر المذهب الشيعي، وانتقال الذهن مباشرةً إليها.

الشيعة لغةً واصطلاحاً :

أولاً: الشـيعة لغةً: " هم من يتقوّى بهم الإنسـان، وينتشـرون عنه، ومنه قيل للشـجاع مَشِـيعٌ، يقال : شِيعَة ، وشِيَعٌ وأشيَاعٌ " [1]، قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيم** ﴾ [2]، وقيل هم : " كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شـــيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضـــهم رأي بعض فهم شـــيعة، والجمع شـــيع، وأصـــل الشـــيعة الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، بلفظٍ واحد ومعنىً واحد، وقد غلب هذا الأســـم على من يتولّى علياً وأهل بيته (عليهم السلام) ، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل : فلانٌ من الشيعة عُرف أنّه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم. وأصل ذلك من المشايعة، وهي المتابعة والمطاوعة " [3] .

ثانياً : إما اصطلاحاً: قال الشيخ النوبختي في كتابه (أصل الفرق الإسلامية) عن الشيعة ، وبعد أن يقسّم الفرق إلى أربع فرق، إلى أن يصـل إلى التشـيع، فيقول: " فأول الفرق الشـيعة، وهي فرقة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، المسمّون (شيعة علي) في زمان النبي صلى الله عليه وآله وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته وهم :

---

[1]) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٧١ .
[2]) سورة الصافات : آية (٨٣) .
[3]) أبن منظور، لسان العرب ، ج ٨ ، ص ١٨٩، مادة (شَيِعَ) .

المقداد بن الأسود *، وسلمان الفارسي * ، وأبو جندب بن جنادة الغفاري *، وعمار بن ياسر* وغيرهم ممن وافقت مودّته مودة علي (عليه السلام)، وهم أول من تشيع من هذه الأمة؛ لأنّ

* المقداد بن الأسود الدؤلي: من أصحاب رسول الله ، قال في شأنه رسول الله (ص) : «الجنة تشتاق إليك وإلي وإلى عمار وسلمان والمقداد»، وذكر ابن مسعود أن أوّل من أظهر إسلامه سبعة، وعدّ المقداد منهم، شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص) ، ومن أهم ألقابه (حارس رسول الله)، ثاني الأركان الأربعة، عظيم القدر، شريف المنزلة، جليل، من خواصّ عليّ (عليه السّلام). ينظر: الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي(ت ٣٨١ هـ) ، عيون أخبار الرضا ، تقديم وتعليق : حسين الاعلمي ، منشورات الاعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م ، ج ١ ، ص ٧٢ ، العلّامة الحلّي: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر(ت ٧٢٦) ، ترتيب خلاصة الأقوال في معرفة أحوال الرجال ، تح : قسم الحديث في مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ ، ص ٤٢٣، آل فقيه: محمّد جواد ، المقداد بن الأسود الكندي، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٤١٢ هـ .

* سلمان الفارسي: من أصحاب رسول الله (ص)، قال في شأنه رسول الله (ص): «سلمان منا أهل البيت »، كان يمتهن مهنة سف الخوص وكان يعتاش منه وهو أمير على المدائن، عاش ثلاث مائة سنة وقيل: أكثر، وقيل: أقل، توفّي سنة أربع وثلاثين للهجرة، وتولّى غسله وتكفينه ودفنه الإمام أمير المؤمنين (ع)، وهومن الذين أبوا مبايعة الخليفة الأول حتى جيء بأمير المؤمنين (ع) مكرهاً للمبايعة . ينظر: الصدوق ، عيون أخبار الرضا ، ج ١ ، ص ٦٩، الطوسي : محمد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ)، اختيار معرفة الرجال(رجال الكشي) ، تح : السيد مهدي الرجائي ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، قم ، ١٤٠٤ هـ ، ج١ ، ص ٦٩ ، العاملي: جعفر مرتضى(ت ١٤٤١ هـ) ، سلمان الفارسي في مواجهة التحدي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ.

* أبو ذر الغفاري: جندب بن جنادة الغفاري، من أصحاب رسول الله (ص)، قال في شأنه الرسول (ص): «أبو ذر صديق هذه الأمة »، وهو أوّل من حيّا رسول الله (ص) بتحيّة الإسلام، نفاه الخليفة الثالث إلى الرّبذة وأستشهد فيها سنة ٣٢ للهجرة. ينظر: الصدوق ، عيون أخبار الرضا ، ج ١ ، ص ٦٩، الطوسي ، رجال الكشي، ج ١ ، ص ٩٨ ،آل فقيه : محمد جواد ، أبو ذر الغفاري ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان .

* عمّار بن ياسر: من أصحاب رسول الله (ص)، والسابقين الى الإسلام هو وأمه وأبوه، والدته أوّل شهيدة في الإسلام ، وهو أوّل من بنى مسجدًا في الإسلام، استشهد في معركة صفين ، وقد نبّأه رسول الله (ص) بذلك بقوله: «تقتل عمارا الفئة الباغية». ينظر: الصدوق ، عيون أخبار الرضا ، ج ١ ، ص ٦٧، ابن داوود : تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي (ت ٦٤٧ هـ)، الرجال، تحقيق وتقديم : السيد محمد صادق آل بحر العلوم ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٩٢ هـ ، ص ١٤٣ ، ال فقيه :محمّد جواد ، عمار بن ياسر ، مؤسسة دار الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠ هـ .

التشيع قديم، فكانت هناك شيعة نوح، وشيعة إبراهيم، وشيعة موسى، وشيعة عيسى، والأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) "[1] .

ويلاحظ من خلال تعريف الشيخ (رضوان الله تعالى عليه) ويستنتج بأنّ التشيع في الإسلام بدأ في زمان الرسول (صلى الله عليه وآله)، وعمل به بعض الصحابة، ممّن كانوا يطلق عليهم بقية المسلمين شيعة علي (عليه السلام) ، وكان أبرزهم المقداد وسلمان وأبا ذر وعمار (رضوان الله تعالى عليهم) .

وقد وردت عدّة أخبارٍ في المراجع الحديثية عن النبي (صلى الله عليه وآله)، جاء فيها لفظة الشيعة، و قد خصّص (صلّى الله عليه وآله) الاطلاق اللفظي بـ(شيعة علي ـ عليه السلام ـ)، منها :

ما وردَ عن الباقر(عليه السلام)، أنّه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « كيف بك يا علي إذا وقفت على شفير جهنم، وقدمت الصّراط، وقيل للنّاس: جوزوا، وقلت لجهنم: هذا لي وهذا لك؟ فقال عليّ (عليه السلام): يا رسول الله، ومن أولئك؟ فقال: أولئك شيعتك معك حيث كنت » [2] .

وروي في سندٍ مفصل عن جابر بن عبد الله: كنّا عند النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، فأقبل عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال النبيّ(صلى الله عليه وآله) : « قد أتاكم أخي، ثمّ التفت الى الكعبة فضربها بيده ثمّ قال: والّذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهمُ الفائزون يوم القيامة » [3] .

---

[1]) النوبختي : أبومحمد الحسن بن موسى الأشعري (ت ٣١٠ هـ) ، فرق الشيعة ، تح :عبد المنعم الحفني ، ط ١، دار الرشاد، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م ، ص ٢٨- ٢٩ .

[2]) المجلسي : محمد باقر (ت١١١٠ هـ) ، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار ، مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان ، ط٢، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م ، ج ٣٩ ، ص ١٩٨ .

[3]) المصدر نفسه ،ج ٣٤ ، ص ٥ .

الإمامية لغة وأصطلاحاً:

أولاً : الإمامية لغةً: مشتقة من الأم وهو القصد " أَمّهُ ،أمَّاً من باب قتل : قصده ، وأمَّه أيضًا : قصده ، وأمَّه وأمَّ به إمامةً : صلى به إماماً " [١]، وتأتي بمعنى التقدّم، "وأمّ القوم وأمّ بهم تقدمهم وهي الإمامة والإمام كل من إئتمَّ به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين" [٢] .

ثانياً : أما اصطلاحاً : " هم القائلون بوجوب الإمامة والعصمة ووجوب النص ، وإنما حصل لها هذا الاسم في الأصل ؛ لجمعها في المقالة هذه الأصول" [٣] ، فأبرز عقائدهم ؛ هي القول بالإمامة ، والعصمة ، ووجوب النص..، وعرفها الشهرستاني بقوله : " هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه الصلاة والسلام نصا ظاهرا وتعيينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل إشارة اليه بالعين قالوا وما كان في الدين والإسلام امر أهم من تعيين الإمام" [٤]. وكذلك يعرف بأنّه:أحد المذاهب الإسلامية، ويرجع انتماؤه العقائدي والفكري إلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، لذلك سمي بالإمامي، وسمّي أتباعه بالإمامية، وقد يسمى بالمذهب الجعفري؛ نسبة إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) السادس من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

ويُسمى أيضا بمذهب الإمامية الأثني عشرية في قبال المذهبين الشيعيين الآخرين :

---

[١]) الفيومي : أحمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠هـ) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تح : د . عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف ، ط ٢ ، د ت ، ج١ ، ص ١٣٣ ، مادة (أمه) .

[٢]) أبن منظور، لسان العرب ،ج ١٢، ص ٢٢، مادة (أمه) .

[٣]) المفيد : محمد بن محمد النعمان (ت ٤١٣ هـ) ، الفصول المختارة ، تح : السيد علي مير شريفي ، دار المفيد للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٤ – ١٩٩٣ م ، ص ٢٩٦ .

[٤]) الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ) ، الملل والنحل ، تح : محمد سيد كيلاني ، الناشر : دار المعرفة ، لبنان - بيروت ، ج ١ ، ص ١٦٢.

الزيدي* والإسماعيلي*. وينتشر أتباع هذا المذهب في مختلف أنحاء العالم حيث يؤلفون في الوقت الحاضر نسبة نصف مسلمي آسيا وثلث مسلمي العالم .وقد أسهم علماؤه بإثراء الفكر الإسلامي بمؤلفاتهم، حيث رفدوا المكتبة الإسلامية في مختلف العلوم كعلوم اللغة والشريعة وغير ذلك كثير[1] .

وخلاصة القول : إن الشيعة الإمامية، هم اتباع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ومن بعده اولاده الأئمة الاطهار(عليهم السلام)، ابتداءً بالإمام الحسن (عليه السلام) وانتهاءً بالإمام محمد ابن الحسن (عليه السلام)، الذين قالوا بإمامتهم وخلافتهم، بعد النبي محمد (صلى الله عليه وآله) .

---

* المذهب الزيدي: يرجع أصحاب هذه الفرقة إلى زيد الشهيد (رضوان الله تعالى عليه)، ابن الامام السجاد (ع). ويعتبر لديهم الإمام الخامس، قاد ثورة ضد الخليفة الأموي (هشام بن عبد الملك)، بعد أن بايعه الناس واستشهد في معركة وقعت قرب الكوفة، ومن بعده جاء ولده يحيى (رضوان الله تعالى عليه) والّذي بدوره أيضًا ثار ضدّ الخليفة الأموي (الوليد بن يزيد)، من ثمّ جاء محمّد وإبراهيم ابني عبد الله اللّذان قاما بثورة ضد الخليفة العباسي (المنصور الدوانيقي)، ويعتبر هؤلاء أبرز أئمّة الزيدية. أمّا أبرز عقائدهم، هي: أنّ كلّ من خرج بالسيف من ولد علي وفاطمة عليهما السلام وكان يتميز بالعلم والزهد والشجاعة والثورة ضدّ الظلم الّذي يكون في زمانه يحقُّ له أن يكون إمامًا. ينظر:الأمين : محسن (ت ١٣٧١ هـ) ، أعيان الشيعة ، تحقيق وأخراج : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م ، مج ١ ، ص ٢٠ . الطباطبائي : محمد حسين (ت ١٤٠٢ هـ) ، الشيعة في الإسلام ، مركز بقية الله الأعظم للنشر والدراسات ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩ م ، ص ٥٩ – ٦٠ .

* المذهب الإسماعيلي: يرجع أصحاب هذه الفرقة الى الإبن الأكبر للإمام الصّادق (ع) إسماعيل (رضوان الله تعالى عليه)، وكان قد توفّي في حياة أبيه الإمام الصّادق وشهد على وفاته جماعة من النّاس من ضمنهم حاكم المدينة، إلّا أنّ هناك مجموعة من النّاس قالوا بعدم وفاته وهم (الإسماعيلية)، من ثمّ انقسموا إلى ثلاث فرق، الأولى: قالوا إنّه لم يمت، وإنّه اختار الغيبة وهو المهديّ الموعود، وأمّا الثانية، فقالوا: إن الإمامة لإسماعيل وبوفاته تنتقل لمحمّد، أمّا الثالثة، فقالوا: إن إسماعيل (رض) هو الإمام وإن أدركته الوفاة في زمان أبيه الصّادق (ع)، وقد انقرضت الفرقة الأولى بعد فترة من الزمن ، أما الفرقة الثانية فبقيت حتى زماننا الحاضر ويسوقون الأمامة في ولده ، ينظر : الأمين : محسن (ت ١٣٧١ هـ) ، أعيان الشيعة ، مج ١ ، ص ٢٠، الطباطبائي، الشيعة في الإسلام ، ص ٦٠ – ٦١ .

[1]) ينظر: الفضلي: عبد الهادي (ت ١٤٣٢ هـ) ، مذهب الإمامية بحث في النشأة وأصول العقيدة والتشريع ، مركز الغدير للدراسات، ط ١، د ـ ت ، ص ٧ ـ ٨ .

الفصل الأول : المناهج القرآنية وأثرها في إثبات العقيدة

المبحث الأول : المنهج الفطري

المبحث الثاني : المنهج العقلي والجدلي

المبحث الثالث : المنهج القصصي

الفصل الأول : المناهج القرآنية وأثرها في إثبات العقيدة

تعددت المناهج القرآنية التي استعملها الله ـ عزوجل ـ في مخاطبة الناس عن طريق آيات القرآن الكريم بعدد من المناهج، من أجل إقناعهم وإدخالهم في بوتقة التوحيد والإيمان وعدم الإشراك به، ومن حاصل هذا الأمر، نجد أن الله سبحانه قد استعمل طريقة الترغيب مرة وطريقة الترهيب مرة أخرى، وتطمينهم بالوعد وتخويفهم وتهديدهم بالوعيد بحسب الظرف الزماني والمكاني، وهذا ما نلاحظه جلياً في الآيات المكية والمدنية من تغيير في طريقة الخطاب ،قال تعالى : **﴿ قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا عَلى أنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إنَّهُ هو الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** [1]، وقوله تعالى: **﴿يا أيُّها النّاسُ اتَّقُوارَبَّكم إنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّاأرْضَعَتْ وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَهاوتَرى النّاسَ سُكارى وماهم بِسُكارى ولَكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾**[2] .

وأما المناهج التي اعتمدها القرآن الكريم من أجل صياغة رؤية عقائدية متمثلة بآيات القرآن المجيد فهي مناهج (فطرية ، عقلية وجدلية ، قصصية)، حيث جعل القرآن لهذه المناهج أرضية خصبة انطلق منها لتأسيس منظومة عقدية صالحة تواجه تلك الأفكار والإنحرافات الضالة ، فنجد القرآن يخاطب تلك الفطرة السليمة التي أودعها الله ـــ سبحانه ـــ في الذات الإنسانية وأن هذه الفطرة مهما يُصيبها من تلوث في الأفكار فإنها تبقى تلك التربة الصالحة التي إذا توافرت لها الظروف الصحيحة فإنها ستعود لِتُثمر وتعطي إنتاجاً وفيراً ، وتارة أخرى نرى القرآن المجيد يستعمل المحاورات العقلية والحوارات التي تكون مبنية على أسس عقلية منطقية، وسرعان ما يتحول إلى استعمال المنهج الجدلي مع المعاندين والمتكبرين وجبابرة الأرض ، أمثال فرعون وغيره من الطواغيت، ولأن القرآن الكريم لايكل ولايمل فيستعمل العبرة وَيُذَكّرهم بقصص الأمم السالفة التي سبقتهم كقوم نوح ولوط وغيرهم وما حصل لهم ، وكيف تم إبادتهم ؛ لأنهم لم يؤمنوا ويلتزموا بما أمرهم الله ـــ سبحانه ـــ به لذلك حق عليهم العذاب.

---

[1] سورة الزمر : آية (٥٣) .
[2] سورة الحج : الآيات (١ ـ ٢) .

المبحث الأول: المنهج الفطري

المنهج الفطري هو أحد المناهج التي استعملها القرآن الكريم من أجل تثبيت العقيدة في نفوس الناس، وبالرجوع إلى القرآن الكريم، نجده ذكر مفردة (الفطرة) مرة واحدة في سورة الروم إذ بدأ القرآن بمناداة تلك الفطرة التي جعلها الله ـ عزوجل ـ مركوزة في ذوات النفوس البشرية، وأخذ ينادي تلك الفطرة القلبية التي فطرها على توحيده ومعرفته وربوبيته وعدم الإشراك به، ويبدأ بمحاكاة ذلك النور الساطع وتلك البصيرة المتواجدة داخل كل نفس بشرية، وأنها مهما حدث لها من حادثات وتأثيرات ومتغيرات في الحياة ستبقى تلك الروح الفطرية تشتد إلى بارئها وموجدها وخالقها ـ سبحانه وتعالى ـ في ساعات الشدة والمحن .

المطلب الأول : الفطرة لغةً واصطلاحاً :

أولاً : الفطرة لغةً : من مادّة فَطَرَ: وهي " الفاء والطاء والراء وهما أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على فَتْح شيء وإبرازهِ " [1]، وقد ذكرت المعاجم اللغوية عدّة معانٍ للفطرة وهي :

١ـ **تأتي بمعنى الخلق :** عَرّفها صاحب العين : "وفطر الله الخلق ، أي ، خلقهم ، وابتدأ صنعة الأشياء، وهو فاطر السماوات والأرض، أي خالق السماوات والأرض " [2] .

وفطر الله الخلق يقال : أي خلقهم وأوجدهم وأنشأهم ، وهو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشّحة لفعل من الأفعال،قال تعالى : ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [3]، فإشارة منه ــ تعالى ــ إلى ما فَطَرَ، أي: أبدع وركز في النّاس من معرفته ــ تعالى ــ ومن الملاحظ بإن هذه الفطرة هي : " نوعٍ من الجبلة والطبع المتهيء لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنّما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد ، ثم مثل بأولاد اليهود والنصارى في اتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم عن مقتضى الفطرة السليمة، وهو أيضاً :

---

[1]) أبن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ج ٤ ، ص٥١٠ ، مادة (فَطَرَ) .

[2]) الفراهيدي : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) ، العين ، تح : د. مهدي المخزوومي ــ د . ابراهيم السامرائي ، الناشر : مؤسسة دار الهجرة ، مطبعة الصدر ، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ ، ج٧ ، ص ٤١٨ ، مادة (فَطَرَ) .

[3]) سورة الروم : من الآية (٣٠) .

معناه كل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به . فلا تجد أحدا إلا وهو يقر بأن له صـــانعا، وإن ســـماه بغير اســـمه، ولو عَبَدَ معه غيره " [١] ، وعليه ، فهي : ما ركز فيه من قوّته على معرفة الإيمان، وهو المشار إليه ، قال تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾[٢] [٣] .

٢ ـ **تأتي بمعنى الشقُّ :** يقال: " فَطَرهُ : أي شَقّهُ ، وتفطر الشئ: ٱنشَقَّ ،وأيضاً ٱنفَطَرَ وفَطرتُه فٱنفَطَر، ومنه فَطَرَ نابُ البعير طَلَعَ، فهو بعيرٌ فاطِرٌ، وســـيف فُطارٌ، أي : فيه تشـــقُّقٌ " [٤] ، "وأصل الفَطْرِ: الشّقُّ طولا " [٥] .

٣ ـــ **تأتي بمعنى الابتداء والأختراع : قال تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّماواتِ والأَرْضِ ﴾** [٦] . قال ابن عباس (رض) : " كنتُ لا أدري ما فَاطُرُ الَسـموات حتّى أتاني أعرابيْانِ يختِصمان في بئرفقال أحدهما : أنا فَطرتهُا " [٧] ، أي : أنا ابتدأتها .

ويتضـــحّ مما تقدم : أن الفطرة هي تلك القوة الهائلة التي أودعها الله في الإنســـان ، وهي تدفعه دوماً نحو الله ـ تعالى ـ ، والقيم، والأخلاق، والسيرة الفاضلة .

ثانياً : أما اصـطلاحاً : لايخرج التعريف الاصـطلاحي للفطرة عن تعريفها اللغوي ، وقد وَضَـــع العلماء عدةّ تعريفات تبقى في دائرة الاســـتعمال اللغوي، حيث عُرّفت بأنها : الجبلة المتهيئة لقبول الدين [٨] .

---

[١]) أبن الأثير: مجد الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشـــيباني الجزري (ت٦٣٠ هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تح : طاهر أحمد الزاوي ـ محمود محمد الطناحي ، المكتبة العربية ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ، ج٣ ، ص٤٥٧ .

[٢]) سورة الزخرف : آية (٨٧) .

[٣]) ينظر: الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٣٨٢ ، مادة (فَطَرَ) .

[٤]) الجوهري : إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، د ـ ط ، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م ،ج ٢، ص ٧٨ ، مادة (فَطِرَ) .

[٥]) ينظر: الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٣٨٢ ، مادة (فطر) .

[٦]) سورة الأنعام : من الآية (١٤) .

[٧]) البيهقي : أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) ، شعب الإيمان ، تح : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط ١، ١٤١٠ هـ ، رقم الحديث (١٦٨٢) ، ج٢ ، ص ٢٥٨ .

[٨]) ينظر: الراغب الأصـــفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٥٧٥ ، القرطبي : أبو عبدالله شـمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصـاري الخزرجي (ت ٦٧١ هـــ) ، الجامع لأحكام القرآن ، تح : أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٧٢هـ ، ج ١٤ ، ص ٢٤ ، الجرجاني ، التعريفات ، ص ٩٥ .

أو هي : " إدراك الحقائق من دون الحاجة الى أي أســـتدلال معقد أو بســـيط ويتفهمها بوضوح ويتقبلها ، دون الحاجة الى أقامة دليل " [١] .

فهي : " تلك الحالة الواعية في شـــخصـــية الإنســـان التي من خلالها يهتدي إلى الأشياء " [٢] .

وهناك من عرفها وجعل الفطرة من الإدراكات العقلية بمعنى أنها ناتجة من الاســـتدلال العقلي لذلك عرفوها : بأن كل إنسان بعد اكتمال عقله وملاحظته لنظام الوجود وبعض الأسرار في الخلق تتكون لديه صـورة اسـتحالة نشـوء هذا النظام من مبدأ فاقد للعقل والاحسـاس، لذلك قالوا إنه يكفيه اسـتدلال واضـح للوصـول الى الحقيقة ولايحتاج الى أسـتاذ أو معلم ، كما يحكم الإنسان بأن (الكل أكبر من الجزء) حيث أدركه باستدلال عقلي وهذا مايسمى العقل الفطري [٣]، فالفطرة تُعد من الإدراكات القلبية وليسـت العقلية لذلك يقول الشـيخ مطهري : " إن جذور هذا الميل الى معرفة الله مغروزة في ذات الانسان وقلبه لا في دماغه ورأسه " [٤] .

ثالثاً : المفردات ذات الصلة :

أولاً : الصِّبغةُ : وتأتي لفظة الصبغة مرادفة للفظة الفطرة ،قال تعالى : **﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ومَن أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ونَحْنُ لَهُ عابِدُون﴾** [٥].

" وصِـبْغةُ الله : دِينُه، ويقال أَصـلُه والصِّـبغةُ : الشـرِيعةُ والخِلقةُ وقالوا : إنها هي كل ما تُقُرِّبَ به . وأضافوا : إن صبغةَ الله هو دِينُ الله وفِطْرته " [٦] .

---

[١]) ينظر: الشيرازي: ناصر مكارم (بمساعدة مجموعة من الفضلاء) ، نفحات القرآن طرُقُ معرفة الله أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، الناشر : مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، إيران ـ قم ، ط١، ١٤٢٦ هـ ، ج ٣، ص ٩٣ .

[٢]) العيسوي : عبد الرحمن ، علم النفس العام ، دار الفجالة ، مصر ، د ـ ط ، ١٩٣٦ م ، ص ٤٨ .

[٣]) ينظر: الشيرازي ، نفحات القرآن ،ج٣، ص ٩٢ .

[٤]) مطهري : مرتضى (ت ١٣٩٩هـــ)، الفطرة ، ترجمة : جعفر صادق الخليلي، مؤسسة البعثة ، بيروت ـ لبنان، ط ١، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م ، ص ٣٧ .

[٥]) سورة البقرة : آية (١٣٨) .

[٦]) أبن منظور، لسان العرب ، ج ٨ ، ص ٤٣٨ ، مادة (صَبِغَ) .

أما اصطلاحاً : الصبغ، الصباغ، الصبغة : نوع التلوين ، " وصبغة الله نوع التلوين الذي يلون به الله ، ويواصل مطهري تعريفه للصبغة : بأنها هي الصبغة التي لَوّن بها الله الناس في بداية التكوين وهي صبغة الدين ، وأنها اللون الرباني الذي لَوّن به الله الإنسان في مبدأ الخلق " [١].

ثانياً :الْجِبِلَّةُ : الْجِبِلَّةُ من جَبَلَ ، والجبلُّ: الخلقُ جَبلَهُم الله فهم مجبولون، وجِبلَةُ الجبَل: تأسيسُ خِلقته التي جُبِلَ عليها، وجَبَلهُ اللهُ أي خَلَقه، الجَبْلة الخِلْقة وجمعها جبال جِبْلَته أَي خِلْقته والجِبْلة بالكسر الخِلْقة ، وجِبلةُ كلِّ مخلوقٍ: الطبع الذي طُبع عليه ، جَبَله اللَّهُ تعالى علَى الشيء : طَبَعَهُ إشارةً إلى ما رُكِّب فيه مِن الطَّبع .

أما اصطلاحاً فهو لايختلف عن المعنى اللغوي، الجبلة هي الخلقة التي خلق الإنسان عليها [٢] .

الجِبِلَّة : " وهي فِطْرةُ الله تعالى وكَونُه مُتهيّئاً لقَبول الحق طبْعاً وطَوْعاً، وكذلك الجِبِلَّة هي الطبع المُتَهّيء لِقَبُول الدِّين، فلو تُرك عليها لاسْتَمرّ على لُزومها ولم يُفارقها إلى غيرها " [٣]، والجبلةُ تترادف مع الفطرة وهي إحدى معانيها .

ثالثاً : السَّجِيّة : والسَّجيَّة : " الطبيعة والخُلقُ ، خُلُقُه سَجِيَّة أَي طبيعةً من غير تكلف، والخُلْق والخُلُق السَّجِيّة " [٤]، وفي الاصطلاح كذلك بمعنى الخلقة والطبيعة ، والسجية تترداف مع الفطرة وهي من معانيها .

رابعاً : الخِلْقةُ : وأَصل الخلق : التقدير، يقال : " ابتِداع الشيء على مِثال لم يُسبق إليه وكل شيء خلَقه الله فهو مُبْتَدِئه ،وأيضاً : خَلق الله الشيء يَخلُقه خلقاً أَحدثه بعد أَن لم يكن ، وقيل خَلْقَ الله معناه : دِينَ الله لأَن الله فَطَر الخَلْقَ على الإسلام وخلَقهم من ظهر آدم عليه

---

[١]) مطهري ، الفطرة ، ص ١٥ .

[٢]) ينظر: الفراهيدي ، العين ،ج ١ ، ص ٤٨٢ ، مادة (جَبِلَ) ، الجوهري ، الصحاح في اللغة ،ج ١ ، ص ٧٨ ، مادة (جَبِلَ) ، الرازي ، مختار الصحاح ، ج١، ص ٤٥، مادة (جَبِلَ)،ابن منظور، لسان العرب ،ج ١١ ، ص ٩٦ ، مادة (جَبِلَ)، الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٤ ، ص ٩٥ ، مادة (جَبِلَ) الجرجاني، التعريفات ، ص ٤٥ ، مادة (جَبِلَ) .

[٣]) ابن منظور، لسان العرب ،ج١٠، ص ٨٥ ، أبن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١ ، ص ١٨٨ ، مادة (جَبِلَ) .

[٤]) ابن منظور، لسان العرب ، ج ١٤ ، ص ٣٧٢ ، مادة (سَجِيَ) .

السلام كالذّرّ وأَشْهَدَهم أَنه ربهم وآمنوا فمن كفر فقد غيَّر خلق الله والخِلْقةُ الفِطْرة ، وبهذا تكون الخِلْقةُ إحدى معاني الفطرة " [1] .

[1]) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠، ص ٨٥ ، مادة (خَلِقَ) .

المطلب الثاني: الفطرة في السنة الشريفة:

أولا : الفطرة بمعنى التوحيد :

روى الكليني في الكافي الشـــريف مجموعة من الروآيات التي تفيد أن معنى الفطرة هي التوحيد .

١- عن زُرارة قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) في قول الله عزوجل ، **﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها ﴾** [١]، قال : « فطرهم جميعاً على التوحيد » [٢] .

٢ - عن محّمد الحلبّي، عن أبي عبدالله (عليه الســـلام) في قول الله عزوجل ،**﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها ﴾**، قال :« فطرهم على التوحيد » [٣] .

ثانياً:الفطرة بمعنى الإسلام :

١- روى العلامة المجلسي في البحار:عن عبدالله بن سنان،عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عزوجل،**﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها﴾** [٤]، ما تلك الفطرة ؟ قال :« هي الإســـلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد ، فقال ألســـت برّبكم وفيهم المؤمن والكافر » [٥]

٢- وجاء في البحاركذلك عن أبان، عن أبي عبد الله (عليه الســـلام) في قول الله : **﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ومَن أحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ونَحْنُ لَهُ عابِدُونَ﴾** [٦] .

قال هي : « الإسلام » [٧]، وكما بينا أن الفطرة والصبغة مفردتان مترادفتان تعطي المعنى نفسه .

---

[١]) سورة الروم : آية (٣٠) .

[٢]) الكليني: محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩ هـ) ، الكافي ، تح : علي أكبر الغفاري ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط ٤ ، ١٣٦٥ ش ، ج ٢، ص١٢، كتاب الإيمان والكفر، باب في فطرة الخلق على التوحيد ، ح (٣) .

[٣]) المصدر نفسه ،ج ٢ ، ص ١٦ ، ح ٤ .

[٤]) سورة الروم : آية (٣٠) .

[٥]) المجلســـي، بحار الأنوار،ج ٣ ، ص ٢٧٨ ، باب (١١) الدين الحنيف والفطرة وصـــبغة الله والتعريف في الميثاق ، ح(٧).

[٦]) سورة البقرة : آية (١٣٨) .

[٧]) المجلســـي ، بحار الأنوار ، ج ٣ ، ص ٢٨٠، باب (١١) الدين الحنيف والفطرة وصـــبغة الله والتعريف في الميثاق، ح (١٥) .

ثالثاً : الفطرة بمعنى المعرفة بالله سبحانه وتعالى :

١ - عن زرارة قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عزوجل: ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها** ﴾ [١]، قال : « فطرهم على معرفته أنه ربهم ، ولولا ذلك لم يعلموا إذا سئلوا من ربهم ولا من رازقهم » [٢] .

٢ - ماروا ه الكليني في الكافي: عن زرارة ، عن أبي جعفر الباقر(عليه السلام)، سألته عن قوله تعالى : ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها** ﴾ [٣]،قال :« فطرهم على المعرفة به » [٤].

رابعاً : الفطرة بمعنى النبوة والإمامة :

١ - جاء في بحار الأنوار : عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عزوجل: ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها** ﴾ [٥]، قال : « التوحيد ، ومحمد رسول الله ، وعلي أمير المؤمنين » [٦] .

لا تقتصر الفطرة على التوحيد فقط ، بل تشمل جميع مبادئ الدين الحنيف ، وهي من الأمور التي فُطر عليها الإنسان مِن قِبَل الله تعالى [٧] .

---

[١]) سورة الروم : آية (٣٠) .
[٢]) المجلسي ، بحار الأنوار ،ج ٣ ، ص ٢٧٨ ، ح (١٠) .
[٣]) سورة الروم : آية (٣٠) .
[٤]) الكليني ، الكافي ، ج ٢، ص ١٣ ، كتاب الإيمان والكفر، باب كيف أجابوا وهم ذر،ح (٣).
[٥]) سورة الروم : آية (٣٠) .
[٦]) المجلسي ، بحار الأنوار ،ج ٣ ، ص ٢٧٨ ، ح (٩).
[٧]) ينظر : الخميني : روح الله الموسوي (ت ١٩٨٩ م) ، التوحيد والفطرة ، إعداد مركز الإمام الخميني الثقافي ، الناشر : الدار الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، ص ٨ .

المطلب الثالث: تطبيقات المنهج الفطري على العقائد في القرآن الكريم :

لطالما انتهج القرآن الكريم اسلوباً خاصاً في مخاطبة الفطرة السليمة غير الملوثة التي أودعها الله سبحانه لدى الإنسان، قال تعالى : **﴿فَأَقِمْ وجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَالنّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولَكِنَّ أكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** [١].

وهذه الفطرة متمثلة بالدين الإسلامي وتوحيده سبحانه وتعالى الذي خلق الناس عليها و لها و بها ، أي : لأجلها والتمسك بها ، حيث أرتكز هذا الدين في القلوب التي فطرها الله تعالى على توحيده فلا يحيد الإنسان عن هذا الدين إلّا بالصوارف الخارجية ، ولو خلوا وأنفسهم وعقولهم ما اختاروا عليه غيره ، لا تَبْدِيلَ : أي لا تغيير لِخَلْقِ اللَّهِ فانّه غير ممكن [٢]، لذلك نجد القرآن الكريم يبني أساس تشريعاته ومنظومته الأخلاقية الغريزية على التوحيد الفطري ويخبر القرآن أن التشريع والسير نحو الكمالات الروحية والأخلاقية يجب أن تنمو من بذر التكوين و الوجود للإنسان [٣] .

لذلك نجد أن من ثبت على دين الإسلام فهو قد ثبت على الفطرة الأولى ، ومَن كفر و جحد فقد تغيرعن الفطرة الأولى ، وذلك لأنهم ولدوا على فطرة دين الحق الذي يلزمهم الرجوع إليه في كل أحوالهم الدنيوية والأخروية [٤] .

إن الله ــ سبحانه وتعالى ــ عندما أراد مخاطبة الفطرة لم يخاطبها على أساس أنها منكرة لوجوده وتوحيده ، بل خاطبها على أنها قد أصابها شيئاً من الغفلة والعوارض التي أبعدتها عن الطريق المستقيم ، طريق الهداية القويم ، وهذا ماصرح به حيث قيل : " ويحاول الوحي الألهي أن يوقظ ويحرّك الفطرة الإنسانية ؛ لكي يزدهر ويثمر ماعجنه الله سبحانه في فطرة الإنسان وطينته وهذا مايسمى بالتذكرة " [٥].

---

[١]) سورة الروم : آية (٣٠) .
[٢]) ينظر: الطبرسي ، مجمع البيان ، ج ٨ ، ص٥١ ،الشيرازي ، نفحات القرآن ،ج ٥ ، ص ٩٩ .
[٣]) ينظر : الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ١ ، ص ٣٣ .
[٤]) ينظر: الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن ، ج ٥ ، ص ٢٠ ، الطبرسي ، مجمع البيان ، ج ٤ ، ص ٣٩٠ .
[٥]) آ ملي ، العقيدة من خلال الفطرة في القرآن ، ص١٤ .

والله تعالى عندما يريد أن يخاطب أو يناغم الفطرة التي أودعها لدى الإنسان يعطيها من الغذاء والنماء مايستحق عليه الشكر والحمدُ فهو لايخاطبها على أنها منكرةً لهُ، بل يلفت نظر الإنسان الى عظمته وقدرته وإبداعه وجليل حكمته في صنعه ، ويذكرهم بالنعم على خلقه فلذلك نشاهد القرآن يدغدغ غفلة الإنسان ونسيانه ويشعره أنه غير منكرٍ له وجاحد به ، فالاعتراف بوحدانيته وعظمته واقع لامحال بل الغفلة والنسيان هما اللذان يبعدانه عن الحق والصواب .

لذا نلاحظ أن المفسرين يذهبون إلى فطرية الإيمان بالله تعالى ،وقد جعلوا الإيمان بالله كسائر الغرائز المتأصلة في البشر ، فإنه يبحث عن الله فطرياً وذاتياً ، ويريد معرفة ما وراء الطبيعة فطرياً أيضاً ، وما كل ذلك إلّا لأنّ البحث عن الله والتفتيش عن الخالق أمر جُبِلَ عليه الإنسان وفُطِر عليه تكوينه وعُجنِت به سريَرتُه ، فيميل إلى الإذعان بالله ذاتياً ، بينما يكره الإلحاد ونكران الله ذاتياً كذلك [1].

قال تعالى :**﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيّاتِهِمْ وأَشْهَدَهم عَلى أَنْفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكم قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيامَةِ إِنّا كُنّا عَنْ هَذا غافِلِينَ﴾** [2] ،فإن النفوس قد جُبلت وفُطرت على معرفة خالقها منذُ أن أخذ الله ـــ تعالى ـــ العهد من أبناء آدم ، وَفَسّر العلامة الطباطبائي لفظة ـ الإشهاد ـ في هذه الآية المباركة بقوله : وهو أن يشهدوا على ربوبيته ـــ سبحانه وتعالى ـــ فقوله ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكم** ﴾[3] ، يوضح ما أشهدوا لأجله وأريد شهادتهم عليه ، وهو أن يشهدوا ربوبيته سبحانه لهم فيؤدوها عند المسألة [4] .

وأقام الله ـ عزوجل ـ لهم دلائل ربوبيته ، وركب في عقولهم وأذهانهم ما يدفعهم إلى الإقرار والاعتراف بها حتى صاروا بمنزلة الاشهاد ، على طريقة التمثيل ، نظير ذلك قوله عز وجل :

---

[1]) ينظر: السبحاني : جعفر ، مفاهيم القرآن ، الناشر : مؤسسة الإمام الصادق ، قم ، ط ٤ ، ١٤٢١ق ،ج ١ ، ص٤٠ ـ ٤١ .

[2]) سورة الأعراف : آية (١٧٢) .

[3]) سورة الأعراف : آية (١٧٢) .

[4]) ينظر: الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ،ج ٨ ، ص ٣٠٧ .

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [١]، وقوله جلّ وعلا: **﴿ثُمَّ اسْتَوى إلى السَّماءِ وهي دُخانٌ فَقالَ لَها ولِلْأَرْضِ اِئْتِيا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾** [٢] .

وقيل أيضـــا: إن الله جلّ وعلا أخرج من ظهر آدم نســـله إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر ،فَعَرّفهم نفسه ، وأراهم صَنعه ، وأظهر لهم عمله ، ولولا ذلك لما عرف أحد ربه [٣] .

عندما نتفكر في بعض الآيات القرآنية ، نجد أن الفطرة تتجلى في شيئين :

أولا : الإيمان الفطري بأصول الدين :

قال تعالى : **﴿فَأَقِمْ وجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** [٤] .

في هذه الآية ، لم تجعل مسألة معرفة الله والإيمان به مسألة فطرية فقط ، بل وصفت الدين بإصوله ـ أي المبادئ والأصول التي تشكل أساس الدين الإلهي ـ على أنه ديناً فطرياً وجبلياً والواقع يشـهد على ذلك ، إذ نرى أن جميع التعاليم التي أتى بها الدين من حيث الإيمان والعمل تنطبق بالتســاوي على جميع الحاجات الفطرية وأن الدين قد عجن بفطرة الإنســان عجناً ، فهو جزء من كينونته ، فهو يشمل التوحيد وغيره [٥].

إن النصـوص الروائية الواردة عن الأئمة الأطهار(عليهم السلام) والتي تم ذكرها تفسر الفطرة على نحو عام ، كالإســـلام والتوحيد والولاية والمعرفة به ، وبهذا يتضـــح أن المراد بالفطرة هو مجموعة أصـول الدين الإسـلامي التي تكمن في فطرة الإنسـان ابتداءً من التوحيد ومروراً بالاعتقاد بالنبوة والإمامة وهكذا ، لذلك قال أمير المؤمنين (عليه الســـلام) في حديث مختصـر العبارة غزير المعنى: « فبعث فيهم رسـله ، وواتر إليهم أنبياءه ، ليسـتأدوهم ميثاق

---

[١]) سورة النحل : آية (٤٠) .
[٢]) سورة فصلت : آية (١١) .
[٣]) ينظر:الفيض الكاشاني ، الآصفى في تفسير القرآن ،ج ١ ، ص ٣١ .
[٤]) سورة الروم : آية (٣٠) .
[٥])ينظر: السبحاني ، مفاهيم القرآن ،ج ١ ، ص ٤١ ـ ٤٢ .

فطرته ، ويذكروهم منسي نعمته ، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول » [١]، فبحسب تعبير الإمام (عليه السلام) الوارد في نهج البلاغة ، فإن عمل الأنبياء هو تهييج الفطرة وتذكير الناس بالنعم الإلهية المنسية ، ومن هذه النعم فطرة التوحيد ، واستخراج كنوز المعرفة المدفونة في روح الإنسان وأفكاره [٢] .

وهنا لا بد من معرفة تلك الفطرة ، وحتى أنها لو فُسِّرت في هذه الأحاديث الشريفة وغيرها من الأحاديث بالتوحيد، ولكن هذا بمثابة بيان المصداق ، أو التفسير بأشرف أجزاء الشيء ، كما في معظم التفسيرات الواردة عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) ، وفي كل تفسير تفسّر بمصداق جديد بحسب المناسبة ، فيظن الجاهل أن هناك تناقضًا. والدليل على ذلك هو أن الآية الكريمة جعلت الدين هو (فطرة الله) ، مع أن الدين يشمل التوحيد والأصول الأخرى [٣].

ثانياً : الإيمان الفطري بوحدانية الله :

وردت كثير من الآيات التي تشيرإلى الفطرة وتجلياتها في أعماق وجود الفرد الإنساني ، وأن الإيمان به ــ تعالى ــ قد غرس في فطرته ، وأهم مافي الأمر أنه لايلتفت إليه ، ولكن عند وقوع حدث يهدد حياته وكينونته ووجوده ، تعيده الفطرة بسرعة إلى خالقه ، فإنه يلجأ ويتجه للإيمان بإله واحد أو بقدرة غيبية واحدة ، إليها يرجع الأمر كله ، ولايستغي عنها أحد من الناس ، وهذا الإحساس الفطري بوحدانية الله هو الذي يوقظ فطرة الإنسان ويقوده في الشدائد ويدفعه إلى التخلي عن كل الآلهة المصطنعين والتوجه إلى الله الواحد القهار ، وإن كان هذا الإحساس قد يتلاشى مرة أخرى ويعود الإنسان إلى الارتباط بالأوهام والشركاء الوهميين بعد ارتفاع المصاعب والتحرر من الشدائد .

ومن هذه الآيات الواردة في هذا الصدد ، قوله تعالى : **﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾** [٤]، وقوله تعالى: **﴿وإذا مَسَّ النّاسَ**

---

[١]) الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ص ٤٣ ، من كلام لهُ (ع) في أختيار الأنبياء (ع) .
[٢]) ينظر : الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج١٢ ، ص ٥٢٩ .
[٣]) ينظر:الخميني ، التوحيد والفطرة ، ص ٩ .
[٤]) سورة العنكبوت : آية (٦٥)

ضُـــرٌّ دَعَوْا رَبَّهم مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا أَذاقَهم مِنهُ رَحْمَةً إِذا فَرِيقٌ مِنهم بِرَبِّهِمْ يُشْـــرِكُونَ﴾ [١]، وقوله تعالى : **﴿وَما بِكم مِن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تجأرون﴾** [٢].

فهذه الآيات القرآنية تدل على أن الإنســـان يقترب من خالقه ويوحده بفطرته ، وبمجرد تعرضــه للخطر فأنه يدعو الله بإخلاص ، فهم أناس لم تنطفىء شمعتهم الفطرية ،وتذكرهم لله خال من الشـــوائب ، ودعاؤهم مرتبط بالإخلاص لله الواحد وحده ، وهو مخّلصـــهم في كل أمورهم [٣].

فكلامه ــ تعالى ذكره ــ يدل على أَن هؤلاء المشركين إذا صعدوا إلى السفينة في البحر وخافوا من الغرق والهلاك فيه دعوا إلى الله مخلصـــين له في الدين، اخلصـــوا لله عند الشـــدة التي نزلت بهم، وأقروا له بالطاعة ، وأذعنوا له في العبادة ، ولم يســـتعينوا بآلهتهم وأندادهم [٤].

لذلك يوجد داخل قلب الإنسان نقطة نور ، وهي خط علاقته بما هو أبعد من عالم الطبيعة ، وأقرب طريق إلى الله . ومع ذلك ، فإن التعليمات الخاطئة والإهمال والغطرسة ــ خاصة عندما يتعلق الأمر بالسلامة ووفرة النعمة ــ تلقي عليها أستاراً ، لكن فيضان الحوادث يزيل هذا الحجاب ،وتتجلى نقطة النور آنذاك ، وعلى هذا فقد كان كبارأئمة المســـلمين يوجهون المترددين في مسألة ـ معرفة الله ـ ويغرقون في الشك والإرتباك إلى هذا الأصل [٥] .

أي إنهم يُذّكرونهم بهذه الآيات الشريفة التي تتجلى فيها الفطرة والاتصال بالله تعالى من خلال المصاعب التي يمر بها الإنسان ، وسرعان ماستعود فطرتهم إليه ـ تعالى ـ .

قد يكون هناك شك في نفوس البعض حاصله : من قال أن جذور الدين عميقة في الفطرة البشـــرية ؟ مع العلم أننا نجد بالحس والإدراك أن الأديان والمذاهب المختلفة متجذرة والفطرة

---

[١]) سورة الروم : آية (٣٣) .
[٢]) سورة النحل : آية (٥٣).
[٣]) ينظر: آملي ، العقيدة من خلال الفطرة في القرآن ، ص ٤٦ .
[٤]) ينظر: الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تح : خليل الميس ــ صدقي جميل العطار ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ــ لبنان ، د ـ ط ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥ م ، ج ٢١ ، ص ١٧ .
[٥]) ينظر :الشيرازي ، تفسير الأمثل ،ج ١٢، ص ٤٤٩ .

الإنسانية دائماً ماتبحث عن الدين وعن الله ، وهذا مانجده عبر تاريخ البشرية فإذا كانت فطرية ، فلن تكون هناك حاجة لكل هذه الأدلة على وجود الله .

ويمكن أن يقال في جواب هذا التشكيك إن سبب غياب الفطرة هو الركام الثقافي ، الذي ينشأ الإنسان تحته وفي أسرته ومحيطه الاجتماعي. لذلك يوجهنا المنطق العقلاني إلى حقيقة أنه يوجد في قلب كل إنسان ميل نحو الحقيقة والقدرة المطلقة والمعرفة المطلقة ، وتسعى فطرة الإنسان إلى البحث عن الوجود المطلق ، وهدفها هو الحي الذي لايموت ، وفطرة الإنسان تميل إلى تلك الحقيقة [١] .

حيث لم يكن هناك خلاف حول أصل ـــ وجود الله ـــ والاهتمام بما وراء المادة ، ولكن الخلاف وقع في خصوصيات هذا الاعتقاد وليس في جوهره وأصله ، وهكذا يتضح أن الخلاف نشأ حول التفاصيل والخصوصيات ، وفيما يتعلق بأصل الإيمان والإيمان بوجود الله ، فإن كلمة الإنسانية متفقة عليها عبر التاريخ البشري الطويل [٢].

وهناك قراءة وتوثيق للشيخ مطهري عن المعرفة الفطرية بالله ـــ سبحانه وتعالى ـــ ، وناقش عدداً من أفكار الفلاسفة الغربيين ، وتوصل إلى نتيجة مفادها : أَن هناك فطرة في الإنسان . وأن ماجاء به الأنبياء كان أستجابة لنداء الفطرة ولرغبة الإنسان في أعماقه . وقد يختلف العلماء في تعبيراتهم عن الفطرة ، لكن مبدأ القول بأن هناك اسم فطرة ، وأن التوحيد من طبيعة الإنسان، وهذا ما لاجدال فيه [٣].

إذاً هناك نزعة فطرية نحو خالق هذه الروح يدركها كل إنسان ، وهذا الإدراك عاطفي قلبي ، يشعر بوجود صانع لهذا الكون ،وهو يعلم به علماً حضورياً ؛ لذلك نجد هذا المعنى واضحاً في كلام الإمام علي ـــ عليه السلام ـــ عندما قال:«لَا تُدْرِكُه الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ ، ولَكِنْ تُدْرِكُه الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإيمَانِ » [٤] ، وقول الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء

---

[١]) ينظر: آملي ، العقيدة من خلال الفطرة في القرآن ، ص ٢٩ .
[٢]) ينظر: السبحاني ، مفاهيم القرآن ،ج ١ ، ص ٣٧ ـ ٣٨ .
[٣]) ينظر : مطهري ، الفطرة ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .
[٤]) الشريف الرضي، نهج البلاغة ، ج ١، ص ٢٥٨ ، من خطبة لهً (ع) أفأعبد ما لا أرى ، رقم الخطبة (١٧٩) .

عرفة « ... متى غبت حتى تحتاج إلى دليل ... عميت عين لاتراك ... » [١]، ومن هنا يتبين أن الشبهة ضعيفة وغير كاملة .

ومن خلال تطبيقات المنهج الفطري في القرآن الكريم ، يتبين لنا أن للفطرة مساحة واسعة في الوجدان البشري ، فهذا الوجدان ينفعل ويتفاعل مع مايراه من علامات الظواهر الكونية التي تدفعه إلى الإيمان بخالق هذه الحياة ، وقد نرى ذلك من خلال الظواهر القرآنية التالية .

أَولاً : الرزق :

إن القرآن الكريم يلفت الانتباه إلى قوته ــ عزوجل ــ وحكمته العظيمة في صنعه ، فيحيى فطرته ، ويمهد الطريق لعودة الإنسان لربه وخالقه، ومن الآيات في هذا المجال .

قوله تعالى: **﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾** [٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُم إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾** [٣] .

فإذا تأمل الإنسان في مفردات هذه الآيات الكريمة واستنطقها بذهن مجرد ، سيجد أن الفطرة ترشده إلى الإيمان بخالقه الذي وهبه الحياة والعيش ، فهو يرسل لكم من السماء نور الشمس الذي يهب الحياة ،وقطرات المطر التي تحي الأرض ، والنسيم الذي ينمي الأرواح ، ومن الأرض ينبت لكم أنواع النباتات والفواكه ، وفي باطنها أنواع المعادن والثروات . فلزاماً عليكم أن تعرفوا أن لامعبود سواه، وهو وحده الجدير بالعبادة ، فكيف تنحرفون عن الصراط المستقيم وتجعلون هذا الخالق العظيم واهب الرزق وراء ظهوركم ، وتسجدون لغيره [٤].

إن فطرتك التي خلقها فيك ترفض الخضوع لغيره فلذلك يجب أن تستجيب لهذه الدعوة الإلهية ، فالحديث القرآني يلفت انتباه الإنسان إلى فطرته ، ويمهد الطريق للعودة إلى ربه ، بإخباره أنه ليس هناك سبباً وجيهاً لإنكاره ، بل هي الغفلة التي تبعده لذلك عندما ينبههم الله ـ

---

[١]) القمي: عباس (ت ١٣٥٩ هـ) ، مفاتيح الجنان، تح : محمد رضا النوري النجفي ، الناشر: مكتبة العزيزي ، قم ، د ـ ط ، ١٣٨٥ ش ـ ٢٠٠٦ م ، ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

[٢]) سورة فاطر : آية (٣) .

[٣]) سورة الملك : آية (٢١) .

[٤]) ينظر:الشيرازي ، نفحات القرآن ،ج ٢ ، ص ٢٧٧ .

تعالى ــ إلى الحق فأنهم ينتبهون ويقرون بذلك فإذا سألهم ــ سبحانه وتعالى ــ عن الرزق أو الموت ، فتجدهم يذعنون، ﴿ **فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ [١] . يقول العلامة الطباطبائي في معرض تفسيره لقوله ــ سبحانه وتعالى ــ ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ**﴾ [٢] : " ما قرر في الآية السابقة أن الإعطاء والمنع لله ــ سبحانه ــ لا يشاركه في ذلك أحد واحتج في هذه الآية بذلك على توحده في الربوبية . وتقرير الحجة أن الإله إنما يكون إلها معبوداً لربوبيته وهي ملكة تدبير أمر الناس وغيرهم ، والذي يملك تدبير الأمر بهذه النعم التي يتقلب فيها الناس وغيرهم ويرتزقون بها هو الله ـ سبحانه ـ دون غيره من الآلهة التي أتخذوها لأنه ـ سبحانه ـ هو الذي خلقها دونهم والخلق لاينفك عن التدبير ولايفارقه فهو ـ سبحانه ـ إلهكم لا إله إلا هو لأنه ربكم الذي يدبر أمركم بهذه النعم التي تتقلبون فيها وإنما كان رباً مدبراً بهذه النعم لأنه خالقها وخالق النظام الذي يجري عليها " [٣] .

ثانياً : الحياة والموت :

لقد شغلت ظاهرة الحياة والموت الفكر الإنساني وأخذت منه حيزاً كبيراً ، حيث شكلت مسألة الموت ونهاية الحياة هاجساً للإنسان ، لهذا تجده دائماً يفكر بها ، فتراه يطرح الأسئلة ويسأل نفسه : لماذا أتيت إلى هذا العالم ؟ ولماذا أذهب ؟ وماذا سأواجه بعد الموت ؟

ومن هنا تبدأ فطرة الإنسان تؤدي دورها المحوري وتعود به إلى خالقه ، والقرآن الكريم في موارد عدة يوجه الإنسان إلى حقيقة وجود الله - سبحانه وتعالى - وأنه هو الذي يدير الأمور وهو الرب والوارث والرازق ، وهكذا يزيل عنه الأسئلة التي كان يطرحها ليهز بها ضميره ويوقظه نحو توحيده وعبادته - جلّ وعلا ، وهذا هو الصحيح ، قال تعالى :﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [٤] .

---

[١]) سورة يونس : آية (٣١) .
[٢]) سورة فاطر: آية (٣) .
[٣]) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ،ج ١٧ ، ص ١٥ .
[٤]) سورة الروم : آية (٤٠) .

وكذلك قوله تعالى:﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [1] .

وعند تأملنا في نصـــوص هذه الآيات المباركة نجد أن القرآن المجيد قد ناغم فطرتهم ولامس مشـــاعرهم في خطابه ، وذلك لإبعادهم عن الشـــرك بالله ، لذا نرى أن القرآن الكريم قد خاطب المشركين بهذا الأسلوب ، وقد أشار بعض المفسرين لهذا المعنى : " لعل هذا التعبير هو لأن مسألة المعاد والحياة بعد الموت لها " جنبه فطرية " ، والقرآن هنا لَا يستند إلى معتقداتهم ، بل إلى فطرتهم " [2] .

هذا الكلام في الفطرة بكل مظاهرها، وهي حاضرة في ضمير الإنسان، ويتقبلها رويداً رويدا ليكون راسخاً في إيمانه وعقيدته وتوحيده .

ففطرة الإنسان ستظل دائماً متعلقة بخالقها ، رغم كل ما يصيبها ، فمهما ذهب الإنسان يميناً وشمالا ، فستظل فطرته القلبية مشدودة ومحتاجة لقوة ، تعينه في الشدائد والنوائب ، وسيكون قلبه محتاجاً لإرادة إلهية، تقف معه في السراء والضراء ، وهذا ما حاول البحث إثباته ،عندما تناول المنهج الفطري الذي يعدُّ أحد المناهج القرآنية .

[1]) سورة البقرة : آية (٢٨) .
[2]) الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج ١٢ ، ص ٥٤٤ .

المبحث الثاني: المنهج العقلي والجدلي

المطلب الأول : المنهج العقلي :

لقد منح الله تعالى للإنسان فطرة في معرفته سبحانه عن طريق التدبر والتعقل وجعل العقل آلة للتفكير فبه يحصل الإيمان، فكل إنسان عاقل يتدبر هذا الكون، و ما فيه من مخلوقات و نظام عظيم لا يشوبه خطأ لا بد ان يكون بفعل فاعل حكيم عليم ذي قدرة عظيمة فعال لما يريد، فإنَّ هذا الخلق بكل ما فيه شاهد على وجود خالق وهو العلي القدير، لهذا اعتنى القرآن بالعقل وأعطاه مزية عظيمة، لأن العقل هو أداة التفكير التي يُستنبُط بها، فالعقل هو الحجة الباطنية ، كما أن الرسل هم الحجة الظاهرة، فقد روى هشام بن الحكم عن الإمام الصادق (عليه السلام) : « لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، وأما الباطنة فالعقول » [١] .

وعن الحسن بن عمار، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) : «فالعقل الذي جعله الله زينة لخلقه ونوراً لهم ، فبالعقل عَرَف العباد خالقهم ، وأنهم مخلوقون، وأنه المدبر لهم وأنهم المدبرون ، وأنه الباقي وهم الفانون ، واستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه ، من سمائه وأرضه ، وشمسه وقمره ، وليله ونهاره ، وبأن لهم خالقاً ومدبراً لم يزل ولايزول ، وعرفوا به الحَسَن من القبيح ، وأن الظلمة في الجهل ، وأن النورفي العلم ، فهذا ما دلهم ، عليه العقل » [٢] ، فالعقل معيار التمييز بين الخير والشر ، بل أن فَهْم كل خير يكون بالعقل لذلك يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) :« إنما يدرك الخير كله بالعقل ، ولادين لمن لاعقل له » [٣] .

فالعقل نعمة عظيمة منحنا إياها الله ، وهذه الهبة العظيمة هي طريقة إلهية لتوجيه خطوات الإنسان نحو الأفضل والأكثر كمالاً ، وربما لانجد سورة من القرآن دون أن نجد نصيباً للعقل

---

[١]) الكليني ، الكافي، ج ١، ص ١٦، كتاب العقل والجهل ، ح (١٢) .
[٢]) المصدر نفسه ، ج ١، ص ٢٩، كتاب العقل والجهل ، ح (٣٤) .
[٣]) أبن شعبة الحراني: الحسن بن علي بن الحسين (ت : القرن الرابع الهجري) ، تحف العقول عن آل الرسول ، تح : علي أكبر الغفاري ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ ـ ١٣٦٣ش ، ص ٥٤ .

فيها ، ومن هنا يجب أن نفهم أولاً ماهو العقل ؟ ثم ندخل في تطبيقاته في العقيدة من القرآن الكريم .

أولا : العقل لغةً واصطلاحاً :

١ــــ العقل لغةً : العقل ، مثل أي مفهوم آخر ، له معاني مختلفة في اللغة ، لخصها ابن منظور في ثلاثة أمور رئيسية وهي : النهي بمعنى ـ المنع ـ والجمع بمعنى ـ الحبس ـ . وهي بالنتيجة تدل على معنى واحد هو ــ المنع ــ ، وحتى مفردة الجمع فلو تأملناها قليلاً فإنها تدل على ـ المنع ـ إذ قالوا ؛ : " عقلت البعير إذا جمعت قوائمه أي : تم تقييد حركته " [١]، ولعل سبب المنع لأنها تمنع صاحبها من الوقوع في الأخطاء ، وجاء في مقاييس اللغة أن العقل هو : " الحابس عن ذميم القول والفعل " [٢] ، فالعقل يدرك ما تعلمه ، ويتحكم بما يفهمه، إذا هو عقول وعاقل .

٢ ــ أما اصطلاحاً : ذكرت للعقل تعريفات عدّة في الاصطلاح، فهناك من عرفه بإنّه : " غريزة تقتضي معرفة الضرورات عند سلامة الآلآت " [٣] . أضافة لذلك فإن كلمة ـ العقل ـ " هي كلمة مشتركة بين الكليات النفسية البشرية وبين الموجود المجرد في ذاته ، أما القوى النفسية فيقال فيها عقل علمي وعقل عملي ، وأما العقل العلمي فهو الذي من شأنها الاستعداد المحض من حصول علم ضروري أو كسبي ، أما العملي فيطلق على القوة التي باعتبارها يحصل التمييز بين الأمور الحسنة والقبيحة، وعلى المقدمات التي يستنبط بها الأمور الحسنة والقبيحة ، وعلى فعل الأمور الحسنة والقبيحة" [٤]، وقيل أيضاً : "هو القوة المتهيئة لتقبل العلم ، ويقال عن العلم الذي ينتفع به الإنسان بتلك القوة هو العقل " [٥]، بينما عرفه الجرجاني

---

[١] لسان العرب ، ج١١ ، ص ٤٥٨ـ ٤٥٩ ، مادة (عَقِلَ) .

[٢] ابن فارس ،ج ٤ ، ص ٦٩ ، مادة (عَقِلَ) .

[٣] الحلي: جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن محمد بن المطهّر (ت ٧٢٦ هـ) ، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، تح : حسن زاده الآملي ، الناشر : مؤسسة نشر الإسلامي ـ قم ، ط ٧ ، ١٤١٧ هـ ، ص ٢٣٦ .

[٤] المصدر نفسه ، ص ٢٣٧ .

[٥] الفيروز آبادي : أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت ٨١٧ هـــ) ،بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الناشر : جمهورية مصر العربية ، وزارة الاوقاف ، المجلس الاعلى للشئون الإسلامية – مصر ـ القاهره ، ط ٣ ، ١٤١٦هـ ،ج ٤ ، ص ٨٥ .

، بإنّه : " جوهر مجرد عن المادة ، يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف "، وأضاف أنه : " جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن في فعله ، لذلك هو النفس الناطقة التي يشير إليها الجميع بقول ــ أنا موجود ــ، وهو جوهر روحي خلقه الله ــ تعالى ــ مرتبط بجسد الإنسان، فالعقل نور في القلب يعرف الحق والباطل " [١]، وعرفه الملكي بإنّه :" النور المجرد الذي يفيضه تعالى على روح الإنسان فيجده ويفهم به الفريضة والسنة والجيد والرديء على نحوالعيان والحقيقة " [٢] .

إذاً فإنّ العقل هو : " ملكة وقوة مودعة في الروح ، لإدراك حقائق الأشياء وتمييزها على نحو صحيح وفهمها " [٣].

ثانياً :العقل في القرآن الكريم والسنة الشريفة :

١ ـ العقل في القرآن الكريم : فالقرآن الكريم يصف العقل بإنه : النور الذي أفاضه الله سبحانه على الأرواح البشرية ، وهو ملاك التكليف والثواب والعقاب ، وبه يجب الإيمان وما يترتب عليه وتصديق الأنبياء والإذعان لهم ، وبه يتمايز الحق من الباطل والشر من الخير والرشد من الغي ، وبه يعرف الحسن والقبيح والجيد والرديء والواجبات والمحرمات الضرورية العقلية الذاتية ، ومكارم الأخلاق ومحاسنها ومساوئ الأعمال ورذائلها [٤].

وهو " قوة درّاكة يمكنها أن تجول في ظواهر الحياة والتاريخ والكون والمجتمع ، والعقل في القرآن يتجاوز الظواهر الجاهزة من المعرفة ، من أجل معرفة السبب والغاية " [٥] .

---

[١]) التعريفات ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

[٢]) الملكي : محمد باقر ، توحيد الإمامية ، تح : محمد البياباني الاسكوئي ـــ علي الملكي الميانجي ، الناشر : وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - مؤسسة الطباعة والنشر، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، ص٣٤ .

[٣]) ينظر: آل دوخي : يحيى ، المنهج القرآني في تأصيل العقيدة دراسة تحليلية تطبيقية ، الدليل ، العراق ـ كربلاء المقدسة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، ٢٠١٧ م ، ص ١٨٣ .

[٤]) ينظر : الملكي، توحيد الإمامية ، ص٢١ .

[٥]) حسن : غالب ، نظرية العلم في القرآن ومدخل جديد للتفسير، الناشر: دار الهادي ـــ بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١م ، ص ٧ .

ومن هنا نجد القرآن الكريم يخاطب العقل ويحثه على إعماله ؛ لفهم معرفة الله ـــــ تبارك وتعالى ـ فتارة يستعمل لفظ ـ الألباب ـ ، وأخرى يأتي بلفظ ـ النهى ـ ، وكذلك يستعمل ألفاظ ـ التفكر ـ و التفقه ـ .

وسنورد مجموعة من الآيات الكريمة التي تحمل بين طياتها هذه المفاهيم .

قال تعالى : ﴿ **كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ**﴾ [١] ، وقوله عز وجل : ﴿**هَذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾ [٢] ، وقوله سبحانه : ﴿ **كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ** ﴾ [٣] ، وقوله تعالى في الآيتين الكريمتين من سورة الأنعام : ﴿**قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [٤] ، ﴿**ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ**﴾ [٥] .

إن هذه الآيات المباركة تدل على أن الله قد وهب الإنسان العقل ، وعليه أن يتأمل ويتفكر ليحصل على الحقائق عن طريقه ، ثم يفهمها . لأن ؛ معرفة الله ـــ سبحانه ـــ هي في الأساس حكم عقلي ، ولا يجوز التقليد في مسائل العقيدة ، من التوحيد والنبوة والمعاد ؛ لذلك من الضروري التفكير في نظام الكون بشكل عام ، و التأمل في جمال الخلق بما خلقته القدرة الإلهية ، وكل هذا يكشف أن للعقل أهمية عظيمة ، بحيث يكون طريق وأداة لمعرفته ـ تعالى ـ لذلك ؛ يجعله القرآن مصدرًا أساسيًا للتعرف على كثير من المعارف في جميع جنبات الحياة ، يقول العلامة الطباطبائي واصفاً العقل وفيه : " أن الله تعالى أمر الناس بإعمال العقل والفكر في الآيات الآفاقية والأنفسية إجمالا في موارد من كلامه وتفصيلا في موارد أخرى كخلق السماوات والأرض والجبال والشجر والدواب والانسان واختلاف ألسنته وألوانه وندب إلى التعقل والتفكر والسير في الأرض والنظر في أحوال الماضين وحرض على العقل

---

[١]) سورة البقرة : آية (٢٤٢) .
[٢]) سورة إبراهيم : آية (٥٢) .
[٣]) سورة طه : آية (٥٤) .
[٤]) سورة الأنعام : من الآية (٥٠) .
[٥]) سورة الأنعام : من الآية (٦٥) .

والفكرومدح العلم بـأبلغ المدح وفي ذلك غنى عن البحث في أمور ليس إلا مزالق للاقدام ومصارع للأفهام " [١].

وقد أكد السيد الصدر على أهمية العقل الاستدلالي ومنزلتهُ في الإسلام : " بل لا بد في رأي الإسلام لإنشاء الفكر الحرّ أن ينشئ في الإنسان العقل الاستدلالي ، أو البرهاني الذي لا يتقبّل فكرةً دون تمحيص ، ولا يؤمن بعقيدةٍ ما لم تحصل على برهان ؛ ليكون هذا العقل الواعي ضماناً للحرّية الفكرية وعاصماً للإنسان من التفريط بها بدافعٍ من تقليدٍ ، أو تعصبٍ ، أو خرافة . وفي الواقع أنّ هذا جزء من معركة الإسلام لتحرير المحتوى الداخلي للإنسان ، فهو كما حرّر الإرادة الإنسانية من عبودية الشهوات ـــ كما عرفنا سابقاً ـــ كذلك حرّر الوعي الإنساني من عبودية التقليد والتعصّب والخرافة . وبهذا وذاك فقط أصبح الإنسان حرّاً في تفكيره ، وحرّاً في إرادته " [٢].

فالعقل في المعاجم العربية لهُ خصائص الكبح والألجام ويتميز بصفة الإمساك والحبس ، بينما في القرآن الكريم يخترق العقل الأسرار ، ويتابع العام ليفصله ، ويتغلغل في الغموض لتوضيحه ، ويجمع المعلومات لتحقيق النتيجة. والخلاصة أنه سياحة فكرية وعلمية ومعرفية ، ولا يقتصر عند حدود معينة ، ومهمة العقل تحصيل المعرفة والعلوم بوسائل وأساليب مختلفة [٣].

٢ ـ العقل في السنة الشريفة :

فقد جاء في الكافي الشريف : عن أحمد بن محمد مرسلاً ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : « دعامة الإنسان العقل ، والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم ، وبالعقل يكمل ، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره ، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالما ، حافظا ، ذاكرا فطنا ، فَهِماً ، فعلم بذلك كيف ولم ، وحيث ، وعرف من نصحه ومن غشه ، فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله ومفصوله ، وأخلص الوحدانية لله ، والإقرار بالطاعة فإذا فعل ذلك

---

[١]) الميزان في تفسير القرآن ،ج ٣ ، ص ٥٧ .

[٢]) الصدر: محمد باقر (ت ١٤٠٠ هـ)، المدرسة الإسلامية ، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر ـ قده ـ ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ، ص ١٠٦ .

[٣]) ينظر: غالب حسن ، نظرية العلم في القرآن ومدخل جديد للتفسير ، ص ٣٩ .

كان مستدركا لما فات ، ووواردا على ما هو آت ، يعرف ما هو فيه ، ولأي شئ هو هاهنا ، ومن أين يأتيه ، وإلى ما هو صائر ، وذلك كله من تأييد العقل » [١] .

ودلالة هذه الرواية تنسجم مع روح القرآن ومضمونه ، وتكشف تماماً أن العقل هو دعامة الإنسان في جميع المعارف والعلوم ، فإنَّ إثبات الإنسانيّة للإنسان وتحقّقها وقيام معناها إنّما هو بالعقل كما أنَّ إثبات السقف وقيامه بالعماد لظهور أنَّ الإنسان ليس مجرَّدهذا الهكيل المخصوص وإلاّ لما كان بينه وبين الصور المنقوشة على الجدار أو المصنوعة من الحجروالخشب فارق ، بل الإنسان إنسان بما وجد فيه من العقل الّذي هو منشأ المعارف والكمالات ومبدأ العلوم والملكات [٢].

كذلك روى الكليني (رحمه الله) : عن محمد بن مسلم ، عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) : « لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أَحَبّ إليَّ منك ولا أكملتك إلّا فيمن أحب ، أما إني إياك آمر ، وإياك أنهى ، وإياك أعاقب ، وإياك أثيب » [٣] .

فأن نص الرواية تبين لنا المنزلة العظيمة للعقل وكيف أن الله ــ عزجل ــ كرمه وجعله في المراتب المتقدمة من بين القابليات و الأمكانيات التي وهبها الله للإنسان وكيف لا يجعله كذلك وهو الحجة الباطنة التي يحاجج الله بها الإنسان يوم الحساب .

---

[١]) الكليني ، ج ١، ص ٢٥، كتاب العقل والجهل ، ح (٢٣) .

[٢]) ينظر: المازندراني :مولى محمد صالح (ت ١٠٨١هـ)، شرح أصول الكافي، تحقيق مع تعليقات : الميرزا أبو الحسن الشعراني ، ضبط وتصحيح : علي عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ـ لبنان ،ط ١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠ م ،ج ١، ص ٣٠٥ .

[٣]) الكافي ، ج ١ ، ص ١٠، كتاب العقل والجهل ، ح (١) .

ثالثاً : تطبيقات المنهج العقلي على العقائد في القرآن الكريم :

ومن الأمور التي تكاد تكون واضحة أن خطابات القرآن للإنسان تأتي بمنطق سهل وفعال ، فيخاطب العقل بلغته والوجدان بلغته ، وفي هذا الصدد نذكر بعض الآيات التي تساعد في ترسيخ عقيدة الإنسان من خلال هذا المنهج .

١ ـ الاعتقاد بالصانع المدبر :

قال تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [١].

إن حركة الشمس والنجوم وتعاقب الليل والنهار، وطريقة نمو النبات ، وإحياء الأرض الميتة وحركة الرياح كلها تخضع للقوانين، وترجع نسبتها إلى الله ــ سبحانه ــ بحسب قانون ـ العلة والمعلول ـ ، ومستندة إليه ـ تعالى ـ، وهذه القوانين التي تحكمها ، وراءها حكيم ومدبر، لذلك على الإنسان إعمال عقله حتى ينتهي الى الإيمان بها ، وأنّ لها صانعاً ومدبراً وخالقاً [٢]

فالشيخ الطوسي قد أشار إلى هذه النكتة القرآنية في عظمة الخالق وقدرته ، في ترتيب هذه الموارد وهي خلق السماوات والأرض ، وتعاقب الليل والنهار، ومن ثم حركة الفلك التي تجري في البحر فهي تعطي لنا دلالة واضحة على أن هناك صانع غير مصنوع وقديم لا يشبهه شئ ، قادر لا يعجزه شئ ، عالم لا يخفى عليه شئ ، حي لا يموت واحد ليس كمثله شي ، سميع بصير ، لايعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، لان صفات النقص لا تتناسب معه ـ تعالى ـ ، ويدل على أنه منعم لا يقدر غيره على الأنعام بمثله ، أنه يستحق بذلك العبادة دون غيره [٣] .

---

[١]) سورة البقرة : آية (١٦٤) .
[٢]) ينظر: الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج ٣، ص ١٢١ .
[٣]) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ،ج ٢، ص ٥٥ ـ ٥٦ .

، لذلك يقول العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية القرآنية : " وإجمال الدلالة أن هذه السماوات التي قد علتنا وأظلتنا على ما فيها من بدائع الخلقة ، والأرض التي قد أقلتنا وحملتنا مع عجيب أمرها وسائر ما فيها من غرائب بالتحولات والتقلبات كاختلاف الليل والنهار ، والفلك الجارية ، والأمطار النازلة ، والرياح المرفة ، والسحب المسخرة أمور مفتقرة في نفسها إلى صانع موجد ، فلكل منها إله موجد وهذا هو الحجة الأولى " [1] .

إن سبب هذا الترتيب في الخلق هو عبارة عن رسالة موجهه للمؤمنين وغير المؤمنين فهم مطالبون أن يفهموا ويؤمنوا بهذه الأدلة العقلية لكي يؤمنوا بالله ـ تعالى ـ .

إن ـــ النظام والانسجام ـــ ، دليل على وجود العلم والمعرفة ، وحيثما وجد التنسيق فهو دليل على الوحدة . ومن هنا ، فحينما نرى مظاهر ـــ النظام والانسجام ـــ في الكون من جهة ، والتنسيق ووحدة العمل فيه من جهة أخرى ، نفهم وجود مبدإٍ واحد للعلم والقدرة انبثقت منه كل هذه المظاهر .

فتعاقب الليل والنهار، والظلمة والنور بنظام خاص ، فينقص أحدهما بالتدريج ليزيد في الآخر، هي دلائل على ذاته المقدسة وصفاته المباركة، وما يتبع ذلك من تعاقب الفصول الأربعة، وحركة الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وتكامل النباتات وسائر الأحياء، وفي ظل هذا التكامل في النظام الكوني، فهو يعطينا دليلاً محسوساً على قدرة الله وعظمته ، وتعدُّ آية من آيات وجوده ـ سبحانه ـ [2] .

والآية القرآنية تثبت بوضوح عقيدة الإنسان وتأصيلها في النفس البشرية من خلال العقل ، والنصوص الروائية الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) ناظرة الى هذا المعنى فهي لا تبتعد عن روح القرآن ، لذا نجد أن الإمام الكاظم (عليه السلام) يخاطب هشام بن الحكم بقوله: « ياهشام ، إن الله ـــ تبارك وتعالى ـــ أكمل للناس الحجج بالعقول ، ونَصَر النبيين بالبيان ، ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال: **﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيم، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما**

---

[1]) الميزان في تفسير القرآن ،ج ١، ص ٣٩٦ .
[2]) ينظر: الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج١ ، ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩ .

أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّـــماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْـــرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾» [١] [٢] .

٢ ـ الاعتقاد بالنبوة :

إن للقرآن الكريم منهج خاص في ترســيخ الإيمان بعقيدة النبوة ، حيث يرســخها في أذهان بعض المشركين بإنكار نمط تفكيرهم الساذج ، حيث كانوا يعتقدون أن النبي لا ينبغي أن يكون بشــراً مثلهم ، قال تعالى : ﴿**وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَـــرٗا رَّسُـــولٗا**﴾ [٣] ، فحين جاءهم النبي (صــلى الله عليه وآله) بالحجج والبينات ، دخلت عليهم الشبهة ، في أنه لا يجوز أن يبعث الله رسولا إلا من الملائكة ، كما دخلت عليهم الشبهة في أن عبادتهم لا تصــلح لله ، فوجهوها إلى الأصــنام ، فعظموا الله بجهلهم بما ليس فيه تعظيم [٤] ، فعقولهم لا تقبل بذلك ؛ فطلبوا أن يكون لهذا الرســول ملك يرشــده أويســدد خطاه ، حتى يؤمنوا بـه ، كما نجد ذلك في بعض آيات القرآن، قال تعالى : ﴿ **لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا** ﴾ [٥] ، " ليعلم صــدقه بتصــديق الملك " [٦] ، وقوله سـبحانه : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ** ﴾ [٧] ، فأرادو أن ينزل عليهم الملك ليكون حاملا لأعباء الرســـالة داعياً إلى الله مكان النبي (صلى الله عليه وآله) أو يكون معه رسولا مثله مصدقا لدعوته شاهدا على صدقه كما في قولهم [٨] ، ولكن القرآن الكريم جاء لإنكار هذا الأمر وعمل على أثارة عقولهم ، قال تعالى : ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُـــونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّـــمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا**﴾ [٩] .

---

[١]) سورة البقرة : الآيات (١٦٣ ـ ١٦٤) .
[٢]) الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص ٦١ .
[٣]) سورة الأسراء : آية (٩٤) .
[٤]) ينظر: الطبرسي، مجمع البيان ، ج٦ ، ص ٢٩٤ .
[٥]) سورة الفرقان :من الآية (٧) .
[٦]) الفيض الكاشاني : محمد محسن بن مرتضى بن محمود (ت ١٠٩١ هـ) ، التفسير الصافي ، تح : العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، الناشر : مكتبة الصدر ، طهران ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ ـ ١٣٧٤ ش ، ج ٤ ، ص ٥ .
[٧]) سورة الأنعام : من الآية (٨) .
[٨]) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ج٧ ، ص ٢٠ .
[٩]) سورة الأسراء : آية (٩٥) .

حيث أجاب القرآن الكريم على دعوتهم وشـــبهتهم هذه بأنهم لايؤمنون بهذا النبي إلا أن يكون معه ملك من السـماء في جملة واحدة مليئة بالمعاني والدلالات، وهي أن القائد يجب أن يكون من ســنخ من بعث إليهم، ومن جنس أتباعه، فالإنســان لجماعة البشــر، والملك لجماعة الملائكة ، ودليل هذا التجانس والتطابق بين القائد وأتباعه واضـــح، فمن جانب يعدُّ التبليغ العملي أهم وظيفة في عمل القائد من خلال كونه قدوة وأســـوة لهم ، وهذا لا يتم إلا أن يكون القائد من جنسـهم، ويمتلك نفس الغرائز والمشـاعر، ونفس مكونات البناء الجسـماني والروحي الذي يملكه كل فرد من أفراد مجتمعه، فلو كان الرسـول إلى البشـر من جنس الملائكة الذين لا يملكون الشـــهوة ولا يحتاجون إلى الطعام والمســـكن والملبس، فلا يمكن أن يتمثل معنى الأسوة والقدوة الحسنة لمن بعث لهم [1] .

فمفردة (قل) جواباً لشـبهتهم ، لو كان في الأرض ملائكة يمشـون مثلما يمشـي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها ؛ لَنَزّلنا عليهم من السماء مَلَكًا رسـولاً ؛ لاسـتطاعوا من الاجتماع به والتلقي عنه ، وأما الإنس فعامتهم عماة من إدراك الملك والتلقف منه ، فإن ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس ، وليس إلا لمن يصلح للنبوة [2] . ويخاطبهم الله ـــ تعالى ـــ : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰـهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰـهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ وقوله ـــ عزوجل- : **﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ ثُـمَّ ٱنْـظُـرُواْ كَـيْـفَ كَـانَ عَـٰـقِـبَـةُ ٱلْـمُـكَـذِّبِـيـنَ﴾**[3] . وتفسيرا لذلك ؛ أن الله ـ عزوجل ـ في هذه الآيات المباركة يدعوهم دعوة صريحة لعقولهم بأن تتعاطى وتتفكر وتتأمل وتهتدي الى الإيمان بالنبي الذي جاء لإنقاذهم وتخليصـهم وهدايتهم الى صراط الحق القويم وأخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الإسلام .

وكذلك أنكر القرآن الكريم عليهم مسألة أتهام النبي (صلى الله عليه وآله) بالشعر والسحر التي أتهُم بها النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، حيث قال ـ تعالى ـ في محكم كتابه المجيد : **﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾** [4] .

---

[1]) ينظر: الشيرازي، تفسير الأمثل ،ج ٩ ، ص ١٤٧ .
[2]) الفيض الكاشاني، تفسير الأصفى ،ج ١، ص ٧١٧ .
[3]) سورة الأنعام : الآيات (٩ ، ١١) .
[4]) سورة الشعراء : آية (٢٧) .

والقرآن الكريم يدحض هذه الادعاءات الباطلة من خلال العقل ، ويؤسس لمفهوم النبوة في عقولهم ، وهذا ما نجده صريحًا في قوله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَإِلَّانَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾** [1] .

والمقصود أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمرهم باتباع العقل ، وقال لهم أنما أوصيكم بالموعظة أن تنهضوا وتنتصبوا لوجه الله ، متفرقين حتى يصفو فكركم ، ويستقيم رأيكم اثنين اثنين ، وواحداً واحداً ، وتتفكروا في أمري ، فقد صاحبتكم طول عمري على سدادٍ من الرأي وصدق وأمانة ليس في من جِنة ، ما أنا إلا نذير لكم ، ويذكرهم النبي (صلى الله عليه وآله) بصحبته لهم وأنها ممتدّة أربعين سنة من حين ولادته إلى حين بعثته ، ليتذكروا أنهم لم يعهدوا منه اختلالا في فكر ، أو خفة في رأى ، أو أي شئ يوهم أن به جنونا [2] . أليس هذا دليلًا منطقيًا على صحة نبوتي التي أخبرك بها الله .

٣ـ الاعتقاد بالبعث والحساب :

إن القرآن الكريم يؤسس لنا بالأدلة العقلية مسألة القيامة والحساب ؛ ومن العبث أن يكون وجودنا في هذا العالم من أجل الترفيه واللعب ، ومع هذا لابد من وجود حسابات إلهية دقيقة ، فلا يترك الإنسان عبثًا أبدًا ، ولا بد من تكليفه ثم مكافئته من قبل الله تعالى في الآخرة .

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾** [3] .

وهذا الكلام شامل للناس جميعاً حتى لايصيبهم الشك بيوم القيامة ، وحتى لو كان هذا الشك وارداً فدليل العقل واضح وشاهد على خلقكم بهذا التدرج الرتبي ، وهذا دليل على القدرة والحكمة التي يمتلكها الخالق ــ عزوجل ــ فإنهّ خلق أصل البشرية ، وهو آدم (عليه السلام) من تراب فمن قَدّرعلى أن يصير التراب بشراً سوياً حياً في الابتداء قَدّر على أن يُحيي العظام ويُعيد الأموات ، ثم خلقنا نسله من نطفة في الأرحام ، ثم من علقة وهي قطعة من اللحم الجامد حتى تنتهي الى المضغة وهو مقدار ما يمضغ من اللحم ، يكسوها عظاماً وهكذا الى

---

[1]) سورة سبأ : آية (٤٦) .
[2]) ينظر:الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ،ج ١٦ ، ص ٣٨٨ .
[3])سورة الحج : من الآية (٥) .

أن يتكون الجنين في رحم أمه ، لذلك هو قادر على ما بدأه ، وهذا يبين لنا قدرته وحكمته وعلمه ـ سبحانه وتعالى ـ [١].

إن الله تعالى، ومن خلال هذه الآثار التي يراها الإنسان بالعين المجردة ، يزودنا بأدلة عقلية لإثبات إيمان الإنسان، وأن البعث ممكن، فظاهرسياق الآية يدل على ذلك وأنه يجب أزالة الريب عنكم، فإن مشاهدة الانتقال من التراب الميت إلى النطفة ثم إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم إلى الإنسان الحي،لاتدع ريباً في إمكان تلبس الميت بالحياة [٢].

فكل الأدلة تشير إلى هذه الحقيقة، وهذا ما نجده في صريح القرآن الكريم ، من خلال قوله تعالى:﴿ **أَيَحْسَبُ ٱلإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ (٤٠)** ﴾ [٣] .

ولتوضيح ذلك؛ فإن من المعلوم لدى الجميع ان عمل العقل هو ملاحظة الأشياء، وتمييز بعضها عن بعض، والبحث عن عللها وأسبابها، ثم استنتاج الحقائق، وكثيرا ما تنتقل من حقيقة عقلية إلى أخرى مثلها، فتكون العملية ذهنية تأملية صرف [4] .

وبناء على ذلك فعمل العقل هنا أنه لايريد أن تكون هذه الحياة عبثية ، أوأنها بدون خالق أو مدبرلهذه النفس البشرية ، لذا فهو الوحيد من يملك الحكمة والقدرة على أن يحييها ثم يميتها ثم يقوم بنشرها ، وكل ذلك سهل يسير عليه ـ سبحانه وتعالى ـ لأنه هو المسبب والموجد لها .

ومن الأدلة التي أوردها ـــ سبحانه وتعالى ـــ بهذا الخصوص ، وهو أخراج الأشياء من أضدادها مثل أخراج الحي من الميت وكذلك الميت من الحي

---

[١]) ينظر:الطبرسي ، مجمع البيان ،ج ٧ ، ص ١٢٨ .
[٢]) ينظر: الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ،ج ١٤ ، ص٣٤٤ .
[٣]) سورة القيامة : الآيات (٣٦ ـ ٤٠) .
[٤]) ينظر: مغنية : محمد جواد (ت ١٤٠٠ هـــ) ، الإسلام والعقل ، الناشر : دار و مكتبة الهلال ، لبنان ـ بيروت ، ط ١، ١٤٢١ هـ ، ص ٤٠ .

قوله تعالى:﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ**﴾ [1] .

فقول الماديون ، أن المادة هي التي تنشـــئ الحياة والموت ، أنما هو أمر مخالف لقوانين العقل ، فهناك قوة وراء المادة تهب الحياة لمن تشاء وتمنعها عمن تشاء ، حيث كما أخرج الله النبات الحي من الأرض الميتة يخرج الإنســـان حيا من قبره ، وكما أحياه ، ولم يكن شـــيئا مذكورا يحييه تارة أخرى بعد أن يصبح ترابا وعظاماً ، فأين مكان الغرابة في هذا الشيء [2] ، لذلك نجد أن ميدان المعاد وميدان نهاية الدنيا المتمثل أحدهما بخروج الحي من الميت، والآخر بخروج الميت من الحي، يتكرران أمام أنظار الناس، فلا مجال للتعجب من أن تحيا الكائنات جميعا، ويعود الناس في يوم القيامة إلى الحياة مرة أخرى [3] .

وختاماً ... فالقرآن الكريم استعان بالبراهين والأدلة العقلية لإثبات العقيدة، وأمرهم بالتفكر والتدبر والنظر في آيات الله تعالى الكونية، ليستدلوا على أن هناك صـانع ومدبر قد اوجد كلّ شـيء، فهو الذي خلقهم واوجدهم بعدما لم يكونوا شـيئاً مذكورا، فكل هذا الخلق هو راجع إلى قانون العلة والمعلول، فإنّ لكل معلول علة موجدة لهذا الخلق، ومدبره لهذا الكون، وهو الله تعالى .

---

[1]) سورة الروم : آية (١٩) .
[2]) ينظر:مغنية، تفسير الكاشف ،ج ٦ ، ص ١٣٥ .
[3]) ينظر: الشيرازي، تفسير الأمثل ،ج ١٢ ، ص ٤٨٩ .

المطلب الثاني : المنهج الجدلي :

من يتأمل في آيات القرآن الكريم يجد أن قواعد الإيمان والعقيدة ليست مفروضة قسراً ، بل على العكس ، فقد وهب الله عز وجل العقل للأنسان ، لذلك كان للنقاش والجدل دورا كبير ، لا سيما في الأمور التي تمس عقيدة الإنسان ، إن طريقة الإقناع بالحجة المنطقية والإثبات هي أفضل طريقة للوصول إلى الحقيقة ، ولكن يجب أن تكون هذه الطريقة هي الأفضل والأكثر تسامحًا وخير مثال على ذلك قوله تعالى للمشركين الذين قالوا :﴿ **إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَآءَكُمْ** ﴾ [١] ، فنرى التلطف والرفق في قوله تعالى : ﴿ **قَلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ** ﴾ [٢] .

أولاً : الجدل لغةً واصطلاحاً :

١ ـــ الجدل لغةً : للجدل معان كثيرة في اللغة منها : " اللَّدَدُ في الخُصومة والقدرةُ عليها ، ومنها شِدَّة الفَتْل، ومنها المناظرة والمخاصمة ، والمراد به الجَدَلُ على الباطل وطَلَبُ المغالبة به لا إظهار الحق " [٣] ، قال تعالى : ﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [٤] .

وقيل : " هو التَّخاصُمُ بما يَشْغَلُ عن ظُهورِ الحَقّ ووُضُوح الصَّواب ، ثم استُعمِل على لِسانِ حَمَلَةِ الشَّرع في مُقابَلَةِ الأَدِلَّة ؛ لظُهور أَرْجَحِها ، وهو محمودٌ إن كان للوُقوفِ على الحَقّ ، وإلّا فمذمومٌ " [٥] .

٢- أما اصطلاحاً : فهو" المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم " [٦]، "والغرض منه افحام من هو قاصر عن إدراك مقدّمات البرهان، ودفع المرء خصمه عن افساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة، لذلك أصبح الجدل

---

[١]) سورة الزخرف : من الآيات (٢٣، ٢٤) .
[٢]) سورة الزخرف : آية (٢٤) .
[٣]) أبن منظور ، لسان العرب ، ج ١١ ، ص ١٠٣ ـ ١٠٥ ، مادة (جدل) .
[٤]) سورة النحل :من الآية (١٢٥) .
[٥]) الزبيدي، تاج العروس ، ج ١٤ ، ص ١٠٢ ، مادة (جدل) .
[٦]) التفتازاني : سعد الدين بن مسعود بن فخر الدين عمر بن عبدالله (ت ٧٩٢هـ) ، شرح المقاصد ، الناشر : الشريف الرضي ، افست ـ قم ، ط ١ ، ١٤٠٩ ق ،ج ١ ، ص ٤٨ .

مراد يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، أي إثباتها " [١] ، فهو يستعمل في لغة حملة الشرع كما سبق ذكره بالمعنى اللغوي في مواجهة الأدلة ، فهو محمود إذا كان لإثبات الحق، وإلا هو مذموم، وقد تواترت الأحاديث في ذم الجدل والنهي عنه، إلا أن الجدل في القرآن يختلف عما هو معتاد ، من النزاع والصراع، بل هو مناظرة مبنية على دليل واضح يفهمه المخاطب ، قال تعالى : ﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [٢].

لقد اتخذ القرآن الكريم منهجاً ومسلكاً في إقرار وتثبيت العقيدة الإسلامية ، حيث يقوم هذا المنهج على تصريف وتفصيل الآيات بشكل لا يخلو من الموضوعية والمنطقية ،قال تعالى : ﴿ **انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾ [٣]، والمقصود بتصريف الآيات أي : انظر كيف نوضح لهم المعالم والدلائل على أمل أن يفهموا الحقائق ويعودوا إلى الله [٤] .

ثانياً : تطبيقات المنهج الجدلي في القرآن الكريم :

إن الجدل في القرآن الكريم مبني على أساس العقل، كما بينا سابقاً ، لذلك استعمله القرآن في حواراته مع الكفار والمعاندين وهذا ما سوف نجده في كثير من الآيات, وهذا أنسحب على أحتجاجات النبي (صلى الله عليه وآله) وجداله مع قومه من الكفار أو غيرهم, لذلك جرت العادة أن كل من يريد إثبات الحق أو دفع الظلم لابد له من طريق يسلكه حتى يتوصل الى غايته ، وهدفه وهو إظهار الحق والإيمان به، على نحو مقنع ومرضي للآخرين، وخاصة أولئك الذين يريدون البحث عن الحقيقة ، وقد سجل القرآن الكريم عدداً من الحقائق والاعتراضات على المشركين وغيرهم وإبطل حججهم ببيان شامل وأدلة دامغة لهم ، ومن الطرق التي اتبعها القرآن لغرس الإيمان في هذا المسلك :

---

[١]) الجرجاني، التعريفات، ص ٣٣ .
[٢]) سورة النحل : آية (١٢٥) .
[٣]) سورة الأنعام : من الآية (٦٥) .
[٤]) الشيرازي، تفسير الأمثل ،ج ٤ ، ص ٣٢٦ .

١ ـ وجود الله سبحانه وتعالى :

إن الاستدلال على وجود الله تعالى إنما يتم عن طريق وجود الأثر من خلال وجود المؤثر، وهذا ما يتبين في سيرة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) ومناظراته مع قومه، إذ قال لهم ، قال تعالى : ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ** ﴾ [١] ، وكانت المحاججة على سبيل الافتراض والمماشاة للوصول إلى الهدف، وهو أقامة الدليل على وجوده سبحانه ، حيث استدل بالآية على وجود الكواكب والقمر وغيرها من المخلوقات الأخرى ، وحقيقة هذا الحدوث، والحادث يحتاج إلى سبب ينتهي إليه، وهو الله سبحانه وإلا فإنه سوف يستلزم الدور أو التسلسل في المؤثرين إلى ما لا نهاية ، وهذا مستحيل عقلاً.

وبهذا الصدد يعلق العلامة الطباطبائي على هذه الآية فيقول : " يدل على أنه عليه السلام إنما كان يأخذ ما يلقيه من الحجة على أبيه وقومه مما كان يشاهده من ملكوت السماوات والأرض ، وقد أفاض الله سبحانه اليقين الذي ذكره غاية لاراءته الملكوت على قلبه بهذه المشاهدة والرؤية ، وهذا أوضح شاهد على أن الذي ذكره عليه السلام من الحجة كانت حجة برهانية ترتضع من ثدي اليقين ، وقد أورد في ذلك قوله : لا أحب الآفلين " [٢] .

٢ ـ وحدانية الله سبحانه :

تثبت وحدانية الله تعالى في الجدل القرآني عن طريق قانون وبرهان التمانع ، وهذا يفند ادعاءات المشركين في قضية الوحدانية ، عندما رد عليهم، قال تعالى : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾[٣] .

ومعنى قوله تعالى أنه " لو كان في السماء والأرض آلهة سوى الله ، لفسدتا وما استقامتا ، وفسد من فيهما ، ولم ينتظم أمرهم ، وهذا هو دليل التمانع الذي بنى عليه المتكلمون مسألة التوحيد ، وتقرير ذلك : أنه لو كان مع الله ـ سبحانه ـ إله آخر ، لكانا قديمين ، والقدم من أخص

---

[١] سورة الأنعام : الآيات (٧٦ ـ ٧٧) .
[٢] الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ج٧ ، ص ١٨٤ .
[٣] سورة الأنبياء : آية (٢٢) .

الصفات ، فالاشتراك فيه يوجب التماثل ، فيجب أن يكونا قادرين عالمين حيين . ومن حق كل قادرين أن يصح كون أحدهما مريدا لضد ما يريده الآخر من إماتة وإحياء ... ونحو ذلك . فإذا فرضنا ذلك فلا يخلو إما أن يحصل مرادهما وذلك محال ، وإما أن لا يحصل مرادهما ، فينتقض كونهما قادرين . وإما أن يقع مراد الآخر فينتقض كون من لم يقع مراده من غير وجه منع معقول قادرا . فإذا لا يجوز أن يكون الإله إلا واحدا " [١] .

وكذلك من أدلة وحدانية الله ـ عزوجل ـ دعوة الأنبياء (عليهم السلام) إلى الله الواحد الأحد ، وهو دليل آخر على وحدانية الله ، إذ لو كان هناك خالقان كل واحد منهما واجب الوجود في العالم ، لاستلزم أن يكون كل واحد منهما منبعا للفيض . فلا يمكن لوجود ذي كمال مطلق أن يبخل في الإفاضة لأن عدم الفيض نقص بالنسبة للوجود الكامل .

وحكمته تستوجب أن يشمل الجميع بفيضه ، وهذا الفيض له نوعان : فيض تكويني في ـ عالم الخلقة ـ ، وفيض تشريعي ـ في عالم الهداية ـ . من هنا لو كان هناك آلهة متعددة لوجب أن يأتي مبعوثون منهم جميعا، ليواصلوافيضهم التشريعي إلى الناس [٢] .

لذلك يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في وصيته لولده الإمام الحسن(عليه السلام) وهو يوصيه : " واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثارملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه ..." [٣] .

وبذلك يمنع الفساد الذي تدعيه الوثنية ويؤكد وحدانية الله الواحد الأحد .

٣ ـ معرفة النبي والتصديق بنبوته :

من المعلوم والواضح ان لكل أسلوب عدّة طرق، تتبع للوصول الى النتيجة المطلوبة ، ومن الطرق التي تتبع ، طريق الأقناع وهي إلزام الخصم بما يعتقد به ، ونرى هذا الأسلوب واضحاً وجلياً في عدد من الآيات وعلى رأسها الآيات التي تطرقت إلى شأن اليهود وعدم أعترافهم بنبوة النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله) ، منكرين نزول شي فيها ،قال تعالى

---

[١]) الطبرسي ، مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ٧٩ ـ ٨٠ .
[٢]) الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج٢٠ ، ص ٥٥٩ ـ ٥٦٠ .
[٣]) الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ج١ ، ص ٣٩٦ .

: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾ [1]، إن السبب في نزول هذه الآية المباركة كما ذكر ذلك الواحد النيسابوري بسند مفصل عن أبن عباس : " قالت اليهود : يا محمد أنزل الله عليك كتابا ، قال : نعم قالوا : والله ما أنزل الله من السماء كتابا فأنزل الله تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس " [2] ، ومعنى الآية الكريمة يدل على التزامهم بما كانوا يعتقدونه من قبل، وهو أن الله تعالى أنزله على بشر، وهو موسى (عليه السلام) الذي أنتم تعترفون به. بل كذبوا وادعوا النفي المطلق ﴿ **إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ** ﴾ وقد رد الله تعالى هذا الادعاء بما يعترفون به أنفسهم، بتأكيد جزئي ينافي ذلك النفي الكلي. لأنهم يعترفون بالتوراة وهي بين أيديهم، كما أنهم أصحاب كتاب، وبذلك تبطل دعواهم بهذا الأسلوب المقنع في إلزامهم، فيسقط ما في أيديهم ويعترفون ويصدقون بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) ويؤمنون برسالته [3] .

٤ ـ إثبات عقيدة المعاد :

هنالك مجموعة طرق لأثبات المعاد ، منها : برهان التمثيل، ونقصد به إسناد أمر إلى آخر، بأن يبني صاحب المحاجة دعواه على أمر معلوم عند المخاطبين به، أو على أمر ظاهر بديهي ،لا تنكره العقول ، وقد استعمل القرآن الكريم هذه الأدلة بدقة وحكمة بالغة، فجمع بين الحقائق القرآنية والحدس العقلي، وهذا ما نراه بوضوح قال تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)** ﴾ [4] .

---

[1]) سورة الأنعام : آية (٩١) .

[2]) الواحدي النيسابوري : أبو الحسن علي بن احمد بن محمد أبن علي (ت ٤٦٨ هـ) ، أسباب نزول الآيات، الناشر:مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ـ ط ، ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م ، ص ١٤٧ .

[3]) ينظر: آل دوخي، المنهج القرآني في تأصيل العقيدة دراسة تحليلية تطبيقية ، ص ١٩٤ .

[4]) سورة يس : الآيات (٧٨ ـ ٧٩) .

" إشـــارة إلى أنه تعالى لا ينســـى ولا يجهل شـــيئا من خلقه فإذا كان هو خالق هذه العظام لأول مرة وهو لا يجهل شيئا مما كانت عليه قبل الموت وبعده فإحياؤه ثانيا بمكان من الامكان لثبوت القدرة وانتفاء الجهل والنسيان " [١] .

فاســتدل بالبدء على التكرار، والخلق الأول على الخلق الآخر، وهذا نوع من التشــبيه بين الشيئين. إذ يعلم كل عاقل أنه لا بد من أن من يقدر على الخلق الأول قادر على الإتيان بالخلق الآخر ، وأنه لو كان عاجزا عن الثانية كان عاجزا عن الأولى، وبما أن الخلق يتطلب قدرة الخالق على المخلوق و علمه بتفاصيل خلقه، تابع ذلك بقوله ،﴿**وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾ [٢] ، فهو عالم بتفاصـيل الخلق الأول وأجزائه ومواده وصـورته، وكذلك الثاني هو نفســه، ولو كان له العلم الكامل والقدرة الكاملة، فكيف يستحيل عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟

ومما ســـبق يتبين أن المنهج الجدلي هو منهج يعتمد في أغلبه على البرهان العقلي الدقيق، وأســاس هذا النقاش هو الإقناع بالتي هي أحســن، وهو خير وســيلة لبيان الحق وإثباته وإبطال الباطل [٣] .

---

[٢]) الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ١٧ ، ص ١١٢ .

[٢]) سورة يس : من الآية (٧٩) .

[٣]) ينظر: آل دوخي ، المنهج القرآني في تأصيل العقيدة دراسة تحليلية تطبيقية ، ص ١٩٥ .

المبحث الثالث : المنهج القصصي

أهتم القرآن الكريم بالجانب القصصي؛ لأن القصة تحتوي على خصائص كثيرة، ولعل أهمها الأثر النفسي الذي تتركه القصة على ضمير الإنسان وعقله، لذلك نرى أن القصة أخذت حيزاً واسعاً في المحتوى القرآني ، بحيث تصل إلى ربع القرآن أو ثلثه ، وهدفها النهائي تحديد مسائل الإيمان وتأصيلها وتعميقها في النفوس من خلال الطريقة العقلية، أو العاطفية التي تنسجم مع الطبيعة البشرية وشعورها بوحدانية الله ـ عزوجل ـ .

المطلب الأول : القصّة في اللغة والقرآن الكريم :

أولاً : القصّة لغةً: عرفت بأنها : " تَتَبُّع الآثر، وتقصص الخبر : تتبعه ، واقتصت الحديث : رويته على وجهه، وقص عليه الخبر قصصاً " [١] . والقصص : " الاخبار المتتبعة " [٢] ، قال تعالى:﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [٣] ، لذلك فإن القصة هي عبارة : الإخبار عن شيء ما أو تتبع مسارٍ معينٍ أي أن الثانية تتبع الاولى .

ثانياً : القصّة في القرآن الكريم : عرفت بأنّها : "هي كل خبر جاء بين دفتي المصحف ، يخبر به الله ــ تعالى ــ رسوله محمد (صلى الله عليه وآله) عن أحداث الماضي بقصد العِبَرة والتوجيه ، سواء كان ذلك ، بين الرسل وشعوبهم ، أو بين الأمم السابقة أفراداً وجماعات " [٤] ، ولاشك أن أسلوب الحكاية في القرآن الكريم كان منمازاً عن الأسلوب المشهور للقصة في التراث الأدبي والإنساني، حيث اكتفى القرآن الكريم بذكر الأحداث بشكل عام أحيانا، ودون ترتيبها الزماني أحيانا اخرى، أو الانتقال من حدث إلى آخر بخصم جزء من الأحداث ثالثاً، بالاضافة إلى الاستطراد في التعرض للمفاهيم والحقائق العقائدية، أو الأخلاقية، أو الكونية، أو الشرعية، و غير ذلك من الخصائص التي قد تثير ملاحظة حول أسلوب القصّة في القرآن

---

[١]) ابن منظور، لسان العرب ،ج ٧ ، ص ٧٤ .
[٢]) الراغب الاصفهاني، مفردات غريب القرآن ، ص ٤٠٤ .
[٣]) سورة آل عمران : آية (٦٢) .
[٤]) العدوي : محمد خير محمود ، معالم القصة في القرآن الكريم ، دار العدوي ، الأردن ، د ــ ط ، ٢٠٠٢ م ، ص ٣٦ .

الكريم، تخرج القصّة فيه عن كونها عملا فنياً مستقلاً له أهدافه الخاصة، وبذلك تفقد القصّة في القرآن الكريم هويتها الخاصة [١] .

وتتخذ القصص القرآنية نهجاً واضحاً في الموضوع والأسلوب لاداء أهدافها وغاياتها بقدر مايتعلق الامر بالموضوع ، فهي نسيج من الصدق الخالص و الحقيقة المصفاة ، دون أي عيب في الخيال ، فهي لبنة من لبنات البناء الواقعي ، بدون زخرفة أوتظاهر أو ادعاء [٢] ، و هي : عبارة عن حقيقة وأقعة غير قابلة للشك فيها ، تتحدث عن أخبار حقب تاريخية مختلفة تتعلق بواقع الأمم السابقة [٣] ، فهي تسهم في بيان مضمون النص وإيضاحه للقارئ ؛ لأنها متجذرة أكثر في العقول فهي تعبر عن وقائع وحقائق تساق للهداية في القرآن الكريم ، لأنه يأخذ من القصة مايحقق هدفه ومبتغاه في تهذيب النفس البشرية ووعظها، لذلك قد يكون الدافع من وراء ذكر القصص في سور القرآن هو من أجل بيان قدرة الله سبحانه وتعالى لهداية الناس[٤].

" فالقصة المعروضة في القرآن لاتحتوي على خيال ولا شعر، بل هي قصة واقعية وصادقة، فالقرآن لا يريد مِنّا أن نقرأ التاريخ والقصص فحسب، بل يقول أمعنوا النظر في بداية القصة وبداية التاريخ، وسيروا في الأرض شاهدوا وأشهدوا، فالقرآن لايقص

قصة ــ من هو ــ بل يقص قصة ــ ماهو ــ فهناك فرق كبير بينهما ، الأول يشمل الزمان والمكان ، أي متى وقعت القصة وكيف ، أما الثاني ـ ماهو ـ فهو يسأل عن التاريخ ، والتاريخ

---

[١])ينظر: الحكيم : محمد باقر (ت ١٤٢٥ هـ)، القصص القرآني، الناشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية ، قم ـ ايران ، ط ٢ ، ١٣٧٤ هـ ، ص ٧٤ .

[٢])ينظر: الخطيب :عبد الكريم ، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، بيروت، دار المعرفة ، د ـ ط ، ١٣٩٥ هـ ، ص ٩ .

[٣]) ينظر: البغا : مصطفى ديب ، مستو :محيي الدين ديب، الواضح في علوم القرآن، الناشر: دار الكلم الطيب ـ دار العلوم الانسانية ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م ، ص ١٨١ .

[٤]) ينظر : حسن : حسين حميد ، القصة القرآنية وأثرها في ديوان الخلفاء ، مجلة آداب الكوفة ، العراق ، النجف الأشرف ، المجلد الأول، العدد السادس والخمسون، ٢٠٢٣ م ، ص ٢٣٣ .

يدور عادة على الذي قام في الأمر ، بأي دافع ولأي هدف ، وبأي شـــكل تشـــكلت ، ولهذا تميزت القصة القرآنية عن غيرها " . [١] .

" وقصـص القرآن تخبرنا عن أحوال الأمم السـالفة ، والنبوات السـابقة ، والأحداث التي حدثت وقد أحتوى القرآن على كثير من وقائع الماضـي ، وتاريخ الأمم ، وذكر البلاد والعباد ، وتتبع آثار كل قوم ، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه " [٢] .

" والذي يتابع القصـــص في القرآن يجد أن كل أحداثها تدورفي دائرة الدعوة الى الله ، وكذلك الى ترسـيخ العقيدة وتنقيتها من الشـوائب ، وتوجيهها الى عبادة الله سـبحانه وتعالى؛ ولذلك كانت دعوات الأنبياء إلى الإيمان بالله وتوحيده هي المحور الأساسي في القصة القرآنية ، فأصـبحت تسمى القصـة القرآنية باسم صـاحب الدعوة ، فيقال قصـة نوح، وقصـة إبراهيم، وقصة يوسف، وقصة موسى (عليهم السلام) " [٣].

[١]) آملي : جوادي ، القصة في القرآن ، مجلة التوحيد ، ايران ، قم المقدسة ، العدد الثلاثون ، ١٣٦٦ هـ ـ ش ، ص ٢٣ .

[٢]) القطان : مناع ، مباحث في علوم القرآن ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠ م ، ص ٣٠٦ .

[٣]) الخطيب ، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص ٤٣ .

المطلب الثاني : خصائص القصة في القرآن الكريم :

إن الهدف الأساسي من إيراد القصص في القرآن الكريم ، هي من أجل دعوتهم للتوحيد وما تحث عليه من خلق قويم ، ونهيها عن الفساد والشرك ، وما تثبته من أدلة على صدق ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قال تعالى :﴿ **فاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهم يَتَفَكَّرُون** ﴾ [١] [٢].

فالقصص القرآني " جاء لتأكيد المبادئ الأساسية للعقيدة الإسلامية ، والاستشهاد بكل ما يؤدي إلى إقناع المخاطب " [٣] .

ويمكن بيان أهم خصائص القصة في القرآن الكريم كالآتي :

أولاً : الإيجاز في العرض : لقد أنمازت القصّة في القرآن الكريم " بعدم الإفاضة في الحديث عن التفاصيل ، فاقتصرت على رسم ملامح الصورة عن الأشخاص الذين تحدثت عنهم ، حتى لا تعدُّ القصة ملهاة لإثارة الفضول وإشباعه ، لتكون الأمور الجزئية التفصيلية أساسا في حركة القصة ، بل يراها درسا فكريا أو عمليا ، من خلال ما توحي به الملامح البارزة التي تمثل حركة القضية المطروحة في السير العملي للشخصيات " [٤].

ثانيا : التأثير التربوي والروحي : فالقصص القرآني لم تُذكر لأجل الإخبار عن الواقع التاريخي ، أو هي - مثلًا - قصص تخيّليّة كلّها أو غالبها أو بعض فصولها وأحداثها ، فهي ليست للعرض التاريخي ، وإنّما هي للهداية والتأثير التربوي ، فكما أنّ الروائيين والقصّاصين الكبار في العالم يكتبون رواياتهم الأدبيّة المذهلة عن بعض الأحداث التاريخية ؛ فإنهم ليسوا بصدد الإخبار عن تلك الأحداث ، بل إن هدفهم من ذكر تلك الأحداث ، هو الاستفادة منها وأخذ العبِرة ، كذلك الحال في النصّ القرآني تماماً ، فهو لا يريد الإخبار عن الواقع ، وإنما

---

[١]) سورة الأعراف : من الآية (١٧٦) .

[٢]) ينظر : رضوان : عمر بن إبراهيم ، أراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ، الناشر : دار طيبة ، عربستان ـ الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، ج ٢ ، ص ٦٠٤ .

[٣]) النبهان : محمد فاروق ، المدخل إلى علوم القرآن الكريم ، الناشر : دار عالم القرآن ، حلب ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م ، ص ٢٥١ .

[٤]) فضل الله ، من وحي القرآن ،ج ١٤ ، ص ٣٨٣ .

يخلق قصّةً بهدف التأثير الروحي والتربوي في الإنسان ، وأخذ العبِر من أخبار الأمم السالفة [١] .

ثالثاً : الواقعية ، والصدق ، والحكمة ، والأخلاقية : وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المميزات ،قال تعالى: **﴿لَقَدْ كانَ في قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الألْبابِ ما كانَ حَدِيثًا يُفْتَرى ولَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وهُدًى ورَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون ﴾** [٢] .

١- **الواقعية :** هي ذكر أحداث وقضايا وصور في القصص القرآنية تتعلق بواقع الحياة الإنسانية ومتطلباتها المعاشة في مجرى التاريخ الإنساني ، على عكس أن تكون القصّة إثارة وتعبيرا عن الصور ، أو التخيلات ، أو أمنيات ، أو رغبات يطمح إليها الإنسان ، أو يتمناها في حياته ؛ وذلك لأنّ القرآن الكريم يريد من ذكر القصّة وأحداثها أن يعيد قراءة تاريخ البشرية والقضايا الواقعية الماضية ، التي عاشتها الأمم السابقة والرسالات الإلهيّة، وأن تستمر هذه القراءة في الحاضرالحالي من قبل الإنسان ، ويستفيد منها ويأخذها بعين النظر في كل مجالات حياته وحركاته ومواقفه وتطلعاته نحو المستقبل والكمالات الإلهيّة .

٢- **الصدق :** أما الصفة الثانية التي أنمازت بها القصة في القرآن الكريم ، فهي الصدق في سرد الأحداث والحقائق التاريخية التي تعرّض لها الأنبياء وأقوامهم خلال حياتهم ، على عكس الأكاذيب والانحرافات الباطلة في الفهم والسلوك ، أو الأساطير التي ارتبطت بقصص الأنبياء في كتب العهدين المعروفين ، بسبب ضياع الحقائق وتحريفها بقصد أو بغير قصد أو عن طريق الاشتباه أو الجهل [٣] .

٣- **الحكمة :** والميزة الثالثة للقصة القرآنية هي الحكمة ، وهنا يجب الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم - باعتبار هذه الخاصية - اقتصر في ذكر الأحداث التاريخية على ما يتعلق بهذه الخاصية وهذا الهدف ، ولعل الآية القرآنية السابقة من سورة يوسف أشارت إلى هذه

---

[١]) ينظر: حب الله : حيدر، إضاءات في الفكر والدين والأجتماع ، الناشر : مؤسسة البحوث المعاصرة ، ط١، ١٤٣٤ هـ ، ج٤ ، ص ١٢ .

[٢]) سورة يوسف : آية (١١١) .

[٣]) ينظر: الحكيم، القصص القرآني، ص ٢٤- ٢٥ .

الخاصية﴿**وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [١]، إلى قاعدة - ينفتح من كل باب ألف باب - وهي تشبه قوله تعالى﴿**تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [٢]، وكذلك ماجاء في روايات أهل البيت (عليهم السلام)أنّه جاء في القرآن كلّ شيء، وهذا على عكس ما إذا كانت القصة في القرآن الكريم للتسلية فقط أو لتسجيل الأحداث والحقائق التاريخية، كما هو الحال في كتب التاريخ، فإن ذلك قد يتطلب التوسع بذكر الأحداث والتفاصيل، وخاصة المثيرة منها والمسلية .

٤- الأخلاقية : أما أخر المزيات، فهي الأخلاقية إذ أن تربية الفرد على الأخلاق الإنسانية الرفيعة ، في مقابل التركيز على الأحاسيس والانفعالات في شخصية الإنسان ، والتربية على الاهتمام بالغرائز .

التربية على الأخلاق الإنسانية الرفيعة، بدلاً من التركيز على المشاعر والعواطف في شخصية الإنسان، والتعليم على الاهتمام بالغرائز.

وإنّما اتّصفت في القرآن (بالأخلاقية) ؛ لأنّ المسيرة والحركة التكاملية للإنسان - سواء على مستوى الفرد أو الجماعة - إنّما تقوم على أساس الأخلاق بعد العقيدة بالله تعالى والرسالات واليوم الآخر ، بل إنّ الاتصاف بالأخلاق العالية هو الذي يمثل عنصر التكامل الحقيقي في حركة الإنسان الفردية والجماعية ، ولذا كانت قاعدة المجتمع الإنساني في نظرالإسلام قاعدة أخلاقية، والسلوك الراقي للإنسان هوالسلوك الأخلاقي . وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله : « إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » [٣] .

لذا جاءت القصّة في القرآن الكريم ذات طابع أخلاقي وللتربية على الإيمان بالله والأخلاق ، مثل الإيمان بالغيب ، أو على التسليم والخضوع لله تعالى والحكمة الإلهية ، أو على الأخلاق الإنسانية العالية ، كالصبر والإخلاص والحبّ لله تعالى والتضحية في سبيله والشجاعة والاستقامة في العمل والقدوة الحسنة [٤] .

---

[١]) سورة يوسف : من الآية (١١١) .
[٢]) سورة النحل : آية (٨٩) .
[٣]) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣٨٢، في تفسير قوله تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم) ، ح ١٧ .
[٤]) ينظر: الحكيم ، القصص القرآني ، ص ٢٨ .

المطلب الثالث : تطبيقات المنهج القصصي على العقائد في القرآن الكريم :

أولاً : وحدانية الله تعالى في قصة نوح (عليه السلام) :

في هذه الفقرة سنتطرق إلى وحدانية الله ــ عزوجل ــ التي وردت في قصة نبي الله نوح (عليه السلام) من باب تطبيق المنهج القصصي في القرآن الكريم، وكيف أن الله استعمل المنهج القصصي في تثبيت العقيدة لدى مجتمع الجزيرة العربية من خلال سرد وعرض قصص الأمم والأقوام السابقة والاستفادة من تلك القصص وأخذ العبر منها لتجنب أنزال العقوبة عليهم .

ففي قصة نوح (عليه السلام) نشاهد هناك تشابهاً كبيراً بين قوم نبي الله نوح (عليه السلام) وقوم النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فكلاهما كانوا يعبدون الأصنام من دون الله ـ تعالى ــ وهو أول رسول يذكر الله قصته في القرآن ، فقد بعثه ليحيي عبادة الله بعدما أصبحت عبادة الأصنام والأوثان هي السائدة أنذاك .

قال تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾** [1].

فحينما نتأمل نص الآية المباركة فقوله : " يا قوم : فأضافهم إلى نفسه ، ليكون جريا على مقتضى النصح ، الذي سيخبرهم به عن نفسه، و دعاهم أول ما دعاهم إلى توحيد الله تعالى ، فإنه دعاهم إلى عبادته، و أخبرهم بانتفاء كل إله غيره ، فيكون دعوة إلى عبادة الله وحده من غير أن يشرك به في عبادته غيره، و هو التوحيد ، ثم أنذرهم بقوله: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، و ظاهره يوم القيامة فيكون في ذلك دعوة إلى أصلين من أصول الدين و هما التوحيد و المعاد " [2].

قال تعالى : **﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ**

---

[1]) سورة الأعراف : آية (٥٩) .

[2]) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ،ج ٨ ، ص ١٧٤ .

فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [1].

وَيُذَكّرهم نوح (عليه السلام) " بنعم الله تعالى عليهم وأنهم مشمولون برحمته ومغفرته ورضوانه إذا ما تابوا ورجعوا الى رشدهم في عبادته إلهاً واحداً ، وحيث أن الله سبحانه ومن شدة أصرارهم وعنادهم على عبادة الأصنام من دونه ، حبس عنهم القطر أربعين سنة ، بالأضافة الى أنه قد أعقم أرحام نسائهم " [2] .

فالله ــ تعالى ــ " قد أرسل المطر عليهم لتنبت أراضيهم وتخرج الثمار بعد طول انقطاع بسبب معصيتهم ، وكذلك يعدهم بالبنين بعد حالة العقم التي أصابت نساءهم لما اقترفته إيديهم ، ثم يدعوهم الى الخوف من الله سبحانه وخشيته في السراء والضراء وتذكرتهم بآياته الكونية في الخلق فقد تطرق الى خلق الإنسان فهو دليل على عظيم قدرته وكمال حكمته ، ثم أنه (عليه السلام) يسألهم من باب الاستنكار عليهم لماذا لاتخافون الله وتجعلون له وقارا وهو الذي خلقكم أطوارا وكذلك يذكرهم بخلق السماوات والأرض والشمس والقمر " [3] .

ويستمر النبي نوح (عليه السلام) في تبليغه المؤثر لقومه المعاندين العصاة، ويدعوهم الى التعقل والتفكر والتأمل والتدبر بأنفسهم في آيات الله الكونية مثل خلق السماوات والأرض والشمس والقمر ويعتمد هذه المرّة منهجاً جديداً في الترغيب والتشجيع، ويوعدهم بانفتاح أبواب الرحمة الإلهية من كل جهة إذا ما تابوا من الشرك والخطايا وأرتكاب المعاصي، قال تعالى : **﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾** [4] .

ثانياً : وحدانية الله في قصة إبراهيم (عليه السلام) :

ومازال الحديث مستمراً في تطبيقات المنهج القصصي في القرآن الكريم ،وهذه المرة سنتوقف عند قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) ، حيث يتكرر مشهد قصة قوم نوح(عليه السلام) ، مع تغيير الزمان والمكان ، وكذلك التغيير في الأسلوب فأصرارهم وعنادهم على عدم توحيد الله وعبادة غيره ، كان هو الشاخص الأكبر في هذا التشابه بينهم لذلك نجد

---

[1]) سورة نوح : الآيات من (١٠ ـ ٢٠) .
[2]) الفيض الكاشاني ، تفسير الأصفى ،ج ٢ ، ص ٦٥٣ .
[3]) المصدر نفسه ،ج ٢، ص ٦٥٣ .
[4]) سورة نوح : آية (١٠) .

المخاطب في هذه القصة هو العقل الإنساني ، فهو (عليه السلام) يخاطبهم بأسلوب الحوار والمحاججة والنصح والأرشاد والتوجيه ، وخطابه دائر بين الفرد أو الجماعة ، قال تعالى : ﴿ **وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ(٧٤) قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ(٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٧)** ﴾ [1].

ففي هذه القصة يرسم لنا القرآن الكريم هذه اللوحة القصصية الرائعة التي نجد فيها أن النبي إبراهيم (عليه السلام) كان يدعوا قومه الى ترك عبادة الأوثان والتوجه نحو عبادة الله ـ جلا وعلا ـ .

فالله ـ تعالى ـ يأمر النبي محمد (صلى الله عليه وآله) أن يقص على قومه نبأ إبراهيم (عليه السلام) حيث يقول سبحانه وتعالى واتل عليهم يا محمد نبأ إبراهيم أي : خبر إبراهيم ، فإنه شجرة النبوة ، وفخر العرب ، وفي حديث إبراهيم تسلية لك يارسول الله ، وعظة لقومك .

وهنا نجده يتوجه بالسؤال اليهم: إذ قال لأبيه وقومه على وجه الإنكار عليهم ما تعبدون أي : أي شئ تعبدون من دون الله قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين أي فنظل لها مصلين، فقال لهم إبراهيم هل يسمعونكم ، فهنا يستفهم ويقيمّ ويقرر الحجة عليهم بدليل العقل فيقول لهم هل يسمعون دعاءكم ؟ أوهل يستجيبون دعاءكم إذا دعوتموهم ؟ فهل ياترى ينفعونكم إذا عبدتموهم ، أو يضرونكم إذا تركتم عبادتها . وفي هذا بيان أن الدين إنما يثبت بالعقل وإقامة الحجة ، ولولا ذلك لم يحاجهم إبراهيم هذا الحجاج فنجده (عليه السلام) يقرر الحجة عليهم مستنداً الى العقل، وبعد أن يئيسوا وتبين لهم مدى بطلان عبادتهم ألتجؤوا الى جانب التقليد ، فقالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وهذا إخبار عن تقليدهم لآبائهم في عبادة الأصنام فقال إبراهيم (عليه السلام) منكراً عليهم التقليد في العبادة وأتباعهم لآبائهم، أفرأيتم ما كنتم تعبدون أي الذي كنتم تعبدونه من الأصنام أنتم وآباؤكم الأقدمون الذين كان آباؤكم يعبدونهم في

[1]) سورة الشعراء : الآيات (٦٩ ـ ٧٧) .

الحال وفي الماضـــي فإنهم عدو لي، وقد اســتثنى من ذلك فقال إلا رب العالمين اســتثناء من جميع المعبودين [١].

ومواجهاتهم أقوامهم لهدايتهم ، لتكون ـــ مدعاة ـــ تسلية للنبي (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين القلة معه في عصره ، وفي الوقت ذاته إنذار لجميع الأعداء والمستكبرين أيضا .

ثالثاً: وحدانية الله في قصة أصحاب الكهف:

يقدّم لنا القرآن الكريم الوجه الأخر المشرق من المؤمنين الذين تمسكوا بإيمانهم ووحدانية الله ـ تعالى ـ رغم كل ماتعرضوا له من أذى وهم ـ أصحاب الكهف ـ ، فالله ـ سبحانه ـ ذكر لنا في القصتين السابقتين ـــ نوح وإبراهيم ـــ (عليهما السلام) كمية عناد أقوامهم ومكابرتهم وأصرارهم على عدم الإيمان به تعالى، فالقرآن كما يقدّم جانب السلب من الناس، فإنه يَذْكُرُ لنا بعض النماذج الطيبة المؤمنة، التي صبرت وجاهدت من أجل توحيده سبحانه والإيمان به .

قال تعالى : ﴿ **نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا** ﴾ [٢].

إن الله ـ تعالى ـ يقصُّ عليهم نبأ أصحاب الكهف ، وكيف استطاعوا الثبات على إيمانهم بالله ـ سبحانه ـ " فالله ـ تعالى ـ يخبر نبيه (صلى الله عليه وآله) نبأ هؤلاء الفتية الذين آووا إلى الكهف على وجه الصـــحة ، ثم أخبر عنهم بأنهم فتية آمنوا بربهم ، واعترفوا بتوحيده ، ونتيجة ذلك أن الله زادهم هدى فوق هداهم ، أي زادهم في المعارف بما فعلنا لهم من الألطاف لما فيها من الآيات التي رأوها ، ومن الربط على قلوبهم حتى تمسكوا بها .

فإنهم لم يستعملوا التقية في حضرة الملك الجبار لإظهار ما يعتقدون به فقالوا : ربنا الذي نعبده هو الذي خلق الســـماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها آخر ، فنوجه العبادة إليه ، ومتى قلنا غير ذلك ودعونا معه إلها آخر ، فقد قلنا إذا شططا [٣] .

---

[١]) ينظر: الطبرسي، مجمع البيان ،ج ٧، ص ٣٣٥ .
[٢]) سورة الكهف: الآيات (١٣ ـ ١٤) .
[٣]) ينظر:الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ١٤ ـ ١٥ .

إن الله ــ سبحانه ــ قد ربط على قلوبهم إذ ؛ جعل بذرة التوحيد وفكرته عندهم منذ البداية وهي مرتكزة في قلوبهم ، إلا أنهم لم تكن لديهم القدرة على إظهارها والتجاهر بها ، ولكن الله قوى قلوبهم ومكنهم من الوقوف بوجه الطغاة وأن ينهضوا ويعلنوا علانية نداء التوحيد [1] .

فذكر قصة ــ أصحاب الكهف ــ في القرآن الكريم ، جاءت لتقدم لنا هذه النخبة المؤمنة الطيبة من الأخيار والأبرار التي تركت كل ماتملك وراء ظهورها ، وتمسكت بطريق الحق ، وواجهة كل ذلك الطغيان والجبروت ، وأخذت تصدح بكلمة التوحيد أمام الملأ ، فأكرمهم الله ـ تعالى ـ إذ جعلهم المثال والقدوة الحسنة التي يجب أن يحتذى بها في كل الأزمنة والعصور .

إن الله ـ عزوجل ـ عندما استعمل منهج القصّة في كتابه المجيد كان الهدف واضحاً ، فهذا التبيين لم يكن اعتباطاً، بل جاء لتقديم نموذجين مختلفين من الناس ، الاول قد عصى ربه ولم يؤمن وأشرك به ، فكان جزاءه العذاب السعير ، وأما الصنف الآخر فهم الأخيار والأبرار الذين لم ينخدعوا بالدنيا وزخرفها ، بل تركوا كل شيء وتمسكوا بطريق الحق .

فهذه القصص التي ذكرها القرآن الكريم أتت للتذكير والإنذار من جانب ، والتطمين من جانب آخ، وجعلت الخيار لهم في التمسك واختيار أحد الطريقين، فالباري ــ عزوجل ــ قدم ما عليه بيانه وأوضح لهم ماحدث للكافرين عندما عصوا، وكيف كرم المؤمنين عندما آمنوا وأطاعوا .

[1]) الشيرازي ، تفسير الأمثل، ج ٩ ، ص ٢٠٩ .

الفصل الثاني : نشأة علميّ التفسير والعقيدة ومنهج مفسري الإمامية وأهميتهما في إثبات العقيدة

المبحث الأول: نشأة علميّ التفسير والعقيدة وأهميتهما

المبحث الثاني: منهج مفسري الإمامية في إثبات العقيدة

الفصل الثاني : نشأة علميّ التفسير والعقيدة ومنهج مفسري الإمامية وأهميتهما في تقرير العقيدة .

إن المتتبع لكتابات مفسري الإمامية ومؤلفاتهم ، سيلاحظ أنهم قد أخذوا على عاتقهم بيان معاني القرآن الكريم وتوضيحها وغاصوا في سبره وأحاطوا بآياته وسوره من خلال شرحه وتبيان آياته وتحديد علومه ومنها ، العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمفصل والمحكم والمتشابه وغيرها من علوم القرآن الأخرى ، وكل هذا الجهد العلمي التفسيري للآيات وبيانها كان يستلزم وضع مناهج تفسيرية خاضعة للمقاييس الموضوعية والعلمية حتى يصل المفسر الى الكشف عن مرادت الله ـ سبحانه وتعالى ـ على وفق الضوابط العلمية الصحيحة .

ولكن وقبل الخوض في التفصيل بهذه المناهج التفسيرية التي اعتمدها مفسرو الإمامية في تقرير العقيدة وإثباتها، لابد لنا من وقفة تعريفية بنشأة علميّ التفسير والعقيدة وأهميتهما حتى تكون الصورة واضحة وغير مبهمة .

المبحث الأول: نشأة علميّ التفسير والعقيدة وأهميتهما

المطلب الأول : نشأة علم التفسير وأهميته عند المسلمين :

أولاً : نشأة علم التفسير عند جمهور المسلمين :

يعدُ علم التفسير علماً مختصاً بالقرآن الكريم، كونه كلام الله تعالى فوظيفته البحث عن معاني الكلمات، ودراسة جوانبه الإعجازية المختلفة، ومعرفة أسباب النزول، والتقصي عن الآيات الناسخة والمنسوخة، وتحري العام للكشف عن الخاص، والاطلاع على المطلق والمقيد، ودوره في إرشاد الإنسان والإسهام في بناء الفرد والمجتمع، فقد أنزل الله ــ عزوجل ـ القرآن الكريم، تلك المعجزة الخالدة على نبيه الأكرم محمد ابن عبدالله (صلى الله عليه وآله) لهداية الناس وإخراجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، ولكن لاختلاف المستويات في القدرات الذهنية والمعرفية بين الناس احتاج القرآن إلى بيان مراد الله ــ تعالى ــ من التكاليف والتشريعات والأحكام وكشفها وتبينها، ومن القصص والأمثال وغير ذلك من تجارب الأمم السابقة والاستفادة منها، وهذا الكشف والبيان مر بعدة مراحل .

١ ـــ **مرحلة التكوين :** " مرالتفسير بمرحلة التكوين ابتداء من عصر النبي (صلى الله عليه وآله) وانتهاء بعصر التابعيين، وقد يمتد جزء منه إلى الفترة الزمنية المتصلة بتابعي التابعيين أحياناً " [١] . لقد نشأ التفسير في وقت مبكر في عصر النبي (صلى الله عليه وآله) وهو أول مفسر وموضح لكتاب الله المجيد رغم أن القرآن نزل بلغتهم وعلى السليقة التي يتكلمون بها والأساليب والخطابات الكلامية التي يستعملونها، قال تعالى : ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ**﴾ [٢]، إلا أنه أحتاج إلى تفسير وبيان أحكامه وتشريعاته .

لقد حصل تباين في الأراء بين العلماء حول المقدار الذي فسره أو بينه النبي (صلى الله عليه وآله) من القرآن الكريم لأصحابه إلى رأيين .

---

[١]) الصغير : محمد حسين علي ، المبادى العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، د ـ ط ، د ـ ت ، ص ١٣٣ .

[٢]) سورة إبراهيم : من الآية (٤) .

الرأي الأول : هناك جملة من العلماء والمفسرين ينقل عنهم الذهبي أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد قام بتوضيح وتبيين جميع آيات القرآن الكريم لأصحابه فيقول " فمنهم من ذهب إلى القول بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين لأصحابه كل معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه " [١].

فنجد أصحاب هذا الرأي يستندون في دعواهم هذه من خلال استدلالهم ،قال تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [٢] .

الرأي الثاني : وهناك قسم من العلماء من خالف الرأي الأول، حيث ذكروا : " وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لايعلم إلا بأن يسمع من الرسول (صلى الله عليه وسلم)؛ وذلك متعذر إلا في آيات قلائل، فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل ، والحكمة فيه : أن الله ــ تعالى ــ أراد أن يتفكر عباده في كتابه، فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته "، فاستدلالهم هذا مبني على قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) ودعائه لأبن عباس: " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " [٣]، فلوكان النبي (صلى الله عليه وآله) قد بين ووضح لأصحابه جميع معاني وألفاظ القرآن الكريم لما كان هناك داعٍ لتخصيص ابن عباس بهذا الدعاء [٤].

وهناك من العلماء المعاصرين من توسط هذه الأراء وجمع بين الرأيين، ومنهم الذهبي حيث يقول :إن الرسول (صلى الله عليه وآله) بين الكثير من معاني القرآن الكريم لأصحابه، كما تشهد بذلك كتب الصحاح، ولم يبين كل معاني القرآن، لأن من القرآن ما أستأثر الله ـ تعالى ـ بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لايعذر أحد بجهالته، ويضيف أن الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يفسرلهم مايفهم من كلام العرب لأن القرآن نزل بلغتهم، ولم يفسر لهم ما تتبادر الأفهام إلى معرفته، لأنه لايخفى على أحد، ولم يفسر لهم

---

[١]) الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ص ٤٩ .

[٢]) سورة النحل : من الآية (٤٤) .

[٣]) ينظر: بن حنبل : أبو عبدالله أحمد بن محمد الشيباني الذهلي (ت ٢٤١ هـ) ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت ، د ــ ط ، د ــ ت ، ج١ ، ص ٣٢٨ ، السيوطي ، الأتقان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص ٤٣٠ .

[٤]) ينظر: الذهبي ، التفسير والمفسرون ،ج ١ ، ص ٥١ .

ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وحقيقة الروح وإنما فسرلهم بعض المغيبات التي أخفاها الله عنهم، وأطلعه عليها وأمره ببيانها لهم [١].

وقد ذهب السيد الحكيم إلى أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد قام بتفسير القرآن الكريم على مستويين ـــ عام ، وخاص ـــ، فيقول : " بأن النبي (صلى الله عليه وآله) فسر القرآن الكريم على مستويين : فقد كان يفسره على ـــ المستوى العام ـــ في حدود الحاجة، ومتطلبات الموقف الفعلي، ولهذا لم يستوعب القرآن كله . وكان يفسره على مستوى خاص تفسيرا شاملا كاملا بقصـــد إيجاد من يحمل تراث القرآن، ويندمج به اندماجا مطلقا بالدرجة التي تتيح له أن يكون مرجعا بعد ذلك في فهم الأمة للقرآن، وضمانا لعدم تأثر الأمة في فهمها بإطارات فكرية خاصة ومسبقات ذهنية، أو رواسب جاهلية " [٢] .

فندرة ما صح عن الصحابة من الروايات عن النبي (صلى الله عليه وآله) في التفسير مردها إلى أن التفسير على ـ المستوى العام ـ لم يكن يتناول جميع الآيات، بل كان يقتصر على قدر الحاجة الفعلية، ومسؤولية النبي (صلى الله عليه وآله) في ضمان فهم الأمة للقرآن، وصيانته من الانحراف يعبر عنها ـ المستوى الخاص ـ الذي مارسه من التفسير، فقد كان لا بد للضمان، ولا يكفي المستوى العام لحصول هذا الضمان حتى لو جاء التفسير مستوعبا، لأنه يجئ عندئذ متفرقا ولا يحصل الاندماج المطلق، الذي هو شرط ضروري لحمل أمانة القرآن، فكان لابد من وجود أناس ثقات وأمناء ومنزهين عن الخطأ والزلال يحملون هذه الأمانة العظيمة وهي بيان وتوضيح وتفسير كتاب الله ـ عزوجل ـ التي أطلق عليها فيما بعد ـ مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) في التفسير وخير دليل على وجود هذه المرجعية حديث الثقلين والملازمة بين الكتاب والعترة [٣] .

٢ ـــ مرحلة التأصيل : وهي مرحلة التدوين للتفسير، حيث شهدت هذه المرحلة الرواية عن الرسول الأكرم وأهل البيت (عليهم السلام) وصحابة النبي (صلى الله عليه وآله) وتابعيهم وتابعي تابعيهم، لتكون هذه الحركة ايذاناً بحركة تفسيرية كبرى بلغت حد النضج

---

[١]) ينظر: الذهبي ، التفسير والمفسرون ،ج ١ ، ص ٥٣ .
[٢]) الحكيم ، علوم القرآن ، ص ٢٤٢ .
[٣]) ينظر:الحكيم ،علوم القرآن ، ص ٢٤٢ .

والأصالة ، وتمخضت عن هذه الحركة بعض المدارس التفسيرية التي مهدت لحركة التدوين المنظمة فيما بعد ومن هذه المدارس [1].

مدرسة مكة: وكان قوامها أصحاب ابن عباس (رض) * .

وأما المدرسة الثانية فهي **مدرسة المدينة:** وكان قوام هذه المدرسة ثلاثة من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهم الإمام علي ابن الحسين (عليه السلام)*، والإمام محمد الباقر(عليه السلام) * .

---

[1]) ينظر:الصغير،المبادىء العامة لتفسير القرآن الكريم ،ص ١٣٩ .

*) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما الصحابي الجليل - حبر الأمة - ولد بمكة قبل الهجرة بثلاثة أعوام ونشأ في بدء عصر النبوة ؛ فلازم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وروى عنه وشهد مع علي عليه السلام - الجمل وصفين ثم سكن الطائف وتوفى بها سنة ٦٨ ه له في كتب الحديث ١٦٦٠ حديثا . قال ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت مجلسا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس : الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر . الآمدي : سيف الدين (ت ٦٢٣ هـ) ، أبكار الأفكار في أصول الدين ، الناشر : دار الكتب ، القاهرة ، د ـ ط ، ١٤٢٣ ق ، ج٤ ، ص ٨٠ .

*) أبو محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـــ عليهم السلام ـــ ومن القابه : زين العابدين والسجاد ،ولد عام ـ ٣٨ هـ ـ، وتولى الإمامة بعد شهادة أبيه عام ـ ٦١ هـ ، وعمره آنذاك ٢٣ عام وكانت مدة إمامته ٣٤ عام، كان مع أبيه الحسين ـــ عليه السلام ـــ في كربلاء وشهد مصرعه، ولم يسمح له الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ بالاشتراك في المعركة لئلا يقتل فينقطع نسل الإمامة ، واجه الإمام ـ عليه السلام ـ الإفساد الخلقي بتوجيه الأمة إلى حقيقة العبودية لله، وفي هذا فقد خلّف الإمام ـ عليه السلام ـ تراثاً روحياً عظيماً، من الأدعية وطرق المناجاة، والتضرع إلى الله ، أوقف- إلى حدّ كبير- مسيرة الانحدار الخلقي الذي عاشته الأمة، قضى نحبه ـ مسموما على المشهور ـ عام ٩٥ هـ ودفن في المدينة المنورة. ينظر: آل سيف : فوزي، رجال حول أهل البيت ـ عليهم السلام ـ، الناشر : دار الصفوة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

*) هو الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ، من أشهر ألقابه زين العابدين والسجاد ، أمه : شاه زنان بنت يزدجر ملك إيران ، وهو الولد الوحيد الذي بقي للإمام الحسين ـ عليه السلام ـــ بعد واقعة الطف ، وقد شهد الواقعة ولكنه لم يشارك فيها لمرضه ، وبعد أن قضى فترة الأسر ، أرجع مع سائر الأسرى إلى المدينة ، وعندما رجع إلى وطنه اعتزل عن الناس في بيته ، وتفرغ للعبادة ، ولم يتصل بأحد من الناس سوى خواص أصحابه مثل (أبي حمزة الثمالي) ، وهؤلاء الخاصة كانوا يوصلون ما يصلهم من الإمام من معارف إسلامية إلى الشيعة ، ومما ألفه وصنفه الإمام السجاد ـــ عليه السلام ـــ كتاب يحتوي على أدعية تعرف (الصحيفة السجادية) ، وتحتوي على سبعة وخمسين دعاء ، التي تتضمن أدق المعارف الإلهية ويقال عنها ـ زبور آل محمد

والإمام جعفر الصـــادق (عليه الســـلام) *وبعض تلامذة أبي بن كعب * فيما كانت، **مدرســـة العراق :** وهي المدرسة الثالثة من بين المدارس التفسيرية ويوجد فيها اتجاهان أما العام فيمثله تلامذة عبدالله ابن مســـعود *، فيما يمثل مجموعة من تلامذة الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق (عليهم السلام) الاتجاه الخاص في هذه المدرسة [١].

ـ ، وكانت مدة إمامته ـ عليه السلام ـ خمساً وثلاثين سنة ، ودس إليه السم على يد الوليد بن عبد الملك ، وذلك بتحريض من هشـــام الخليفة الأموي في ســـنة ٩٥ للهجرة ، ينظر: الطباطبائي ، الشـــيعة في الإسلام ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

*) هو الإمام جعفر بن محمد الصادق ـ عليه السلام ـ ، ولد سنة ٨٣ هـ ، واستشهد بعد أن دس إليه السمّ سنة (١٤٨ للهجرة) ، وذلك بتحريض من الخليفة العباسي المنصور ، استطاع الإمام ـــ عليه السلام ـــ حتى أواخر زمن إمامته ، التي كانت معاصرة لآخر خلفاء بني أمية وبدآيات نشأة دولة بني العباس ، أن ينتهز هذه الفرصـــة لنشـــر التعاليم الدينية وتربية العديد من الشـــخصـــيات العلمية الفذة في مختلف العلوم والفنون سواءً في العلوم العقلية أو النقلية ، ينظر : المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ .

*) أبي بن كعب ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ويكنى أبا المنذر وأمه صـــهيلة بنت الأســـود بن حرام بن عمرو من بني مالك ابن النجار وكان لأبي بن كعب من الولد الطفيل ومحمد وأمهما أم الطفيل بنت الطفيل بن عمرو بن المنذر بن ســـبيع ، وقد شـــهد أبي بن كعب العقبة مع الســـبعين من الأنصـــار في روايتهم جميعا وكان أبي يكتب في الجاهلية قبل الاســـلام وكانت الكتابة في العرب قليلة وكان يكتب في الاسلام الوحي لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأمر الله تبارك وتعالى رسوله أن يقرأ على أبي القرآن وقال رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ أقرأ أمتي أبي ، وشـــهد أبي بدرا وأحدا والخندق والمشـــاهد كلها ، توفي عام أثنتين وعشـــرين للهجرة بالمدينة ، وقالوا توفي عام ثلاثين للهجرة وهو أثبت الأقوال . أبن سعد : محمد بن مَنِيع الزهري (ت ٢٣٠ هـــ) ، الطبقات الكبرى ، الناشر : دار صادر ، بيروت ، د ـــ ط ، د ـــ ت ،ج ٣ ، ص ٤٩٨ ـ ٥٠٢ .

*) عبدالله أبن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فأر بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سـعد بن هذيل بن مدركة واسـم مدركة عمرو بن إلياس بن مضـر ويكنى أبا عبد الرحمن حالف مســـعود بن غافل عبد بن الحارث بن زهرة في الجاهلية ، وأم عبد الله بن مســـعود أم عبد بنت عبد ود بن سـواء بن قريم بن صـاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سـعد بن هذيل وأمها هند بنت عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن ، ولم يعلم تاريخ ولادته بالتحديد وقيل ولد مابين ٣١ أو ٣٧ قبل الهجرة ، وكان يرعى الأغنام ، توفي عبد الله بن مســـعود بالمدينة ودفن بالبقيع ســـنة اثنتين وثلاثين للهجرة . ينظر : المصـــدر نفســـه ، الطبقات الكبرى ،ج ٣ ، ص ١٦٠ .

[١]) ينظر:الصغير، المبادىء العامة لتفسير القرآن الكريم ، ١٣٩ ـ ١٤٠ .

٣ ـــ مرحلة التجديد : لقد تعالت كثير من الأصوات التي دعت إلى التجديد في عملية تفسير القرآن الكريم وطرح ما هو جديد من المتغيرات على الساحة الإسلامية، ولذلك نجد هناك اتجاهين مختلفين في مسألة التجديد في التفسير :

الاتجاه الأول: وهذا الاتجاه نادى به جمع من علماء المسلمين والمفسرون ولعل من إبرزهم الشيخ محمد عبده والشيخ محمد جواد البلاغي وغيرهم، الذين دعوا إلى التجديد في التفسير ومسايرته للحضارة والمدنية، ولذلك نجدهم قد طالبوا بإخضاع التفسير للمفاهيم الاجتماعية ولحاجات العصر، أي إن التفسير يجب أن يواكب متطلبات العصر الحديث وحاجاته وتطوراته .

الاتجاه الثاني : وأما الاتجاه الآخر الذي دعا إليه مجموعة من المفكرين المسلمين ،وكان في مقدمتهم الأستاذ أمين الخولي، حيث كانت دعوته تنص على اتخاذ التفسير أسلوباً أدبياً وفنياً في طرح الآيات وتفسيرها، وذلك كان واضحاً من خلال الدراسات التي وضعها بهذا الشأن [١] .

ثانياً : نشأة علم التفسير عند الشيعة الإمامية :

بعد أن بينا في موضع سابق من هذا البحث، المراحل التاريخية التي مر بها علم التفسير عند المسلمين عامةً، كان لابد لنا من وقفة عند تاريخ ظهور علم التفسير عند الإمامية خاصةً، وبعد الإمعان والنظر بات واضحاً أرتباطه ـ أي التفسير ـ بظهور التشيع ـ الإمامي على وجه التخصيص فهي أبرز فرق الشيعة ـ ، فكان علينا أن نتطرق الى نشأة التشيع وظهوره أولاً .

انقسم العلماء الى أكثر من اتجاه في نشأة التشيع، حيث ذهب الأول الى ظهوره في عهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): " أن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو صاحب الشريعة الإسلامية نفسهُ، يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام، جنبا إلى

[١]) ينظر: الصغير ، المبادىء العامة لتفسير القرآن الكريم ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

جنب، وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية حتى نمت وازهرت في حياته، ثم أثمرت بعد وفاته " [1] .

أما الأتجاه الثاني فذهب إلى أن بدايات ظهور التشيع كانت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وبالتحديد في يوم السقيفة، حيث دعا بعض صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى استخلاف الإمام علي (عليه السلام) في ذلك اليوم ، وقال آخرون أن واقعة صفين ، وحادثة التحكيم بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية وظهور الخوارج ، هو بداية ظهور التشيع [2].

ولعل الرأي الأول هو الأرجح بحسب ما يظهر، حيث كانت البذرة الأولى لظهور التشيع في عصر النبي (صلى الله عليه وآله) بدلالة أقوال الرسول الأعظم محمد ابن عبدالله (صلى الله عليه وآله) للإمام علي بن أبي طالب ـــ (عليه السلام) في أحاديث كثيرة في مدح شيعتهِ ومنها هذا الحديث : « ... وأن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي اشفع لهم ... الخ » [3]، فهذا الحديث الشريف الوارد عنه يعطي انطباعاً للباحث عن الحقيقة أن البذرة الأولى للتشيع قد وضعها النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) بحسب ما قدمنا ، جنباً إلى جنب مع بذرة الإسلام .

إن المتتبع لنشأة التفسير للآيات القرآنية وبيان معاني الألفاظ والعبارات كانت منذُ عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)، وكان هو المعلم الأول للقرآن الكريم الذي تولى توضيح مقاصده وحل ما غمض من عباراته [4]، قال تعالى : ﴿ **بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ**

---

[1]) كاشف الغطاء : محمد حسين (ت ١٣٧٣هـ) ، أصل الشيعة وأصولها ، تح : علاء آل جعفر، الناشر: مؤسسة الإمام علي (ع) ، د ـ ط ، ١٤١٥ هـ ، ص ١٨٤ .

[2]) ينظر: فياض :عبد الله ، تاريخ الإمامية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد - العراق ، ط ١ ، ١٩٦٧ م ، ص ٤٧ .

[3]) الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) ، الأمالي ، تح : قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة – قم ، الناشر : مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ، د ـ ط ، ١٤١٧ هـ ، ص ١٥٦ .

[4]) ينظر : الطباطبائي : محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ) ، القرآن في الإسلام ، تح : السيد أحمد الحسيني ، د ـ ط ، د ـ ت ، ص ٥٢ .

لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [1]، وقوله تعالى: **﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰل مُّبِين ﴾** [2]، وكذلك باقي الأئمة الأطهار(عليهم السلام)، فقد كان الناس يستقون معرفتهم بالتفسير من الإمام المعصوم مباشرة أو من الوسائط الذين كان الإمام (عليه السّلام) يعهد لهم بإيصال أجوبة الاستفسارات التفسيرية وغيرها [3] .

وهذا يثبت أن البدايات الأولى للتفسير ومرحلة نشوئه كانت على يد النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) والشواهد على ذلك كثيرة ومنها، على سبيل المثال الحادثة الشهيرة التي جرت مع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في تحديد أقل مدة للحمل من خلال الاستدلال بمنهج تفسير القرآن بالقرآن، وكذلك حادثة تحديد موضع قطع يد السارق من الأصابع عن طريق تفسير الآية بالآية التي استدل بها الإمام محمد الجواد (عليه السلام)على الحكم .

ثالثاً : حجية الروآيات التفسيرية وطبقات المفسرين لدى الإمامية :

إن من أبرز اعتقادات الشيعة الإمامية وبدليل النص القرآني الواضح والصريح حجية أقوال النبي (صلى الله عليه وآله) في التفسير، قال تعالى :**﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾** [4]، وتعتقد ـ الإمامية ـ كذلك أن الصحابة والتابعين كبقية المسلمين لا حجية في أقوالهم إلا ما ثبت أنه حديث نبوي، وقد ثبت بطرق متواترة في حديث الثقلين :« إني تارك فيكم الثقلين ... » [5]، أن أحاديث آل البيت (عليهم السلام) هي تالية لأقوال النبي (صلى الله عليه وآله)، فهي حجة أيضا، ومن هنا أخذت الشيعة الإمامية في التفسير بما أثر عن النبي وأهل بيته الميامين (عليهم السلام) [6] .

---

[1]) سورة النحل : من الآية (٤٤) .
[2]) سورة الجمعة : آية (٢).
[3]) ينظر: الناكوري : أبو الفيض (ت ١٠٠٤ هـ) ، سواطع الالهام في تفسير كلام الملك العلام ، الناشر : دار المنار ، ايران ـ قم ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ ، ج ١ ، ص ١٨ .
[4]) سورة الحشر : من الآية (٧) .
[5]) الصدوق ، الأمالي ، ص ٥٠٠ .
[6]) الطباطبائي، القرآن في الإسلام ، ص ٥٩ .

ولكن قبل الخوض بعرض طبقات المفسرين لدى الإمامية، لابد من الإشارة إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي حجية الروايات التفسيرية في العقيدة، التّي وظفها المفسرون في توضيح العقيدة في كتبهم التفسيرية وتفسيرها وإثباتها .

من المعلوم والمتعارف عليه، أن الأخبار تقسم إلى أخبار متواترة، وهي قليلة مع الأسف ، فهي معدودة على عدد أصابع اليد، أما القسم الثاني فهي أخبار الآحاد، وقد وقع خلاف حول حجية هذه الأخبار في المسائل الاعتقادية .

فهناك من اعتبر خبر الآحاد حجة في باب العقائد، وبعض آخر رفض الأخذ بخبر الآحاد في شأن العقائد .

فالسيد المرتضى * يرفض الأخذ بأخبار الآحاد مطلقاً، سواء كان في الأصول، أو الفروع وهو المحكي عنه، وقد ادعى إجماع الإمامية على رد خبر الآحاد، واكتفى فقط بالأخبار المتواترة، والأخبار التي معها قرينة تدل على صحتها [1] .

أما شيخ الطائفة فقد سار على نهج أستاذه، مع الاختلاف؛ فإنّه قبل الأخذ بخبر الواحد في الفروع مع توافر الشروط والقيود، بينما رفض الأخذ به في الأصول الاعتقادية، وهو المستفاد من كلامه في مقدمة تفسيره فيقول : " وأما طريقة الآحاد

---

*) السيد المرتضى : هو أبو القاسم علي بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ، الملقب بذي المجدين علم الهدى ، كان أبوه النقيب أبو أحمد جليل القدر عظيم المنزلة في دولة بني العباس ودولة بني بويه ، أما والدة الشريف المرتضى فهي فاطمة بنت الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر الأصم، وكان الشريف المرتضى أوحد أهل زمانه فضلاً وعلماً وكلاماً وحديثاً وشعراً وخطابة وجاهاً وكرماً ، توفي في بغداد سنة (ت ٤٣٦ هـ) ودفن فيها ، ينظر: البحراني : يوسف بن أحمد (ت ١١٨٦ هـ)، لولؤة البحرين في الأجازة لقرتي العين ، تح : محمد صادق بحر العلوم ، الناشر : مكتبة فخراوي ، المنامة ـ البحرين ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .

[1]) ينظر : المرتضى : أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي (ت ٤٣٦ هـ) ، رسائل الشريف المرتضى ، تح : السيد أحمد الحسيني ـ السيد مهدي الرجائي ، الناشر : دار القرآن الكريم ، قم ، د ـ ط ، ١٤٠٥ هـ ، ج١ ، ص ٢١ ـ ٢٢ .

من الروايات الشـــاردة، والألفاظ النادرة فإنه لا يقطع بذلك، ولا يجعله شـــاهداً على كتاب الله ـ تعالى ـــ فينبغي أن يتوقف فيه ويذكر ما يحتمله، ولا يقطع على المراد منه بعينه ، فإنه متى قطع بالمراد كان مخطئا، وان أصـــاب الحق ، فينبغي له ان يرجع إلى الأدلة الصـــحيحة : إما العقلية، أو الشـــرعية، من إجماع عليه، أو نقل متواتر به، عمن يجب اتباع قوله، ولا يقبل في ذلك خبر واحد، خاصة إذا كان مما طريقه العلم " [١] .

وهذه ما نجده كذلك عند العلامة الطباطبائي ، فإنه قد وافق المتقدمين في عدم الأخذ بخبر الآحاد في المسـائل الاعتقادية :" والذي اسـتقر عليه النظر اليوم في المسـألة إن الخبر إن كان متواترا أو محفوفا بقرينة قطعية فلا ريب في حجيتها ، وأما غير ذلك فلا حجية فيه إلا الأخبار الواردة في الأحكام الشـــرعية الفرعية إذا كان الخبر موثوق الصـــدور بالظن النوعي فإن له حجيةً [٢] .

بينما هناك فريق أخر، يذهب إلى حجية خبر الآحاد في باب الاعتقادات على تفصـــيل مذكور في كتب الأصول، ومن أبرزهم السيد الخوئي، والشيخ محمد هادي معرفة [٣] .

ويظهر للباحث ؛ أن تحصـــيل العقائد ومعرفتها هو من الأمور اليقينية، أي ؛ إن الإنســـان عن طريق العقل والفطرة يتوصل إلى الإيمان به ـــ تعالى ـــ وبقية العقائد الأخرى، فلايجوز فيها التقليد، واتباع أخبارالآحاد الظنية، فالوارد عنهم (عليهم الســـلام) من طريق الآحاد، لا يمكن التعويل عليه في تحصيل العقيدة وإن كان طريقه صحيحا لأنّ خبر الواحد ظنّيّ [٤] .

---

[١]) الطوسي ، تفسير التبيان ، ج١ ، ص ٦ ـ ٧ .

[٢]) الطباطبائي ، الميزان في تفسير الميزان ، ج ١٠ ، ص ٣٥١ .

[٣]) ينظر : الخوئي ، أبو القاسم (ت ١٤١٣ هـ) ، مصباح الأصول ، الناشر : مكتبة الداوري ، قم ، ط٥ ، ١٤١٧هـ ، ج٢ ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، ينظر : معرفة ، محمد هادي (ت ١٤٢٧ هـ) كاربرد حديث در (أستخدام الحديث في التفسير) ، المجلة المتخصصة للجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، المجلد الأول، لعام ٢٠١٨ ، ص ١٤٣ .

[٤]) ينظر : الشـــهيد الثاني : زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن جمال الدين بن تقي بن صالح الجبعي العاملي (ت ٩٦٥ هـ) ، المقاصد العلية في شرح الرسالة الألفية ،تح :مركز الأبحاث والدراسات الاسلامية - محمد الحسون ــ قسم احياء التراث الإسلامي ،الناشر : مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامى - مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ، ط ١ ، هـــ ١٤٢٠ ـــ ١٣٧٨ ش ، ص ٤٥ .

وقد كانت طبقات المفسرين من الإمامية على النحو الآتي :

الطبقة الأولى : الذين رووا التفسير عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) وأدرجوا الأحاديث في مؤلفاتهم المتفرقة، كزرارة* ومحمد بن مسلم* ومعروف*وغيرهم .

---

*) زرارة بن أعين بن سنسن مولى لبني عبد الله بن عمرو السمين بن أسعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ولد سنة (٨٠ هـ) وكنيته أبو الحسن. شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدمهم ، وكان قارئا فقيها متكلما شاعرا أديبا ، قد اجتمعت فيه صفات الفضل والدين ، صادقا فيما يرويه ، قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (رحمه الله) : رأيت له كتابا في الاستطاعة والجبر ، توفي زرارة سنة خمسين ومائة للهجرة . ينظر : النجاشي : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي البغدادي (ت ٤٥٠ هـ) ، فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ط ٥ ، ١٤١٦ هـ ، ص ١٧٥ .

*) محمد بن مسلم بن رباح أبو جعفر الأوقص الطحان مولى ثقيف الأعور ، وجه أصحابنا بالكوفة ، فقيه ، ورفع صحب أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام ، وروى عنهما وكان من أوثق الناس .له كتاب يسمى الأربع مائة مسألة في أبواب الحلال والحرام ، عنه به . توفي محمد بن مسلم سنة خمسين ومائة . النجاشي ، فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) ، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

*) معروف بن خربوذ القرشي المكي : من أصحاب الإمام علي بن الحسين والإمام والباقر والإمام الصادق (عليهما السلام) مولاهم كوفي ، ومعروف من أصحاب الاجماع من الستة الأوائل . ينظر : الطوسي : أبو جعفر محمد أبن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) ، الأبواب (رجال الطوسي) ، تح : جواد القيومي الإصفهاني ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، ص ١٢٠ ـ ١٤٥ ـ ٣١١ ، الطبرسي : ميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ) ، خاتمة المستدرك ، تح : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، قم – ايران ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ ، ص ٢٨١ .

الطبقة الثانية : أوائل المؤلفين في التفسير، فرات بن إبراهيم الكوفي * ، وأبي حمزة الثمالي* وعلي بن إبراهيم القمي* .

ومنهج هؤلاء في التفسير يشبه إلى حد كبير منهج الطبقة الرابعة من مفسري أهل السنة ، فقد رووا الأحاديث المأثورة عن الطبقة الأولى وأدرجوها مسندة في مؤلفاتهم ولم يبدوا آراءهم الخاصة بل أكتفوا فقط بوضعها في كتبهم .

ومن الواضح أن المدة التي أمكن الأخذ فيها عن الأئمة (عليهم السلام) كانت طويلة ، إذ بلغت نحو ثلاثمائة سنة ، فكان من الطبيعي أن لايتم تحديد الترتيب الزمني لهاتين الطبقتين على نحو دقيق ، لتداخل بعضهما مع بعضها الآخر لذلك كان من الصعب التمييز بينهما .

وقد كان من النادر أن ينقل مفسرو الشيعة الإمامية الأوائل أحاديث التفسيرفي روآيات مرسلة في تفاسيرهم ، وكمثال لنقل الأحاديث المروية دون إسناد، تفسير العياشي الذي حذف إسناده باختصار من بعض تلامذته، وأصبحت النسخة المختصرة للطالب مشهورة وحلت محل النسخة الأصلية .

---

*) فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي ، صاحب التفسير المعروف ، المقصور على الروايات عن الأئمة الهداة ـ عليهم السلام ـ ، وقد أكثر فيه من الرواية عن الحسين بن سعيد الكوفي الأهوازي ، نزيل قم ، والمتوفي بها ، الذي كان من أصحاب الإمام الرضا والجواد والهادي ـ عليهم السلام ـ ، وكذلك أكثر فيه الرواية عن جعفر بن محمد ، الخوئي : أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١٣ هـ) ، معجم رجال الحديث ، ط ٥ ، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م ، ج ١٤ ، ص ٢٧١ .

*) ثابت بن دينار ، يكنى دينار أبو صفية ، وكنيته أبو حمزة الثمالي ، اختلف في بقائه إلي وقت أبي الحسن موسى (عليه السلام) ، روى عن علي بن الحسين (عليهما السلام) ومن بعده ، له كتاب . الطوسي ، الأبواب (رجال الطوسي) ، ص ٣٣٣ .

*) علي بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي ، ثقة في الحديث ، ثبت ، معتمد ، صحيح المذهب ، سمع فأكثر ، وصنف كتبا وأضر في وسط عمره ، وله عدة كتب منها كتابه في التفسير . النجاشي ، اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) ، ص ٢٦٠ .

الطبقة الثالثة : وقد انمازت تفاسير علماء هذه الطبقة بعلومها المختلفة، كالشريف الرضي* في تفسيره الأدبي والشيخ الطوسي* في تفسيره الكلامي المسمى بالتبيان والمولى صدر الدين الشيرازي* في تفسيره الفلسفي [1] .

*) الشريف الرضي : هو محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى وكنيتهُ أبو الحسن ، ولد في سنة (٣٥٩ هـ) ببغداد ، وهو أخو الشريف المرتضى ، وكان فاضلاً عالماً وشاعراً ، وتولى نقابة الطالبيين ، وله من المصنفات الكثير منها ، كتاب حقائق التنزيل ، وكتاب مجازات الأثار النبوية ، وغيرها الكثير ، توفي سنة (ت ٤٠٦ هـ) ودفن بداره في مسجد الأنباريين بالكاظمية ببغداد ، ينظر : البحراني ، لولؤة البحرين في الأجازة لقرتي العين ، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ـ ٣١٠ ـ ٣١٢ .

*) الطوسي : محمد بن الحسن بن علي وكنيتهُ أبو جعفر ، ولد في سنة (٣٨٥ هـ) ، وقدم إلى العراق سنة (٤٠٨ هـ) ، وتوفي في سنة (ت ٤٦٠ هـ) ، ودفن بداره في مدينة النجف الأشرف إلى جوار المرقد الطاهر لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقد أنتهت إليه رياسة الشيعة في وقته ، فهو شيخ الإمامية ورئيس الطائفة ، وهوجليل القدر ، عظيم المنزلة ، ثقة عين صدوق ، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول .... ، ومن أبرز آساتذته الشيخ المفيد (أعلى الله مقامه) ، ينظر : البحراني ، لولؤة البحرين في الأجازة لقرتي العين ، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

*)الشيرازي : المولى صدر الدين محمد بن إبراهيم ويكنى بالملا صدر ولد سنة (٩٨٠ هـ) في شيراز ، كان أعلم أهل زمانه بالحكمة متفنناً بسائر الفنون ، له تصانيف كثيرة عظيمة الشان في الحكمة وغيرها ، منها شرح الكافي في مجلدين ، وكتاب الأسفار الأربعة وغيرها من المصنفات الأخرى ، توفى بالبصرة وهو متوجه للحج في سنة (ت ١٠٥٠ هـ) ، ودفن في العراق ، ينظر : أبن معصوم : علي صدر الدين المدني (المتوفي في القرن الحادي عشر) ، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، الناشر : المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ، د ـ ط ، د ـ ت ، ص ٤٩١ .

[1]) ينظر: الطباطبائي، القرآن في الإسلام ، ص ٥٩ ـ ٦٠، ينظر: الحكيم : رياض، علوم القرآن دروس منهجية، دار الهلال ، قم ، ط ٥ ، ١٤٣٥ هـ ـ ٢٠١٤ م ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

والشيخ عبد علي الحويزي* والسيد هاشم البحراني* والفيض الكاشاني* في تفاسيرهم نور الثقلين والبرهان والصافي ، وقد امتدت هذه الطبقة من المفسرين إلى عصرنا الحاضر .

وهناك جماعة جمعوا في تفسيرهم بين العلوم المختلفة، ومنهم الشيخ الطبرسي* في تفسيره مجمع البيان الذي يبحث فيه عن اللغة والنحو والقراءة والكلام والحديث وغيرها [1] .

*) الحويزي : عبد علي ابن جمعة العروسي ولد في القرن الحادي عشر ، وقد سكن مدينة شيراز، كان عالما فاضلا فقيها محدثا ثقة ورعا شاعرا أديبا جامعا للعلوم والفنون ، معاصرا ، له كتاب نور الثقلين في تفسير القرآن أربع مجلدات أحسن فيه وأجاد ، ومن مصنفاته شرح لامية العجم ، توفي سنة (ت ١١١٢ هـ) ، وقد دفن بشيراز ، ينظر: الحر العاملي : أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ١١٠٤ هـ) ، أمل الأمل ،تح : السيد أحمد الحسيني ، الناشر : دار الكتاب الإسلامي ، د ـ ط ، ١٣٦٢ ش ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .

*)البحراني : هو هاشم أبن السيد سليمان أبن السيد إسماعيل أبن السيد عبد الجواد الكتكاني ، والكتكاني هي أحدى قرى (توبلي) في البحرين ، وكانت ولادته في القرن الحادي عشر الهجري ، وأنتهت إليه رياسة البلد ، وكان فاضلاً ومحدثاً وجامعاً متتبعاً للأخبار ، ومن أشهر مصنفاته البرهان في تفسير القرآن وكتاب مدينة المعجزات في النص على الأئمة الهداة وغيرها الكثير ، توفي في سنة (ت ١١٠٧هـ) وقيل (ت ١١٠٩ هـ) ودفن في قريته في البحرين .

*)الفيض الكاشاني : محمد بن مرتضى المعروف بالمولى محسن ولد سنة (١٠٠٧ هـ) ، في مدينة قم ، ثم هاجر إلى شيرازللدراسة على يد أستاذه صدر الدين الشيرازي ، وبعدها إلى مدينة كاشان لتولي شؤون المرجعية ، ويعدّ من نوادر الدهر، ومشاهير علماء الشيعة ، فله في جميع العلوم العقليّة والنقليّة ومن أشهر مصنفاته تفسيري الصافي والأصفى وغيرها من المصنفات الأخرى ، توفي في سنة (ت ١٠٩١ هـ) في كاشان ودفن فيها ، ينظر : الوحيد البهبهاني : محمد باقر (ت ١٢٠٥ هـ) ،حاشية الوافي ، الناشر : مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني ، قم ـــ ايران ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

*)الطبرسي : هو الفضل بن الحسن بن الفضل وكنيتهُ أبي علي ، ولد في مدينة مشهد المقدسة في سنة (٤٦٨ أو ٤٦٩ هـ) ، وأنتقل إلى مدينة سبزوار في سنة (٥٢٣ هـ) ، وفيها توفي في سنة (ت ٥٤٨ هـ) ونقل إلى مدينة مشهد المقدسة ودفن هناك في المقبرة المعروفة (بقتلكاه) ، ولهُ العديد من المصنفات لعل أبرزها تفسيره المعروف مجمع البيان وتفسيره الآخر جامع الجوامع، ينظر: البحراني، لولؤة البحرين في الأجازة لقرتي العين، ص ٣٣٠ .

[1]) الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص ٦١ .

رابعاً : أهمية علم التفسير :

لقد ثبت بعد الاستقصاء أهمية علم التفسير وعظمته ومكانته ، لأنه يتعهد باستكشاف مقصود الله ـــ تعالى ـــ من آياته ، ومايريده من الآيات التي نزلت لتهدي البشرية ، فهو قانون الهداية الذي يهدي إلى سبيل الكمال والصراط المستقيم [١] ، كما في قوله تعالى :﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيما فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [٢] ، و به تخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان ، قال تعالى :﴿ **الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ**﴾ [٣] .

ولذلك أصبح لهذا العلم أي التفسير أهمية كبيرة جداً لأن؛ الله عندما أنزل القرآن أنزله لكي يتدبره الناس ويتفكرون في آياته، فحينما يفهمونه وتستريح أنفسهم لهُ تسعى للعمل بموجبه وتطبيق ما فيه من الأحكام وغيرها من المسائل الآخرى، فلذلك نجد الله ـ وتعالى ـ قد دعا الى تدبر آياته لما يمثله من أهمية، فعلى سبيل المثال، قال تعالى ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [٤] ، وقوله تعالى :﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ**﴾ [٥] [٦]، فهذه الآيات المباركة هي دعوة مباشرة إلى الناس في تدبر القرآن الكريم والتأمل في آياته .

فعلم التفسير من أشرف العلوم وأفضلها من حيث تأريخه وموضوعه وغرضه فأساسه القرآن الكريم والحديث الشريف وتاريخه هو أول العلوم الإسلامية وموضوعه هو كلمة الله ـ تعالى ـ والغرض منه معرفة معاني هذه الكلمات وتحقيق أهدافها في ميدان المجتمع الإسلامي

---

[١]) ينظر: المازندراني :علي أكبر السيفي، دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، ط ١، ١٤٢٨ هـ ، ص ٤٧ .

[٢]) سورة الأنعام : آية (١٥٣) .

[٣]) سورة إبراهيم : آية (١) .

[٤]) سورة ص : آية (٢٩) .

[٥]) سورة محمد : آية (٢٤) .

[٦]) ينظر: حسين: عماد علي عبد السميع، التيسير في أصول وأتجاهات التفسير، الناشر: دار الإيمان، الأسكندرية، د ـ ط ، ٢٠٠٦ م ، ص ١١ .

[1]، فلذلك اعتبره العلماء المصدر الرئيسي لجميع العلوم الإسلامية في عدد من المعارف الدينية [2].

وقد أمر الله ـ عزوجل ـ نبيه (صلى الله عليه وآله) بمهمة تبيين الكتاب العزيز وتوضيحه وتفسيره ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [3] ، وهذا مافعله النبي (صلى الله عليه وآله) على أكمل وجه فكان أصحابه إذا استشكل عليهم أمر سألوه فيقوم بتوضيح ماصعب عليهم فهمه وتبينه [4].

وقد أكمل الرسالة من بعد النبي (صلى الله عليه وآله) أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير القرآن الكريم ، وبما أن علم التفسير هو من أفضل العلوم وأشرفها وهدفه الكشف عن مراد الله ـ تعالى ـ ، لذلك نجدهم (عليهم السلام) قد أولوا هذا العلم اهتماماً خاصاً فوضعوا لهُ الأسس وقعدوا لهُ القواعد وذلك لأنهم معصومون ، وحينما أسسوا هذه القواعد أصبحت قواعد وحيانية لايقبل التشكيك فيها بعكس لوكانت هذه القواعد قد تم تأسيسها من قبل الفقهاء أو العلماء فإنها سوف يأتي عليها ما يأتي فهي بالنهاية أنتاج بشري [5] .

وبعد أن وضعوا الأسس والقواعد والمباني لهذا العلم (التفسير) نجدهم (عليهم السلام) قد بدأوا يحثون أتباعهم وشيعتهم على التدبر والتأمل في آيات الله ــ عزوجل ــ التي أنزلها في القرآن الكريم من خلال الأحاديث والروآيات الشريفة الواردة عنهم (عليهم السلام) ففي خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) يذكرُ فيها فضل من تدبر في آيات القرآن الكريم وأن على الإنسان أن ينظر فيها ويتدبر، فيقول « واعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ والْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ والْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ ومَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْه بِزِيَادَةٍ

---

[1]) ينظر: بن ياسين : حكمت بن بشير ، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ، الناشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة ، المدينة النبوية ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م ، ج١ ، ص ٥ .

[2]) ينظر: السند :محمد ، تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم ، الناشر : مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، طهران ـ إيران ، ط ١ ، ١٤٣٤ هـ ق ، ص ٥٩٠ .

[3]) سورة النحل : آية (٤٤) .

[4]) عماد علي عبد السميع ، التيسير في أصول وأتجاهات التفسير ، ص ١١ .

[5]) ينظر: السند ، تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم ، ص ٧٥ .

أَوْ نُقْصَـانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَـانٍ مِنْ عَمًى ... » [1] ، وعن الزهري قال : سمعت علي بن الحسـين (عليهما السـلام) يقول : « آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظرما فيها » [2] ، أي تأمل وتدبروتفهم ما فيه من الآيات المباركة .

[1]) الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، الخطبة : ١٧٦ ، ص ٢٥٢ .
[2]) الكليني ، الكافي ، ج ٢ ، ص ٦٠٩ ، كتاب فضل القرآن ، باب في قراءته ، ح (٢) .

المطلب الثاني : علم العقيدة : أسماؤه ونشأته وأهميته :

أولاً : أسماؤه :

لقد ذكر علماء المسلمين لهذا العلم الذي يبحث عن ــ الله وصفاته ــ عدة تسميات - فمنهم من أطلق عليه اســـم علم العقيدة ؛ لأن البحث فيه عن وجود الله ، ومن اعتقد في وجود الله ، يلزمه القول بإثبات النبوات ، والملائكة ، والبعث من للأموات ، وسـائر الأمور السـمعية التي ورد بها الوحي ، وهناك قسم آخر من العلماء من سماه بعلم التوحيد ؛ لأن أبرز مسألة تبحث فيه هي دلائل وحدانية الله ــ عز وجل ــ ، ونجد علماء آخرون أطلقوا عليه تسمية علم الكلام لأن أشهر مسألة كثر فيها الجدل بين المسلمين ، هي مسألة ــ كلام الله تعالى ــ فالمعتزلة قالوا إن الكلام مخلوق محدّث ، قال تعالى : ﴿**مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [1] ، بينما نجد الأشاعرة قد خالفوا رأي المعتزلة : وقالوا الذكر الذي عناه الله ـــ عز وجل ـ ليس هو القرآن بل هو كلام الرسول (صلّى الله عليه وسلم) ووعظه إياهم [2].

وهناك فريق آخر من العلماء من ذهب في تسمية العلم الذي يبحث عن ـــ الله وصفاته ـ بالفلسفة الإسلامية والسبب في تلك التسمية تعود الى " أن الفلسفة في أصل نشوئها والغرض منها هو : تفسير نظام الكون ، بأسره ، والبحث عن العلل الأولى ، لجميع الموجودات ، ولهذا الغرض تكلم فيه المسلمون " [3] .

ثانياً : نشأته :

اختلفت الآراء حول أصل علم الكلام ونشأته ومؤسسه وأول من استعمله في الجدل وإثبات الحق ، وعلى مستوى المرجعيات الكبرى، وحصل سجال شديد بين أصحاب الفرق والمدارس الكلامية ، كل منهم يدعي أنه المؤسـس لهذا العلم ، وعلى يديه نما وبرز وأنه هو الذي أسـس أركانه الأولى ووضع خطوطه الأساسية ، لذلك هناك رأيان بخصوص نشأة هذا العلم .

---

[1]) سورة الأنبياء : آية (٢) .

[2]) ينظر: الرازي : فخر الدين (ت ٦٠٦ هـــ) ، المطالب العالية من العلم الألهي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧ ق ،ج ١ ، ص ٧ .

[3]) المصدر نفسه ،ج ١ ، ص ٨ .

الرأي الأول : وهذا الرأي يقول أن مبدأ انتشار علم الكلام كان على يد المعتزلة والقدرية، وكان ذلك عن طريق عبد الله بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام)* ، إذ كان عبد الله معلم واصل بن عطاء* ، وهو رأس المعتزلة. ويعزو هذا الرأي ظهور بذرة علم الكلام إلى الإمام علي (عليه السلام) عندما تعلم محمد بن الحنفية من أبيه كيفية المجادلة وإقامة الحجة، وخاصة في قضية التحكيم في حرب صفين، وبعد ذلك مجادلة الخوارج .

وأما الرأي الآخر: فهو الرأي الذي يتبناه علماء الإمامية، إذ يروون إنهم هم الذين وضعوا الركائز الأولى لعلم الكلام وأول من وصف لبناته وقضاياه ومبادئه ، والدليل على ذلك أن الأئمة الطاهرين من آل محمد قد كشفوا كثيراً من المسائل الكلامية التي وردت في أحاديثهم وخطبهم ومناظراتهم مع من طلب المناظرة [1] .

---

*) عبد الله بن محمد بن الحنفية وهو بن علي بن أبي طالب ويكنى أبا هاشم وأمه أم ولد فولد عبد الله بن محمد هاشما به كان يكنى ومحمد الأصغر وأمهما بنت خالد بن علقمة بن الحويرث بن عبد الله بن أبي اللحم وأما محمد الأكبر بن عبد الله ولبابة بنت عبد الله وأمهما فاطمة بنت محمد بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وعلي بن عبد الله ورجلا آخر لم يسم لنا وأمهما أم عثمان بنت أبي حدير وهو عياش بن عبدة من بني قضاعة وطالبا وعونا وعبيد الله لأمهات أولاد ، وريطة وهي أم يحيى بن زيد بن علي المقتول بخراسان وأم ريطة هي أم الحارث بنت الحارث بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وأم سلمة وأمها أم ولد وكان أبو هاشم صاحب علم ، وكان ثقة قليل الحديث وكانت الشيعة يلقونه ويتولونه وكان بالشام بن عبد الله بن أبي اللحم وأما محمد الأكبر بن عبد الله ولبابة بنت عبد الله وأمهما فاطمة بنت محمد بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان ثقة قليل الحديث وكانت الشيعة يلقونه ويتولونه وكان بالشام مع بني هاشم فحضرته الوفاة ومات بالحميمة في خلافة سليمان بن عبدالملك بن مروان . أبن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج ٥ ، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

*) واصل بن عطاء الغزّال ، ويكنى أبا حذيفة ، وقيل : إنّه مولى بنى ضبّة ، وقيل : مولى بنى مخزوم ، وقيل : مولى بني هاشم ، وروى أنّه لم يكن غزّالا ، وإنّما لقّب بذلك ، لأنّه كان يكثر الجلوس في الغزّالين ، وكان واصل من أهل مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله ، ومولده سنة ثمانين ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وكان واصل ممّن لقى أبا هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفيّة وصحبه . الشريف المرتضى : أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي (ت ٤٣٦ هـ) ، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ، تح : إبراهيم محمد أبو الفضل ، الناشر : دار الفكر العربي ، القاهرة ـ مصر ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ،ج ١ ، ص ١٦٣ .

[1]) ينظر:الموسوي : رزاق حسين ، نشأة علم الكلام أسبابه ودوافعه ، مجلة كلية الفقه ، العراق ـ النجف الأشرف ، العدد الرابع عشر ، السنة الحادية عشر ، ٢٠١١ ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

والرأي الثاني : هو الأرجح بحسب مايظهر، فلو لاحظنا مباحث علم الكلام لوجدنا أن المتكلمون قد استفادوا من النصوص الواردة عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام)، فقد كان لهم الأثر الكبير في توجيه اصحابهم للأشتغال بعلوم العقيدة والمناظرات الكلامية فاشتغلوا في وقت مبكر يسبق بقية الفرق كالمعتزلة ، وقد ذكر كثيراً من هذه المباحث الكلامية في خطبهم ، فلو أخذنا على سبيل المثال لا الحصر، مبحث النظر والتفكر، وقرأنا نص الإمام (عليه السلام)، بتمعن وتدبر لوجدنا هذا الأمر واضحاً ، إذ يقول : « ولو فكروا في عظيم القدرة، وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة، والأبصار مدخولة! ألا تنظرون إلى صغير ما خلق الله، كيف أحكم خلقه، وأتقن تركيبه، وخلق له السمع والبصر، وسوى له العظم والبشر. انظروا إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبت على أرضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعيدها في مستقرها. تجمع في حرها لبردها، وفي ورودها لصدرها . مكفول برزقها ، مرزوقة بوصفها، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديان، ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس ولو فكرت في مجاري أكلها، وفي علوها وسفلها وما في الجوف شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها واذنها، لقضيت من خلقها عجبا، ولقيت من وصفها تعبا! فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعده على خلقها قادر. ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة، لدقيق تفصيل كل شيء ، وغامض اختلاف كل حي وما الجليل أو اللطيف، والثقيل والخفيف، والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء » [1] .

فهذه الخطبة وغيرها من الخطب تعطي دلالة واضحة أن المؤسس وواضع الركائز لهذا العلم هو الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهذا لايقتصر فقط على مبحث النظر والتفكر بل يتعداهما إلى المباحث الأخرى مثل مبحث الإيمان والإسلام ومباحث التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد فهناك مجموعة كبيرة من الخطب التي تحدث فيها عن هذه المباحث ، لذلك لم يكن واصل بن عطاء هو المؤسس لعلم الكلام ، وكذلك لم تكن فكرة خلق القرآن وقدمه هي

[1]) الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٥ ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

البداية في نشوءهذا العلم ، بل البدايات كانت على يد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نشأة علم الكلام كما ذكرنا سابقاً .

ثالثاً : أهميته :

أما أهميته ـــ فعلم العقيدة ـــ يعدُ من أثمن العلوم وأكثرها قيمة للإنسان ؛ لأنه يساعد في الحفاظ على سلامة الفكر والروح البشرية من الانحرفات الفكرية والعقائدية التي تصيب الإنسان [١]. ومن شدة أهمية هذا العلم ـ العقيدة ـ كان بعض الفقهاء القدماء يذكر مُقدِّمةً ترتبط بعلم العقائد فيذكر شيئاً يرتبط مثلًا بباب التوحيد ثم باب النبوة ثم العدل ثم الإمامة ثم الى بقية العقائد الآخرى عندما يكتبون في الفروع ـ الفقه الأصغر ـ [٢] .

فهذا الاهتمام بعلم ـــ العقيدة ـــ إنّما هو مبني على اهتمام خاص من قبل الأئمة (عليهم السلام) في إثبات العقائد الحقة للمخالفين وحتى للزنادقة ، ففي الرواية الواردة عن هشام ابن الحكم، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :« ... فمن هذا الملك الذي أنت عبده ؟ أمن ملوك الأرض أم من ملوك السماء ؟ وأخبرني عن ابنك عبد إله السماء أم عبد إله الأرض ؟ قل : ما شئت تخصم قال هشام بن الحكم : فقلت للزنديق أما ترد عليه ، قال : فقبح قولي ...، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) للزنديق : أتعلم أن للأرض تحتا وفوقا ؟ قال : نعم ، قال فدخلت تحتها ؟ قال : لا ، قال : فما يدريك ما تحتها ؟ قال : لا أدري إلا أني أظن أن ليس تحتها شئ ، فقال : أبو عبد الله (عليه السلام) فالظن عجز ، لما لا تستيقن ؟ ثم قال أبو عبد الله : أفصعدت السماء ؟ قال : لا ، قال : أفتدري ما فيها ؟ قال : لا ، قال : عجبا لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب ولم تنزل الأرض ولم تصعد السماء ولم تجز هناك فتعرف ما خلفهن وأنت جاحد بما فيهن وهل يجحد العاقل ما لا يعرف ؟ ! قال الزنديق : ما كلمني بهذا أحد غيرك ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : فأنت من ذلك في شك فلعله هو ولعله ليس هو ؟ فقال الزنديق : ولعل ذلك ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : أيها الرجل ! ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم ولا حجة للجاهل يا أخا أهل مصر ! تفهم عني فإنا لا نشك في الله أبدا أما ترى الشمس

[١]) ينظر: الريشهري ، موسوعة العقائد الإسلامية ، ج ١ ، ص ١٥٠ .
[٢]) ينظر:السند ، تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم ، ص ١٣٤ .

والقمر والليل والنهار يلجان فلا يشتبهان ويرجعان ، قد اضطرا ليس لهما مكان إلا مكانهما ، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعان ؟ وإن كانا غير مضطرين فلم لا يصير الليل نهارا والنهار ليلا ؟ اضطرا والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما والذي اضطرهما أحكم منهما وأكبر ، فقال الزنديق : صدقت ، ثم قال : أبو عبد الله (عليه السلام) يا أخا أهل مصر إن الذي تذهبون إليه وتظنون أنه الدهر إن كان الدهر يذهب بهم لم لا يردهم وإن كان يردهم لم لا يذهب بهم ؟ القوم مضطرون يا أخا أهل مصر لم السماء مرفوعة والأرض موضوعة لا يسقط السماء على الأرض ، لم لا تنحدر الأرض فوق طباقها ولا يتماسكان ولا يتماسك من عليها ؟ قال الزنديق : أمسكهما الله ربهما وسيدهما ، قال : فآمن الزنديق على يدي أبي عبد الله - عليه السلام - ... » [1] .

فهذه الرواية تعطينا انطباعاً أن الأئمة (عليهم السلام) كانوا يولون لعلم العقيدة وإثباتها لدى المخالفين وغيرهم اهتماماً خاصاً من بين جميع العلوم الآخرى وهذا مانجده واضحاً من خلال الأحاديث والروآيات الواردة عنهم (عليهم السلام) لذا شاهدنا في الروآية المتقدم ذكرها آنفاً أن الإمام (عليه السلام) هو من تصدى بنفسه لنفي الاعتقادات المنحرفة وإثبات العقائد الحقة من خلال استعمال الأدلة العقلية وغيرها من أجل ترسيخ المفاهيم الصحيحة ، أو أنهم (عليهم السلام) كانوا يوكلون مهمة الدفاع عن العقائد وإثباتها إلى أصحابهم كما هو الحال بالنسبة إلى هشام ابن الحكم * .

---

[1]) الكليني ، الكافي ،ج ١، ص ٧٢ ، كتاب التوحيد ، باب حدوث العالم وأثبات المحدث ،ح(١)

*) هشام بن الحكم :كان من خواص سيدنا ومولانا موسى بن جعفر ــ عليهما السلام ــ ، وكانت له مباحثات كثيرة مع المخالفين في الأصول ، وغيرها ، وكان له أصل ، أخبرنا به جماعة من أصحابنا ، وله الكثير من المصنفات ، منها : كتاب الإمامة ، وكتاب الدلالات على حدوث الأشياء ، وكتاب الرد على الزنادقة ، وكتاب الرد على أصحاب الاثنين ، وكتاب التوحيد ، وغيرها الكثير من المصنفات الأخرى ، وكان هشام ، يكنى أبا محمد ، وهو مولى بني شيبان ، كوفي ، وتحول إلى بغداد ، ولقي أبا عبد الله جعفر بن محمد ــ عليهما السلام ــ على حدوث الأشياء ، وكتاب الرد على الزنادقة ، وكتاب الرد على أصحاب الاثنين ، وكتاب التوحيد ، وغيرها الكثير من المصنفات الأخرى ، وكان هشام ، يكنى أبا محمد ، وهو مولى بني شيبان ، كوفي ، وتحول إلى بغداد ، ولقي أبا عبد الله جعفر بن محمد ــ عليهما السلام ــ وابنه أبا الحسن موسى (عليه السلام)، وله عنهما روايات كثيرة ، وروى عنهما فيه مدايح له جليلة ، وكان ممن فتق الكلام في الإمامة ، وهذب المذهب بالنظر ، وكان حاذقا بصناعة الكلام ، حاضر الجواب ، وكان منقطعا إلى يحيى بن خالد

فتصدى الأئمة (عليهم السلام) أو من ينوبهم من أصحابهم للدفاع عن العقيدة الإسلامية وإثبات مضامينها ورفع الشبهات عنها فيه دلالة واضحة على أهمية وعظمة ومكانة هذا العلم فنجدهم (عليهم السلام) قد واجهوا كل الانحرافات العقائدية في أعصارهم من الخوارج ومروراً بالزنادقة ، ومازالت الأنحرافات مستمرة إلى يومنا هذا نجد لها في تراثهم (عليهم السلام) ما يعيننا في مواجهتها .

رابعاً : العلاقة بين علم العقائد وعلم التفسير :

وهنا قد يتبادر سؤال إلى الذهن مفاده ؛ هل هناك ثمة علاقة أو أرتباط بين علم التفسير وعلم العقيدة ؟ وللجواب عن هذا التساؤل وبيان هذه العلاقة بينهما إذ تتلخص علاقة علم التفسير بعلم العقيدة بأمرين :

أولهما : إن موضوع علم التفسير هو بيان آيات القرآن الكريم، كونه كلام ووحي إلهي وإثبات وحيانية هذا الكتاب وأنه كتاب إلهي لايتم إلا عن طريق علم الكلام .

ثانيهما : هناك قسم كبير من آيات القرآن الكريم، ترتبط بالعقائد الدينية ، وهذه الآيات لايتيسر تفسيرها ألا بعد الإلمام بعلم الكلام ومبادئه [1] .

وفي الختام : وبعد أن بيّنا نشأة علميّ التفسير والعقيدة ومكانتهما، إن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) هو أول مفسّر للقرآن الكريم، وعرضنا الأراء فيما يخص ذلك، وظهر للباحث أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) قد فسّر قسم كبير من الآيات والسور، التي لم تكن في متناول افهامهم، لذلك احتاجت إلى من يبينها لهم .

البرمكي ، وكان القيم بمجالس كلامه ونظره ، وكان ينزل الكرخ من مدينة السلام في درب الجنب ، وتوفي بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة متسترا ، وقيل : بل في خلافة المأمون . ينظر : الطوسي : الشيخ أبو جعفر محمد أبن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) ، الفهرست ، تح : جواد القيومي ، الناشر مؤسسة نشر الفقاهة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ ، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

[1]) ينظر: الكلبايكاني: علي الرباني، ماهو علم الكلام ، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب (مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٢٧ ق ـ ١٣٨٥ ش ، ص ٦١ .

وأما فيما يخص نشــأة علم العقيدة ، فقد توصــل البحث ، إلى أن الواضــع الأول لهذا العلم هم النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وذلك عن طريق توجيه اصحابهم وارشادهم للأشتغلال بعلم العقيدة والمناظرات الكلامية ، فكانوا هم السباقون في ذلك ، على غيرهم من الفرق الكلامية الأخرى كالمعتزلة ، في مجادلة بعض المعاندين والمنكرين لوجوده تعالى .

وأما بالنســبة لأهميتهما ، فإنهما يحتلان موقع الصــدارة بين العلوم الإســلامية الأخرى؛ وذلك لإرتكازها عليهما إذ لاعمل مقبول بدون إيمان .

المبحث الثاني: منهج مفسري الإمامية في إثبات العقيدة

لقد اتخذ علماء ومفسرو الشيعة الإمامية منهجاً خاصاً في إثبات معتقداتهم، حيث أن الإمامية هم أولى الفرق الإسلامية على الإطلاق في قبال المعتزلة والأشاعرة واللتان تعدان من أبرز الفرق الكلامية الإسلامية، وللإمامية آراء مستقلة يستمدونها من الكتاب الحكيم والسنة النبوية المطهرة والعقل، وقد يتفقون مع الأشاعرة في بعض الجوانب، ومع المعتزلة في جوانب أخرى، وهم مستقلون عن الفريقين في بعض اعتقاداتهم، كمسألة الإمامة والتي أختلف معهم فيها كلاً من الأشاعرة والمعتزلة، بينما أتفقت المعتزلة مع الإمامية في مسألة التحسين والتقبيح العقليين ضمن مباحث العدل الألهي وخالفهم فيها الأشاعرة ، وكذلك يتفقون معهم أو يختلفون ـ المعتزلة والأشاعرة ـ في بعض الأعتقادات الفرعية ، كموضوع الصفات الخبرية وعصمة الأنبياء وغيرها .

وبما أن الدراسة في هذا المبحث ستدور حول محور منهج مفسري الإمامية في إثبات العقائد وتقريرها ، معتمدين في ذلك على القرآن الكريم في استنباط هذه الأصول الاعتقادية وإثباتها ، وكما معروف أن للمفسرين مناهج تفسيرية يستندون عليها في تفسيرهم لآيات الكتاب المجيد ، أذاً لابد من التوقف عند هذه المناهج وعرضها ، وبداية حديثنا سيكون عن نشأة المناهج التفسيرية والعوامل التي أدت إلى ظهورها .

المطلب الأول : نشأة المناهج التفسيرية والعوامل التي أدت إلى ظهورها :

اقترن ظهور التفسير مع نزول القرآن الكريم في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، الذي كان بدوره أول مفسرٍ لهُ ، قال تعالى : ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ**﴾ [1] ، ومع أن القران نزل بلغتهم وعلى وفق أساليبهم وطرق كلامهم ، إلا أنه كان بحاجة إلى شرح وتوضيح لأحكامه وألفاظه ومعانيه التي يصعب عليهم فهمها .

وبالرجوع إلى نشأة المناهج التفسيرية نجد أن أول المناهج ظهوراً هو منهج تفسير القرآن بالقرآن الذي اعتمده النبي (صلى الله عليه وآله) في تفسير القرآن على القرآن نفسه ، ومن هنا نشأ منهج تفسير القرآن بالقرآن ، وسار على ذلك النهج أهل بيته (عليهم السلام) وصحابته في تفسير القرآن الكريم .

ثم ظهرت بقية المناهج تباعاً ومن أبرزها المنهج الأثري وهو تفسير القرآن الكريم بالروآيات الصحيحة الوارة عن النبي (صلى الله عليه وآله)، واستفادة أهل بيته الكرام (عليهم السلام) وصحابته بما أثر عنه . وبعد ذلك كثرت طرق تفسير القرآن وفهمه ، ومنها ظهور الأراء والمذاهب والمدارس التفسيرية المختلفة ، فظهر المنهج الظاهري ، والمنهج الباطني ، والتفسير اللغوي ، والتفسير بالرأي ، والمنهج الفلسفي ، وغيرها من المناهج الأخرى [2] .

وهناك مجموعة من العوامل التي أدت إلى ظهور هذه المناهج ، قسمها الرضائي إلى عدة عوامل منها .

١ـ طبيعة القرآن : لقد نزل القرآن مفصلاً لمدة ثلاث وعشرين سنة، ومسائله وموضوعاته وأسباب نزول آياته متنوعة ، إلا أن موضوعاته مترابطة وآياته تشرح بعضها بعضها الآخر، إلا أن هذا التفسير يحتاج إلى أدوات معرفية كمعرفة الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد

---

[1]) سورة إبراهيم : من الآية (٤) .

[2]) ينظر: الرضائي : محمد علي ، مناهج التفسير واتجاهاته دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن، تعريب قاسم البيضاني ، الناشر: مركز الحضارة لتنمية الفكرالإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ ، ص ١٩ ـ ٢٠ .

وغيرها، للحصول على تفسير شامل يكشف عن الآيات الغامضة ، وهذا هو تفسير القرآن بالقرآن .

٢ - **الأمر القرآني :** جاء في الكتاب العزيز أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) هو المفسر والمبين للكتاب الكريم ، قال تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [١] ، فكلام النبي (صلى الله عليه وآله) وأعماله فيما يتعلق بالآيات القرآنية ، يعدُّ تفسيراً للقرآن وهو حجة على الناس عامةً ، وهذا الأمر هو أول إشارة إلى نشوء الطريقة و المنهج الأثري في التفسير مما جعل المسلمين يعتنون كثيراً بالروايات الصادرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) ، وجمعوها بعد ذلك في كتبهم التفسيرية لتساعدهم في فهم النص القرآني .

٣ - **أعتقادات المفسرين وأراؤهم :** " بعد وفاة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ، كثرت الخلافات بين المسلمين ، وظهرت المذاهب الفقهية ، وسعت كل مجموعة من هذه المجموعات إلى إثبات معتقداتها وآرائها على المجموعة الأخرى ، من خلال تفسير وتأويل الآيات القرآنية المخالفة لها وإبعاد الطرف الآخر عنها ، مثل الآيات المتعلقة بالجبر والتفويض وغيره من الآيات الأخرى " [٢] .

٤ - **الاعتماد على الأراء والمعتقدات الشخصية :** انحازت مجموعة من المسلمين بعيدا، وفسروا القرآن على حسب ؛ أهوائهم؛ وميولهم الشخصية من دون الاعتماد على أدلة العقل والنقل ؛ وهذا ما يسمى بالتفسير بالرأي ، وهذا النوع من التفسير مذموم ومنهي عنه ، فقد روى سالم ، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قوله : « من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر ، وإن أخطأ كان أثمه عليه » [٣] .

٥ - **أختلاف المصادر وأدوات التفسير:** ومن العوامل المؤثرة في ظهور أساليب التفسير وتطورها هو استفادة المفسرين من المصادر والأدوات المختلفة في تفسير القرآن ، وقد استفاد

---

[١]) سورة النحل : من الآية (٤٤) .
[٢]) الرضائي ، مناهج التفسير واتجاهاته دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن ، ص ٢٠ - ٢١ .
[٣]) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٨٩ ، ص ١١٠ .

بعض المفسـرين من العقل أكثر من غيرهم، واتجهوا إلى المنهج العقلي والاجتهاد في تفسـير القرآن، بينما اعتمد بعضـهم أكثر على الروايات في التفسير واتجهوا إلى المنهج الأثري ، مثل تفسير نور الثقلين والدر المنثور، بينما نجد هناك من استخدم العلوم التجريبية في تفسير القرآن واتجـه إلى منهج التفسـير العلمي، مثـل: الجواهر للطنطـاوي ، وهنـاك من اختـار المنهج الإشاري ، والمنهج الصوفي في التفسير، لأنهم استفادوا من الكشف الباطني في التفسير، مثل تفسير كشف الأسرار للمبيدي [1] .

٦ - **الاتجاهات الحاكمة في زمن المفسـرين :** إن للمشـكلات الحديثة السـائدة في عصـر المفسـر تأثيراً كبيراً على منهجه في التفسـير، فنراه يحاول وضـع الحلول المناسـبة للمشـاكل الاجتماعية من خلال الاسـتفادة من الآيات القرآنية المباركة ، ومن هنا نشـأ التفسـير الحديث المعاصرالاجتماعي [2] .

إن هذه المجموعة من الأسـباب والعوامل التي ذكرناها أدت إلى ظهور المناهج التفسـيرية ونشأتها التي من خلالها تم تبيين آيات القرآن الكريم .

[1]) ينظر:الرضائي، مناهج التفسير واتجاهاته دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن ، ص ٢٢ .
[2]) ينظر: المصدر نفسه ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

المطلب الثاني : المناهج التفسيرية المعتمدة في إثبات العقيدة :

تعددت المناهج التفسيرية التي أعتمدها مفسرو الإمامية في بيان وتوضيح أيات الكتاب الحكيم ، وخاصة الآيات المتعلقة بالجانب العقائدي ، وقد أستفادوامن هذه المناهج في فهم نصوص القرآن الكريم، وقاموا بتوظيفها على أفضل مايكون ليس فقط بالجانب العقدي بل شملت جميع جوانب القرآن الكريم في مختلف آياته وسوره المباركة .

إن الدارس والمتتبع لمنهج متكلمي الإمامية في تأصيل عقائدهم وإثباتها ، سيجد أنهم اعتمدوا على العقل في التأصيل لمعتقداتهم وهي ـ التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، حيث استطاعوا من خلاله التأسيس لأصولهم الاعتقادية ، إلا أن هذا لايمنع من تعضيد العقل بما يؤيده من النصوص الشريفة ـ القرآنية والروائية ـ وانطلاقاً من ـ أن النقليات في العقليات هي عبارة عن ألطاف ـ فهذه النصوص القرآنية هي إرشادية إلى حكم العقل [1] ، يتفضل بها الله ـ تعالى ـ على عباده ، وكذلك لتكون بمعيته في النهوض بمسؤولية إثبات العقائد الصحيحة وتصحيح مسارات العباد ، لذلك نجد مفسري الإمامية قد خلقوا حالة من التوازن بين النص ـ القرآن والسنة ـ وبين العقل فلم يتطرفوا كما تطرفت بقية المذاهب الكلامية في آرائها ومنطلقاتها التأسيسية .

فالقرآن الكريم يمثل قيمة كبيرة عند المسلمين عامةً ، جعلته يحتل الصدارة، فهو أول مصادر التشريع الإسلامي، ومنهلاً نستمد منه جميع العلوم والمعارف الدينية ، ولاسيما في باب العقائد، قال تعالى :﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدى وَرَحْمَة وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ [2] ، فلو تأملنا كتب العقائد عند الإمامية ، فسنرى أنهم قد وضعوا القرآن الكريم والنصوص الروائية الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) إلى جانب العقل في التأسيس لعقائدهم كونها مصدراً وتبياناً لكل شيء .

---

[1]) ينظر:المازندراني : علي أكبر السيفي ، البراهين الواضحة في عقائد الإمامية على ضوء العقل و الكتاب و السنة ،الناشر : جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ـ ايران ، ط١ ، د ـ ت ، ص ٦ ـ ٧ .

[2]) سورة النحل : من الآية (٨٩) .

وكونه أي القرآن الكريم أحد المصادر الرئيسية لعلم الكلام ومركز عصبه ، فالقرآن هو أصل علم الكلام، وهو أيضا من أهم مواضيعه فالمتكلمون قد أمعنوا النظر في آيات القرآن وسوره من العقائد والنبوات، ومن الوحدانية والتّنزيه المطلق للذات، وصفات الله تعالى، وعصمة الأنبياء، والوحي، وطرق الكلام الإلهي، والقضاء والقدر، والخير والشر، والجبر والاختيار، والكبائر والصغائر، ومبدأ الثواب والعقاب ، إلى آخر موضوع جاء به القرآن الكريم [1] .

إن إثبات وجود الصانع و التوحيد وصفات الباري و أصل النبوة و المعاد، و نحو ذلك من المسائل العقلية التي لا يمكن إثباتها بغير حكم العقل. فقد وردت روايات متعددة عن أهل البيت (عليهم السلام) في إثبات هذه المسائل العقلية. فهذه الروايات هي ارشادٌ إلى حكم العقل ، ولذلك يجب التمسك بمنهجهم (عليهم السلام) في الاستدلال العقلي والاقتداءُ بهم في إقامة البرهان العقلي لإثبات اصول العقائد ، وذلك لأنّ الإمامية تعتقد اعتقاداً راسخاً أنّ الأئمة (عليهم السلام) كانوا في أعلى مراتب كمال العقل والعلم والبلاغة ، و أفضل الخلائق في قوّة الاستدلال وتمكنهم من إقامة البراهين العقلية ، فالأئمة (عليهم السلام) هم الأكثر علماً والأوفر عقلًا و الأفصح بياناً والأبلغ استدلالًا و الأقوى منطقاً ، فقد جاءت عنهم (عليهم السلام) روايات صحيحة تحتوي على مناهج استدلالية و براهين عقلية متنوعة في إثبات وجود الصانع و التوحيد و صفات الباري إثبات النبوة و المعاد ، فقد استطاعوا (عليهم السلام) من خلال هذه المناهج والبراهين الرد على الزنادقة وإقامة الحجة عليهم وفي الأجابة على أسئلة أصحابهم ،ومما لاشك فيه أن هذه المناهج والمسالك الاستدلالية تعدُّ من أفضل المناهج في الاستدلال على مسائل العقيدة بل وأحسنها [2] .

وبعد أن بينا قيمة وعظمة الثقل الأول وكمال ورفعة الثقل الثاني من خلال ماورد عن أهل بيت النبوة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل من نصوص روائية في بناء

[1]) ينظر: أبو ليلة : محمد محمد ، القرآن الكريم من المنظور الأستشراقي ، الناشر: دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، ص ٣٤٨ .

[2]) ينظر:المازندراني، البراهين الواضحة في عقائد الإمامية على ضوء العقل والكتاب و السنة ، ص ٦ - ٧ .

الأصـــول الاعتقادية عند الإمامية ، نتوقف في المســـاحة المتبقية من هذا المطلب لعرض أهم المناهج التفسيرية التي اعتمدها مفسرو الإمامية في تفسير الآيات المتعلقة بمسائل العقيدة ، ثم بيانها .

أولا : المنهج النقلي :

إن مهمة القرآن الكريم الأساسية هي هداية الناس، وقد وصف القرآن الكريم بأنه الهادي الذي لايضل ، لذلك يجب أن يكون في متناول جميع الناس من حيث الفهم والإدراك .

وبمعنى آخر، يجب على الناس أن يفهموا القرآن الكريم ويدركوا معانيه حتى يستطيع أداء وظيفته التوجيهية ، وفيه بيان لسبل الحق التي يدعو الشرع المقدس إلى اتباعها ، وبهذا المعنى ، قال تعالى : ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدى وَرَحْمَة وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [1] ، وقوله تعالى:﴿ **لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰت مُّبَيِّنَـٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰط مُّسْتَقِيم** ﴾[2] [3] .

إن القرآن الكريم على نحو عام واضـــح في ظاهره ، ولكنه في الوقت نفســـه لا يخلو من المفردات والمعاني التي تحتاج إلى من يوضح معانيها وأحكامها، وهذه المهمة أوكلت بالدرجة الأولى إلى القرآن نفسه ، قال تعالى :﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدى وَرَحْمَة وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ [4] .

فالقرآن الكريم فيه تبيان كل شـــيء من أمور الدين والدنيا فمن باب أولى أن يكون تبياناً لنفسه ، وثانياً أعطى هذه المهمة إلى نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله) الذي نزل عليه القرآن الكريم ، كما هو واضـــح في الكثير من النصـــوص القرآنية قال تعالى :﴿ **وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدى وَرَحْمَة لِّقَوْم يُؤْمِنُونَ**﴾ [5] ، وقوله تعالى : ﴿**وَمَآ**

---

[1]) سورة النحل : من الآية (٨٩) .
[2]) سورة النور : آية (٤٦) .
[3]) ينظر:الشميلاوي : ضياء عبد الرحمن عاتي ، مصادر التفسير ومناهجه عند الإمامية في العصر الحديث ، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ أبن رشد ـ في جامعة بغداد ، ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م ، ص ٢٣ .
[4]) سورة النحل : من الآية (٨٩) .
[5]) سورة النحل : آية (٦٤) .

ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : **﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾**[2] ، فهذه الآيات واضحة المعنى ، قد استعملت أسلوب القصر، إذ جعلت نزول الكتاب مقتصراً على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وعلمه على النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الكرام وأنهم الأعلم بمضامينه ، ليوضحوا ويبينوا للناس ما اختلفوا فيه ، حيث جعل الله سبحانه علم الكتاب مقتصراً على نفسه سبحانه وتعالى بالمرتبة الأولى ومن ثم أنزل فيوضاته على نبيه وأهل بيته (عليهم السلام) بعلم الكتاب المجيد [3] .

فإن مهمة تفسير القرآن الكريم كانت على يد النبي (صلى الله عليه آله)، وأهل بيته (عليهم السلام) ، وكان هذا فريضة شرعية فرضها عليه القرآن الكريم بنفسه، وهكذا نزل القرآن وشرح بعضه للآخر، وأوكل جزءا من هذه المهمة للرسول الكريم، وتعدُّ هذه المهمة جزءاً من تفسير القرآن الكريم، وبعبارة أوضح تفسير النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) للقرآن الكريم جزء من مهمة القرآن الكريم نفسه في التفسير، لأن القرآن الكريم أحال التفسير إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، وعلى هذا القول لا نجد تعارضا بين القولين ، بين تفسير القرآن لنفسه ، وبيان إيكال المهمة من قبل القرآن الكريم للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) في تفسير آيات الكتاب المجيد وبيانها [4] .

١- : منهج تفسير القرآن بالقرآن :

إن مشروعية تفسير القرآن بالقرآن مستمدة من القرآن نفسه كما بينا سابقاً ، لذا نجد جملة من أعلام المفسرين من الإمامية أمثال ـ الطوسي ـ والطبرسي ـ والطباطبائي سلكوا طريقاً مغايراً لما هو مألوف عند باقي المفسرين وأخذوا يعتمدون في تفاسيرهم على منهج تفسير القرآن بالقرآن ، مستندين في ذلك على قول النبي محمد (صلى الله عليه وآله) : « إنّ القرآن

[1]) سورة الحشر : من الآية (٧) .
[2]) سورة آل عمران : من الآية (٧) .
[3]) ينظر: الشميلاوي ، مصادر التفسير ومناهجه عند الإمامية في العصر الحديث ، ص ٢٣.
[4]) ينظر: الشميلاوي ، مصادر التفسير ومناهجه عند الإمامية في العصر الحديث ، ص ٢٤ .

ليصدّق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض » [١] ، وقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : « وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيى لسانه ، وبيت لا تُهدم أركانه ، وعزّ لا تهزم أعوانه . . . كتاب الله تبصرون به ، وتنطقون به ، وتسمعون به ، وينطق بعضه ببعض ، ويشهد بعضه على بعض ، ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله » [٢] [٣] .

إن من أبرز تطبيقات منهج تفسير القرآن بالقرآن، يتمثل في أرجاع الآيات المتشابهات إلى الآيات المحكمات، لذا فقد اعتمد مفسرو الإمامية على هذه القاعدة في تفسير الآيات العقائدية، التّي تتصل بمسألة أن لله ـ تعالى ـ جسم ، وأن له يداً ، وجوازرؤيته في يوم القيامة ، وغيرها من العقائد المنحرفة ، ولكن قبل البدء بالحديث عن تفاصيل المحكم والمتشابه ، لابد لنا من وقفة عند تعريفهما في اللغة والاصطلاح .

أ ـ المحكم لغةً : وهو يرد بمعان منها " المُحْكَمُ : هو الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، أوهو بمعنى المنع أي : يمنع الظلّام عن الظلم ، وكذلك يأتي بمعنى الاتقان " [٤] . ويمكن إرجاع المعنيين الأول والثالث إلى المعنى الثاني وهو المنع ، لأن المنع يقتضي إتقان الشيء وتحصينه من الاضطراب والاختلاف [٥] .

ب ـ المتشابه لغةً: ورد في المتشابه معنيان ، الأول : " هو ما : يُشْبِه بعضُه بعضاً في الجَوْدَة والحُسْن " [٦] . وأما المعنى الثاني للمتشابه فهو من الالتباس : " وتشابها واشتبها : أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا " [٧] .

---

[١]) المتقي الهندي : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تح : بكري حياني ـ الشيخ صفوة السقا ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ، د ـ ط ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩ م ، ج١ ، ص٦١٩ .

[٢]) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣ ، ص ١٩١ ـ ١٩٢ .

[٣]) ينظر : الحيدري : كمال ، أصول التفسير والتأويل ، الناشر : دار فراقد للطباعه والنشر ، قم ، ط ٢ ، د ـ ت ، ص ١٦٠ .

[٤]) أبن منظور، لسان العرب ، ج ١٢ ، ص ١٤١ .

[٥]) ينظر : الحكيم : رياض، علوم القرآن دروس منهجية ، ص ١١٥ .

[٦]) أبن منظور، لسان العرب، ج١٣ ، ٥٠٤ .

[٧]) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ .

ج - المحكم والمتشابه اصطلاحاً : المحكم : "هي الآيات التي معناها المقصود واضح لا يشتبه بالمعنى غير المقصود ، فيجب الإيمان بمثل هذه الآيات والعمل بها. **أما المتشابه :** هو الآيات التي لا تقصد ظواهرها ، ومعناها الحقيقي الذي يعبر عنه التأويل والذي لا يعلمه الا الله تعالى فيجب الإيمان بمثل هذه الآيات ولكن لا يعمل بها " [١] . وقيل أيضاً " « أن المحكم : هو الذي يدل معناه بوضوح لا خفاء فيه ، **والمتشابه :** هو الذي يخلو من الدلالة الراجحة في معناه » [٢] . وفيما يخص التعريف الأول فقد ذكر العلامة الطباطبائي أن هذا التعريف هو المجمع عليه عند الشيعة أولاً ، وبين المسلمين ثانياً ، كما نقل ذلك في كتابه [٣] .

وأما عن أهميته ، فيقول العلامة الطباطبائي : أن من أفضل أنواع التدبر الذي أمر الله ـ سبحانه ـ به هو إرجاع المتشابهات إلى المحكمات ، وعرض الآية على الآية فإن القرآن يشهدُ بعضه على بعض وينطق بعضه ببعض [٤] .

وقد نصت الروايات الشريفة على النهي عن العمل بالمتشابه بمعزل عن المحكم ، وأمرت بالرجوع إلى المحكم لرفع التشابه عن الآيات [٥] .

إن الروايات الواردة عنهم (عليهم السلام) ، قد أمرتنا بالإيمان بالمحكم والعمل به ، أما المتشابه فعلينا الإيمان به دون العمل لأنه يوقع الجاهل في الشبهة والأشتباه والضلالة .

فقد روى العياشي ،عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن المحكم والمتشابه فقال : «المحكم ما يعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله» [٦] .

وقد روى الصدوق في العيون، عن أبي حيون، عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله : « من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدى إلى صراط مستقيم ثم قال : إن في اخبارنا متشابها

---

[١]) الطباطبائي، القرآن في الإسلام ، ص ٣٤ .
[٢]) الستراوي :عبد الشهيد مهدي ، القرآن نهج وحضارة ، الناشر: مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م ، ص ٢٥٧ .
[٣]) القرآن في الإسلام ، ص ٣٤ .
[٤]) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ج ١١ ، ص ٢٥ .
[٥]) ينظر: السند، تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم ، ص ٦ .
[٦]) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٩٣، في أن المنسوخات من المتشابهات .

كمتشابه القرآن ومحكما كمحكم القرآن فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا » [1] .

فهاتان الروايتان كان فيهما نهي واضح وصريح ، من قبل الأئمة (عليهم السلام) في الخوض بمتشابه القرآن الكريم ، فإنّ التوقف عنده طويلاً ، سيوقع صاحبه في الضلالة والخسران في الدنيا والآخرة ، وقد وكل الله ـ تعالى ـ علم متشابه القرآن الكريم إلى نفسه ، فهو الأعلم به دون غيره ، وكذلك اختار فئة معينة من عباده الصالحين ليعلمهم ما تشابه من كتابه العزيز ، قال تعالى : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ۙ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ** ﴾ [2] .

إن المفسرين عندما أرادوا الخوض في تفسير الكتاب الكريم ، وبالخصوص في المسائل الاعتقادية ، كان لزاماً عليهم أن يقوموا برد الآيات المتشابهة إلى الآيات المحكمة، ليستقيم المراد من متشابه الكتاب ، فقد جعلها القرآن قاعدة من القواعد في فهم ومعرفة الآيات المتشابهة [3] ، أو يرجعوا في تفسيرها إلى من خصهم الله ــ تعالى ــ بعلمه ، فهم عيبة علمه ، وسراج نوره (عليهم السلام) .

وسنورد تطبيقاً واحداً ، حتى تتضح الصورة ، قال تعالى : ﴿**وُجُوه يَوْمَئِذ نَّاضِرَةٌ** ﴾ ﴿**إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَة** ﴾ [4] .

ظن بعض المفسرين أن الآية تشير إلى شأنه في الآخرة ، وأخذوا يقولون : أن الله ـ تعالى ـ سوف يرى بالعين الباصرة في يوم القيامة ، وهذا الكلام ، يستلزم منه الجسمانية والوجود في

---

[1]) عيون أخبار الرضا ، ج١ ، ص ٢٦١ ، أن في أخبارنا متشابه كمتشابه القرآن ، ح ٣٩ .
[2]) سورة آل عمران : آية (٧) .
[3]) الستراوي، القرآن نهج وحضارة ، ص ٢٥٩ .
[4]) سورة القيامة : الآيات (٢٢ ـ ٢٣) .

المكان والكيفية والحالة الخاصة وجود جسماني ، وهذا الأمر يستحيل على الله ــ عزوجل ــ ، ونعلم أن ذاته المقدسة منزهة عن مثل هذا الاعتقاد الملوث [١] .

فهاتان الآيتان هن من متشابه القرآن الكريم ، إذ ؛ لو أرجعناهما إلى آيات أخر، سوف يتبين لنا معنى هذا المتشابه ، ونفهم الكيفية التي يمكن من خلالها أن نرى الله ـــــ سبحانه وتعالى ــ في يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ **لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ** ﴾ [٢] .

فهذه الآية تنفي نسبة النظر الحسي إلى الله - عزوجل - قال تعالى : ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾ [٣] ، فالمراد من الرؤية والنظر هنا هي الرؤية القلبية ، كما بينتها لنا آية أخرى في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ **مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ** ﴾ [٤] فالرؤية هنا ليست مادية كما يدرك البعض ، إنما هي البصيرة الباطنية التي ترى الله دون كيفية ولا إحاطة [٥] .

٢ - المنهج الروائي : ونقصد بالمنهج الروائي هو تفسير القرآن بالرواية ، إما عن طريق الأحاديث الصادرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) بما ورد تفسيره عنه ، كأن يقرر القرآن أصلا ويكون التفريع عليه بالسنة ، أو يجمل أمرا يكون تبيينه في السنة قولا أو فعلا أو تقريرا . وإما أن يكون مصدر ذلك أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) ، وتعتقد الإمامية أن رواية الأئمة (عليهم السلام) هي رواية النبي (صلى الله عليه وآله) فهم أدرى بالقرآن من غيرهم ، وهم عدل القرآن تواترا ، بنص حديث الثقلين [٦] . فهذا المنهج ؛ يساعد في الكشف عن معاني ومقاصد القرآن الكريم كما هو واضح [٧] .

---

[١]) ينظر : الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج ١٩ ، ص ٢٢١ .
[٢]) سورة الأنعام : آية (١٠٣) .
[٣]) سورة الشورى : من الآية (١١) .
[٤]) سورة النجم : آية (١١) .
[٥]) ينظر: الستراوي ، القرآن نهج وحضارة ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .
[٦]) ينظر : الصغير ، المبادىء العامة لتفسير القرآن الكريم ، ص ٦١ .
[٧]) ينظر : الحيدري : كمال ، المنهج التفسيري ، الناشر : دار فراقد للطباعة والنشر ، قم ، ط٢ ، ١٤٣١ ق ، ص ٢٥ .

مما أدى إلى اعتماده من قبل جملة من علماء الإمامية ، وبالتحديد - الإخباريين - على تفسير آيات القرآن الكريم ، بالأحاديث الواردة عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وروايات أهل البيت (عليهم السلام) فقط ، منكرين أن يكون للعقل أثر في عملية تفسير القرآن الكريم [1] .

ولسنا هنا بصدد بيان أدلة - الإخباريين - في إنكارهم لدور العقل في تفسير القرآن الكريم ، فلهم من الأدلة التي استدلوا بها على بطلان تفسير الكتاب العزيز عن طريق العقل ، وكذلك إنكارهم مسألة حجية ظواهر القرآن وغيرها من المسائل الأخرى ، والردود التّي جاءتهم من قبل الأصوليين للرد على أدلتهم التّي استدلوا بها وتفنيدها وبيان عدم حجيتها ، ولكن أردنا هنا فقط بيان أن هناك جماعة من الشيعة الإمامية ، قد اعتمدت كلياً على هذا النوع من التفسير، وصححت كل الروايات التّي جاءت في المصنفات الحديثية الرئيسية والأساسية المعتبرة عند الشيعة الإمامية .

وهنا قد يأتي سؤال: إن أثبات المسائل الاعتقادية ، هي إنما تتم عن طريق العقل ، فلماذا يتم الاعتماد والاستعانة بالروايات الصحيحة المعتبرة لتقرير بعض العقائد ؟

وللجواب عن هذا السؤال؛ يقول الشيخ المازندراني: " لا يخفى على أحد أن أصول الأعتقادات هي عقلية في ذاتها ، فإثبات وجود الصانع و التوحيد وصفات الباري و أصل النبوة و المعاد، و نحو ذلك من المسائل العقلية التي لا يمكن إثباتها بغير حكم العقل ، فسبب هذا الاعتماد على الروايات الكثيرة الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) في مثل هذه المسائل العقلية الاعتقادية ، هي إرشادية إلى حكم العقل ، والذي يفيدنا ويهمنا إضافة إلى ماتقدم في هذا المجال ، هو التأسي بمنهج الائمة (عليهم السلام) في الاستدلال العقلي و الاقتداءُ بمسلكهم في إقامة البرهان العقلي في إثبات اصول الاعتقادات.

" فالإمامية تعتقد اعتقاداً ثابتاً أنّ الأئمة المعصومين (عليهم السلام) كانوا في أعلى درجات كمال العقل و العلم و البيان، و أشرف الخلائق في قوّة الاستدلال و السلطة على إقامة

[1]) ينظر: العميدي : ثامر ، حياة الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ،الناشر : دار الحديث ، قم ، ط ١ ، د ـ ت ، ص ٢٨٦ .

البراهين العقلية، و أعلم من جميع العلماء و الفلاسفة، و كانوا أكثر علماً و أوفر عقلًا و أفصح بياناً و أبلغ استدلالًا و أقوى منطقاً " [١] .

لقد استفاد مفسرو الإمامية، من الروايات المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله)وأهل بيته الكرام (عليهم السلام)، في تقرير بعض العقائد ، كعقيدة البداء ،فقاموا بالاستعانة بما روي عن المعصومين (عليهم السلام) في إثبات هذه العقيدة . وسنتطرق في الفصل الثالث إلى بيان بعض النماذج التطبيقية ، من الروايات الشريفة التّي عن طريقها استدلوا وقرروا بعض العقائد .

ثانيا : المنهج العقلي :

"والمقصود بالمنهج العقلي هو تفسير الآيات القرآنية بمعونة المقدمات العلمية وغير العلمية التي يدركها العقل, أو يحكم بها العقلاء " ، ويعتبر هذا المنهج من أكثر المناهج استعمالاً عند مفسرو الإمامية في إثبات العقيدة وتقريرها، وقد حظي باهتمام بالغ عند المفسرين ، فنجد الطابع العقلي قد طغى على مجموعة من تفاسيرهم ، كتفسير التبيان لشيخ الطائفة، ومجمع البيان للطبرسي، والميزان للطباطبائي [٢] .

فهو من اقدم المناهج التفسيرية المستعملة عند مفسري الإمامية إذ يمتد تاريخه إلى عصر الأئمة (عليهم السلام)، والشاهد على ذلك قول الإمام الرضا (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى : **﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾** [٣]، فعن عبدالله بن قيس، عن الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ **﴿بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ﴾**[٤] فَقلت لَه يدان هكذا وأشرت بيدي إلى يده فَقَال : « لَا لَوْ كَانَ هَكَذَا لَكَانَ مَخْلُوقاً »[٥]، فالرواية الواردة عنه (عليه السلام) فيها دلالة على الاستحالة العقلية إن تكون لله ـ تعالى ـ يد مادية مثل يد الإنسان، وكذلك تولد لدى الباحث القناعة، أن هذا النوع من المناهج كان مستعملاً في عصر الأئمة (عليهم السلام) وأن لم

[١]) البراهين الواضحة في عقائد الإمامية على ضوء العقل و الكتاب و السنة ، ص ٦ ـ ٧ .
[٢]) الطباطبائي ، القرآن في الإسلام ، ص ٦٤ .
[٣]) سورة المائدة : من الآية (٦٤) .
[٤]) سورة المائدة : من الآية (٦٤) .
[٥]) الصدوق ، التوحيد ، ص ١٦٨ ، باب معنى رضاه عز وجل وسخطه ، ح (٢) .

يسموه . لقد رأى المفسرون، أنه لابد من استخدام قوة العقل والاستدلال، واستعمال القرائن العقلية في تفسير آيات القرآن الكريم [١] .

لذا استعانوا باكثر من منهج في إثبات بعض الأراء الاعتقادية أو نفيها، فتارة استخدموا المنهج العقلي، واخرى استخدموا المنهج النقلي من الاحاديث النبوية الشريفة وروايات المعصومين (عليهمالسلام)، وتارة ثالثة استفادوا من المنهجين معاً في إثبات رأي أو إبطاله وتفنيده [٢] .

وخلاصة لما تقدم فإن المتتبع لاراء مفسري الإمامية سيجد، أنهم قد ذهبوا بهذا الاتجاه واستعانوا بالعقل مرة، وبالنقل مرة أخرى، وبالأثنين معاً، في إثبات معتقداتهم الدينية ، ولعل الاول هو الأكثر استعمالاً لديهم .

وبعد بيان الجذور التاريخية لهذا المنهج، وأنه كان معمولاً به في عصر الأئمة (عليهم السلام) كما وضحنا ذلك، وكذلك اعتماده من قبل جملة من المفسرين، لابد من الاشارة إلى أمر مهم، وهو أن هناك قسماً من العلماء، لم يوافقوا على العمل بالمنهج العقلي، وفضلوا البقاء على ما وصلهم من المنقول بدعوى التوقيف في العملية التفسيرية, محتجين بأن القرآن الكريم والسنة الشريفة هما الكفيلان بتفسير النص القرآني, وأن تفسير القرآن الكريم عن طريق المنهج العقلي إنما هو محض رأي وتحكّم لا يسوّغه الشرع, متغاضين عما لابد منه من محاكمة النصوص من ناحية الصدور, وعما لابد منه من آلية الفكر لفهم الخطاب, وبذلك يصادر المنهج العقلي بتمامه, فاستدعى ذلك التزمت [٣] .

ولايخفى أن الاخباريين من الشيعة الاثنا عشرية ، والاشاعرة من الجمهور ، هم من رفضوا تفسير الكتاب المجيد عن طريق العقل ، وعملو على تحريم ذلك وذمّ من يقوم به .

---

[١]) ينظر: الرضائي ، مناهج التفسير وآتجاهاته ، ص ١٥٤ .

[٢]) ينظر : كاظم : محمد عبد الخالق ، الخلود في جهنم ، الناشر: المركز العالمي للدّراسات الإسلامية ، مطبعة اميران ، ط١ ، ١٤٢٦ هـ ، ص ١٥ .

[٣]) ينظر : الحجار : عدي جواد علي ، الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني ، الناشر : قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء ـ العراق ، ط١ ، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م ، ص ٦٠ .

"ويؤكد هذا المنهج على اهمية دور العقل في فهم النصّ القرآني، والاكتشاف منه ضمن ضوابط فهم علمي يعتمد حقائق علمية ثابتة, لاستجلاء دلالات القرآن ، ويمكن الاحتجاج له بآيات عديدة من القرآن الكريم ، كقوله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ** ﴾ " [١] [٢] .

فالأراء والعقائد مرفقة بمنهج خاص للاستدلال عليها ، والاستنباط منها ، ومن هذه المناهج المنهج الروائي المحض ، والمنهج العقلي المحض [٣] .

فالملاحظ أن علماء الإمامية ، قد سلكوا واعتمدوا على المنهج العقلي الحر في البرهنة على وجود الله تعالى [٤] .

وهذا الحال ينطبق كذلك على مسألة الإمامة - كما فهمها الشيعة الإمامية - فهي جزء متمم للرسالة واستمرار لوجودها ، لذا فالعقل قاض بضرورتها لأنها لطف ، وكل لطف واجب على الله تعالى ؛ على حد تعبير المنهج العقلي [٥].

وكذلك استدل جملة من علماء الإمامية المحققين على ضرورة إمكان وقوع الرجعة بالدليل العقلي سواء بالمشرب الكلامي أو الفلسفي أو العرفاني ، بدءا بالسيد المرتضى والمفيد وانتهاءً بالحكيم ملا صدرا في تفسير سورة يس ومواضع أُخرى من تفسيره أيضا ، بل يظهر من بعض كلماته المتقدمة تقرير الدليل العقلي على وقوع الرجعة ، واستخراجها من البيانات العقلية الموجودة في الآيات الروايات [٦] .

---

[١] سورة محمد : آية (٢٤) .
[٢] الحجار، الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني ، ص ٦٠ .
[٣] ينظر: العسكري: مرتضى (ت ١٤٢٨ هـ)، عقائد الإسلام من القرآن الكريم ،الناشر: كلية اصول الدين، ط٥، ١٤٢٦ هـ ، ج١، ص ٤٦١ .
[٤] ينظر: آل ياسين: محمد حسن ، اصول الدين ، الناشر: مؤسسه آل ياسين ـ قم، ط ١، ١٤١٣ ق ، ص ٢٨ .
[٥] ينظر: المصدر نفسه ، اصول الدين ، ص ٢٧٥ .
[٦] ينظر: السند: محمد، الرجعة بين الظهور والمعاد، ط١، د ـ ت ، ج ٢، ص ٩٥ .

وخلاصـــة القول: إن علماء ومفســـرو الإمامية وظّفوا المنهج العقلي في تفســـير الآيات الاعتقادية ، وقرروا عن طريقه عقائدهم ، فهذا المنهج قائم على التأمّل الفطري الوجداني [1] .

لقد استطاع مفسرو الشيعة الإمامية ، توظيف هذه المناهج التفسيرية (منهج تفسير القرآن بـالقرآن، والمنهج الروائي، المنهج العقلي) لإثبـات معتقداتهم الدينيـة على مســـتوى التوحيد والنبوة والمعاد ، فالملاحظ أنهم لم يتطرفوا في بنـاء منظومتهم العقديـة، كمـا فعل غيرهم، فلم ينحـازوا إلى العقل أو النقل، بل أنهم خلقوا حالة من الممازجة بينهما ، لإثبات معتقداتهم الدينية .

[1] ينظر: فضل الله: محمد حسين (ت ١٤٣١ هـ)، من وحي القرآن، الناشر : دار الملاك، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ ، ج ١٩، ص ٢٨٥ .

الفصل الثالث: إثبات العقيدة في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية

المبحث الأول: إثبات عقيدتي التوحيد والعدل في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية

المبحث الثاني : إثبات عقيدتي النبوة والإمامة في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية

المبحث الثالث : إثبات عقيدة المعاد في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية

الفصل الثالث : إثبات العقيدة في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية

يعدُّ موضـوع العقائد من أهم الموضـوعات التّي أوردها القرآن الكريم في آياته وسـوره الكريمة، وكان له موضـع الصـدارة من بين الموضـوعات الأخرى، الأمر الذي دعا المفسـرين إلى البحث والتقصـي عن معاني تلك الآيات، والكشـف عن تلك الخطابات الإلهية العقائدية الموجهة إلى الناس لتقرير العقيدة ، ولكن هذا البحث والتقصـي والكشـف عن المعاني، كان يحتاج إلى منهج تفسـيري، تمكن المفسـر وتجعله يسـتطيع الخوض في تلك الكنوز القرآنية المعرفية العقدية ، فتارة نجد أن المفسّـر يسـتعين بمنهج تفسـير القرآن بالقرآن لفهم تلك الآيات وتفسيرها، و تارة أخرى يستند إلى التراث الروائي الصحيح الوارد عن النبي وأهل بيته الكرام (عليهم السـلام) لتفسـير تلك الخطابات القرآنية عن طريق المنهج الروائي، وأما أكثر المناهج قبولاً واسـتعمالاً في تقرير العقيدة عند مفسـري الإمامية، فهو المنهج العقلي بأتجاهاته المختلفة ، الذي عن طريقه قرروا أغلب مسائل العقيدة كالتوحيد، والنبوة، والمعاد .

وسـيسـعى البحث لبيان منهج مفسـري الإمامية في تقرير العقيدة عندهم ، عن طريق التطبيقات القرآنية التّي سيوردها البحث .

المبحث الأول: عقيدتي التوحيد والعدل في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية.

إن التوحيد هو الأصـــل الذي تتفرع منه جميع المعتقدات والأفكار الدينية، والبنية الثقافية والحضــارية، وطريقة التفكير والسـلوك الإنسـاني ككل، وهو الموضـوع الأسـاس في القرآن المجيد، ولا نجد صفحة في كتاب الله ـــ تعالى ـــ تخلو من الدعوة إلى الإيمان بالله - تعالى - ورسله واليوم الآخر، وكلها مرتبطة بالتوحيد .

المطلب الأول: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية :

أولاً : التوحيد لغةً واصطلاحاً :

١ـــ التوحيد لغةً :" وهو على وزن تفعيل، مشتق من وَحِدَ، وهو مصدر من وحّد يوحّد، أي : جعل الشيء واحداً " [١] .

٢ ـــ **أما اصطلاحاً :** يقول ـــ الشيخ الصدوق ـــ في بيان معنى التوحيد وهو : " توحيده بصفاته العلى وأسمائه الحسنى كان كذلك إلهاً واحدا لاشريك له ولا شبيه والموحد هو من أقر به على ماهو عليه ـــ عزوجل ـــ من أوصافه العلى وأسمائه الحسنى على بصيرة منه ومعرفة وإيقان وإخلاص " [٢] أما ـــ الشيخ المفيد ـــ فهو يرى أن المّوحد له تعالى هو من أعتقد : " أنه فرد في المعبودية لا ثاني له فيها على الوجوه كلها والأسباب " [٣].

أما ـــ الشيخ السبحاني ـــ فيقول في تعريف التوحيد هو : " الأصل الموحد بين جميع الشرائع والمناهج الســماوية ، القائمة على أســاس التوحيد، كما أن الاعتقاد بالتوحيد هو أبرز أصــل

---

[١]) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج١، ص ٣٤٣، مادة (وَحِدَ) .

[٢]) الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) ،التوحيد ، تح : هاشم حسيني طهراني ، الناشر : جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية ، قم ، ط١ ، د ـــ ت ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

[٣]) المفيد : محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـــــ)، أوائل المقالات، تح : الشــيخ إبراهيم الأنصاري، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م ، ص ٥١ .

مشترك بين تلك الشرائع " [١] ، والملاحظ على تعريف الشيخ السبحاني، أنه وصف التوحيد بأنه الأصل الموحد ، واكتفى ببيان أنه أصل مشترك بين جميع الشرائع السماوية .

ثانياً : التوحيد عند مفسري الإمامية :

لم يختلف تعريف التوحيد عند مفسري الإمامية عن التعريف الموجود في كتب علماء الكلام، فقد قال ــ الشيخ البلاغي ــ في تعريفه للتوحيد : " هو توحيد الله ونفي الشريك له في الإلهية « الإلوهية » والربوبية وما يعود إليها " [٢] .

وأما ــ الشيخ مكارم الشيرازي ــ فقد عرف التوحيد بأنه : " هو المتفرد الذي لا نظير له ، والتوحيد كذلك هو الإقرار بالوحدة والانفراد " [٣] .

" إن بناء العدد من الواحد، وليس الواحد من العدد، لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الاثنين . فمعنى قوله : الله أحد ، أي المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته، فرد بإلهيته، متعال عن صفات خلقه " [٤] .

إن الآيات الدالة على توحيده سبحانه التي وردت في القرآن الكريم كانت مايقارب من الألف آية، أو تزيد على ذلك، وقد تناولتهُ على نحو المطابقة أو التضمن أو الالتزام، وأما الآيات الدالة على أصل وجوده تعالى فهي تقرب من مئتي آية [٥] .

---

[١]) السبحاني : جعفر، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (ع)، تح : جعفر الهادي، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق (ع)، د ـ ط ، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م ، ص ٤٥ .

[٢]) آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج١ ، ص ٦٧ .

[٣]) تفسير الأمثل، ج٢٠ ، ص ٥٥٢ .

[٤]) المصدر نفسه ، ج٢٠ ، ص ٥٥٢ .

[٥]) الحجازي: إبراهيم ، آيات العقائد ، تح: رامين الكلمكانى ،الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة ، ط١، ١٤٢٤ ق ـ ١٣٨٢ ش، ص ٦٩ .

ثالثاً : الأدلة على وحدانيته تعالى :

وردت مجموعة من الآيات القرآنية والتي فيها دلالة واضحة لاغبار عليها على وحدانيته ـ سبحانه ـــ ، الأمر الذي جعل المفسرين يستفيدون من هذه الآيات القرآنية في استنباط الأدلة الدالة على وحدانيته ـ تعالى ـ مستعينين بالمنهج العقلي في عملية الاستنباط ، وسيكتفي البحث بأخذ تطبيقين من الآيات القرآنية للدلالة على ذلك .

١ ـ قال تعالى : ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[١] ، يقول ـ الشيخ الطوسي ـ في بيان معنى هذه الآية المباركة " إنّه لو صح وجود إلهين أو آلهة غير الله ، لصـــح بينهما التمانع فيؤدي ذلك إلى أن أحدهما إذا أراد فعلا ، وأراد الآخر ضـــده ، إما ان يقع مرادهما فيؤدي إلى اجتماع الضـــدين أولا يقع مرادهما ، فينتقض كونهما قادرين ، أو يقع مراد أحدهما ، فيؤدي إلى نقض كون الآخر قادرا . وكل ذلك فاســـد ، فإذا لا يجوز أن يكون الإله إلا واحدا " [٢] .

ويبين ـ الشيخ الطبرسي ـ وعن طريق ـ دليل التمانع ـ " إنه لو كان في السماء والأرض آلهة سوى الله، لفسدتا وما استقامتا، وفسد من فيهما، ولم ينتظم أمرهم ، فعن طريق هذا الدليل ـ التمانع ـ فبنى المتكلمون عليه، وقرروا عن طريقه مسألة التوحيد، وتقرير ذلك : أنه لو كان مع الله ســـبحانه إله آخر، لكانا قديمين، والقدم من أخص الصـــفات . فالاشـــتراك فيه يوجب التماثل ، فيجب أن يكونا قادرين عالمين حيين . ومن حق كل قادرين أن يصـــح كون أحدهما مريدا لضـــد ما يريده الآخر من إماتة وإحياء ، أو تحريك وتســـكين ، أو إفقار وإغناء ، ونحو ذلك ، فإذا فرضـــنا ذلك فلا يخلو إما أن يحصـــل مرادهما وذلك محال، وإما أن لا يحصـــل مرادهما ، فينتقض كونهما قادرين، وإما أن يقع مراد الآخر فينتقض كون من لم يقع مراده من غير وجه منع معقول ، قادرا . فإذا لا يجوز أن يكون الإله إلا واحدا . ولو قيل إنهما لا يتمانعان ، لأن ما يريده أحدهما يكون حكمة فيريده الآخر بعينه ؟ والجواب : إن كلامنا في

---

[١]) سورة الأنبياء : آية (٢٢) .

[٢]) التبيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢٣٩ .

صـــحة التمانع لا في وقوع التمانع، وصـــحة التمانع يكفي في الدلالة ، لأنه يدل على أنه لا بد من أن يكون أحدهما متناهي المقدور، فلا يجوز أن يكون إلها " [١] .

أما الدليل القرآني الثاني على وحدانيته سبحانه وتعالى فهو :

٢ ـ قال تعالى : **﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَد وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍۚ إِذا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾** [٢] .

ولتوضـــيح ذلك ؛ فلو كان مع الله إله آخر لذهب كل إله بما خلق، ولا نفرد كل واحد بما خلق من الخلق واســـتبد به، ولرأيتم ملك كل واحد من الآلهة متميزا من ملك الآخر، ولغلب بعضهم بعضا ، كما هو حاصل عند ملوك الدنيا يتغالبون ويطلب بعضهم قهر بعض، وممالكهم متمايزة، فحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا أنه إله واحد منزه عما يصـــفون من الأولاد والأنداد [٣] .

وفي هذا الصدد يقول ــ الفيض الكاشاني ــ في تفسير هذه الآية " إن الله تعالى لم يتخذ ولدا لتقدسه عن مماثلة أحد من خلقه ، ولو كان معه إله آخر يشاركه في الإلوهية، لذهب كل إله بما خلق واســـتبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخر ولعلا بعضـــهم على بعض، كما هو حال ملوك الدنيا ، فهذا التدبير المحكم واتصـــاله وقوام بعضـــه ببعض، يدل على صـــانع واحد سـبحان الله عما يصفون من الولد والشريك " [٤] .

وخلاصـــة القول: فيما نقلناه من اقوال المفســـرين في تفســـير الآيات الدالة على وحدانيته سبحانه واستدلالهم بالعقل عن طريق دليل التمانع، والنتيجة التي وصـلوا إليها وقرروها هي : استحالة أن يكون مع الله ـ تعالى ـ إله آخر، يشاركه في ملكه أو حكمه أو سلطانه .

---

[١]) مجمع البيان ، ج ٧، ص ٧٩ ـ ٨٠ .

[٢]) سورة المؤمنون : آية (٩١) .

[٣]) ينظر: الطبرسي: أبي علي الفضل بن حسن (ت ٥٤٨ هـ)، تفسير جوامع الجامع، تح : مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، قم ، د ــ ط ، ١٤٢١ هـ ، ج٣، ص ٥٩٦ .

[٤]) التفسير الصافي، ج ٣، ص ٤٠٨ .

رابعاً : أقسام التوحيد :

وسيتعرض البحث إلى بيان أقسام التوحيد عند الشيعة الإمامية، مع ذكر نماذج قرآنية تطبيقية للاستدلال على هذه الأقسام ، وسيكتفي البحث ببيان قسمين من أقسام التوحيد وهما : توحيد الذات وتوحيد الصفات لله تعالى، مراعاةً للاختصار لسعة الموضوع .

١- توحيد الذات : " إنه واحد ، ليس له نظير ولا مثيل ، وإنّ من أبرز صفاته أنه ـــ تعالى ـ واحد لا ثاني له " [١] .

أ- قال تعالى : ﴿**فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ**﴾ [٢]، فهذه الآية القرآنية تحكي لنا ، أنه لانظير له ولامثيل ولاثانٍ . إذ ؛ أجمع مفسروا الإمامية على القول بوحدانية الذات لله سبحانه ، يقول ـــ الشيخ الطوسي ـــ في هذا الصدد " انه نفى أن يكون لمثله مثل وإذا ثبت انه لا مثل لمثله فلا مثل له أيضا، لأنه لو كان له مثل لكان له أمثال، لان الموجودات على ضربين : أحدهما - لا مثل له، كالقدرة فلا أمثال لها أيضا . والثاني - له مثل كالسواد والبياض وأكثر الأجناس فله أمثال أيضا وليس في الموجودات ماله مثل واحد فحسب، فعلم بذلك ان المراد انه لا مثل له أصلا من حيث لا مثل لمثله " [٣] .

ومعنى قوله تعالى :﴿ **لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ**﴾ [٤]، أنه لو قدر لله تعالى مثل لم يكن لذلك المثل مثل ، لما تقرر في العقول أن الله تعالى متفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره . فلو كان له مثل لتفرد بصفات لايشاركه فيها غيره، فكان هو الله، وقد دل الدليل على أنه ليس مع الله إله آخر [٥] .

---

[١]) السبحاني ،الإلهيات على هدى الكتاب والسنة ، ج ٢ ، ص ١١ .
[٢]) سورة الشورى: آية (١١) .
[٣]) التبيان في تفسير القرآن ، ج٩، ص ١٤٩ .
[٤]) سورة الشورى : من الآية (١١) .
[٦]) الطبرسي، مجمع البيان، ج ٩، ص ٤١ .

إن أكبر منزلق يواجه السائرين في طريق معرفة الله تعالى يتمثل في تشبيه الخالق بصفات خلقه، وهو أمر يؤدي للسقوط في وادي الشرك [١] .

ب ـ قال تعالى :﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ﴾[٢]، فهو واحد في ذاته و صفاته و أفعاله، لا شريك له في شيء، ولا يفعل شيئاً لجلب منفعة له، أو دفع مضرة عنه [٣] .

إن هذه السورة جاءت كجواب على أجوبة المشككين ، والذين كانوا يسألون دوماً عن ذات الله ـ تعالى ـ وصفاته .

فمفردة ــ أحد ــ هناك رأيان في دلالتها : الأول : أن أحد وواحد هو معنى واحد، وهو المتفرد الذي لانظير له في العلم والقدرة والرحمانية والرحيمية، وفي كل الجهات، أما الثاني : فهو إن بين ــ أحد ــ و ــ واحد ــ فرق هو إن ــ أحد ــ تطلق على الذات التي لا تقبل الكثرة لا في الخارج ولا في الذهن، ولذلك لا تقبل العد ولا تدخل في زمرة الأعداد، خلافا للواحد الذي له ثانٍ وثالث، في الخارج أو في الذهن [٤] .

وتوضيح ذلك؛ ما جاءني من القوم أحد فإنك تنفي به مجيء اثنين منهم و أكثر كما تنفي مجيء واحد منهم بخلاف ما لو قلت: ما جاءني واحد منهم فإنك إنما تنفي به مجيء واحد منهم بالعدد و لا ينافيه مجيء اثنين منهم أو أكثر[٥]، ولكن هذا الاختلاف لا يتماشى كثيرا مع ما ورد في القرآن الكريم والروايات الشريفة ، فكلمة ـ أحد ـ هي إشارة إلى بساطة ذات الله مقابل الأجزاء التركيبية الخارجية أو العقلية ــ الجنس، الفصل، والماهية، والوجود ــ، بينما الواحد إشارة إلى وحدة ذاته مقابل أنواع الكثرة الخارجية [٦] .

قال الباقر (عليه السلام): « الأحد الفرد المتفرد، والأحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له، والتوحيد الاقرار بالوحدة وهو الانفراد، والواحد المتبائن الذي لا ينبعث من

---

[١]) الشيرازي، تفسير الأمثل، ج١٥، ص ٤٨١ .
[٢]) سورة الأخلاص : الآية (١) .
[٣]) مغنية، تفسير الكاشف، ج ٧، ص ٦٢٣ .
[٤]) الشيرازي ، تفسير الأمثل، ج ٢٠، ص ٥٥١ .
[٥]) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠ ، ص ٣٨٧ .
[٦]) الشيرازي، تفسير الأمثل ، ج٢٠ ، ص ٥٥٢ .

شـــئ ولا يتحد بشـــئ، ومن ثم قالوا: إن بناء العدد من الواحد ، وليس الواحد من العدد ، لان العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الاثنين ، فمعنى قولـه : الله أحد أي المعبود الذي يـألـه الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته فرد بإلهيته ، متعال عن صفات خلقه » [١] .

وفي القرآن الكريم ـ واحد ـ و ـ أحد ـ تطلقان معا على ذات الله سبحانه [٢] .

وروى المقدام بن شـريح بن هانئ ، عن أبيه أن أعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين (عليه الســـلام)، فقال : يا أمير المؤمنين أتقول : إن الله واحد ؟ «... ثم أجابه أمير المؤمنين ـ عليه السلام ــ وقال : يا أعرابي إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام : فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل : واحد يقصد به باب الأعداد ، فهذا ما لا يجوز، لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنـه كفر من قـال : ثـالـث ثلاثـة، وقول القـائـل : هو واحـد من النـاس، يريـد بـه النوع من الجنس، فبهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشـــبيه، وجل ربنا عن ذلك تعالى، وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل : هو واحد ليس له في الأشـــياء شـــبه، كذلك ربنا، وقول القائل: إنه عز وجل أحدي المعنى، يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربنا ـ عز وجل ـ » [٣] .

الله (أحد وواحد) لا بمعنى الواحد العددي أو النوعي أو الجنسي بل بمعنى الوحدة الذاتية، بعبارة أوضـح : وحدانيته تعني عدم وجود المثل والشـبيه والنظير، الدليل على ذلك واضـح : فهو ذات غير متناهية من كل جهة ، ومن المسلم أنه لا يمكن تصـور ذاتين غير متناهيتين من كل جهة . إذ لو كان ثمة ذاتان ، لكانت كلتاهما محدودتين ، ولما كان لكل واحدة منهما كمالات الأخرى [٤] .

---

[١]) المجلســي ، بحار الأنوار ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ، باب التوحيد ونفي الشـرك ، معنى الواحد والأحد والصمد ، ح (١٢) .

[٢]) الشيرازي، تفسير الأمثل ، ج٢٠ ، ص ٥٥٢ .

[٣]) الصدوق ، التوحيد ، ص ٨٣ ـ ٨٤ ، بيان معنى الواحد والتوحيد والموحد .

[٤]) الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ٢٠ ، ص ٥٥٣ .

٢ ـــ توحيد الصفات : فعقيدة الإمامية في مسألة الصفات هي أنّ صفات الله عين ذاته وذاته عين صفاته [١] . لذلك على الإنسان أن يعتقد أن صفاته - تعالى - عين ذاته لا تعدّد فيها ولا مغايرة [٢] .

قسم المتكلمون صفات الله تعالى إلى قسمين : الأول : الصفات الثبوتية ، والثاني الصفات السلبية ، وقسموا الثبوتية إلى ذاتية ، كالحياة والعلم والقدرة وأما القسم الثاني فهي الصفات الثبوتية الفعلية ، كالتكلّم والحكمة .

وأماالصفات السلبية: فهي الصفات التي يجلُ الخالق ويَتَنَزّه عن الاتصاف بها [٣] .

وسيسلط البحث الضوء على الصفات الثبوتية الذاتية ـ كالحياة ، العلم، القدرة ـ مع ذكر تطبيق واحد من القرآن الكريم للاستدلال على هذه الصفات وثبوتها لله - تعالى - لسعة الموضوع وضيق المقام .

أ ـ الحياة : وهي من الصفات الثبوتية الذاتية لله ـ سبحانه ـ وهي عين ذاته، قال تعالى : ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ** ﴾ [٤]، فصفة الحياة تخالف صفة الموت فإذا وصف البارئ بها معناه الدائم الباقي الَّذي لا سبيل عليه للفناء والموصوف بالحياة الأزليّة الأبديّة الفعّال الدرّاك كما شرح هذا المعنى في اسماء الله الحسنى حتّى لا يشذّ عن علمه مدرك [٥] .

---

[١]) ينظر: الميلاني: محمد هادي (ت ١٣٩٥ هـــ) ، تفسير سورتي الجمعه والتغابن، تح : علي حسيني ميلانى، الناشر: الحقائق ، قم ، ط ٢ ، د ـ ت ، ص ٣٣ .

[٢]) ينظر: الشيرازي: محمد الحسيني (ت ١٤٢٢ هـــ)، تقريب القرآن إلى الأذهان، الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط ١، د ـ ت، ج ٢، ص ٦٨٩ .

[٣]) ينظر: العاملي : حسن مكي ، بداية المعرفة منهجية حديثة في علم الكلام ، الناشر : مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية ، مطبعة مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية ، ط ١، ١٤١٣ هـــ ـ ١٩٩٢م ، ص ٩١ ـ ٩٢ .

[٤]) سورة البقرة : من الآية (٢٥٥) .

[٥]) ينظر: الحائري :علي الطهراني (ت ١٣٥٣ هـــ)، تفسير مقتنيات الدرر، الناشر: الشيخ محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية ، د ـ ط ، ١٣٣٧ ش ، ج ٢، ص ١٠٩ .

" إن الحياة الحقيقية يجب أن تكون بحيث يستحيل طرو الموت عليها لذاتها ولا يتصور ذلك إلا بكون الحياة عين ذات الحي غير عارضة لها ولا طارئة عليها بتمليك الغير وإفاضته " [١] .

" إن صفة الحياة تدل على الدوام والاستمرار، وحياة الله حياة حقيقية ، لأن حياته عين ذاته ، وليس عارضة عليه مأخوذة من غيره ، قال تعالى : ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ** ﴾ [٢] .

هذا من جانب، ومن جانب أخر تكون الحياة الكاملة حياة لا يعتريها الموت، وعليه فإن الحياة الحقيقية هي حياته الباقية من الأزل إلى الأبد ، أما حياة الإنسان التي يخالطها الموت في هذه الدنيا فلا يمكن أن تكون حياة حقيقية ، قال تعالى :﴿ **وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْو وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ**﴾ [٣] وعلى ذلك فإن الحياة الحقيقية هي التي تختص بالله .

ولكن مامعنى مفهوم أن الله - حي - ؟ في التعبير السائد نقول للكائن أنه حي إذا كان يتصف بالنمو والتغذية والتكاثر، وقد يتصف بالحس والحركة ولكن لابد من الانتباه إلى أن بعضاً من الناس قد يحسبون حياة الله شبيهة بهذه، مع علمنا بأنه لا يتصف بأية واحدة من هذه الصفات، هذا هو القياس الذي يوقع الإنسان في أخطاء في حقل معرفه الله، حين يقيس صفات الله بصفاته ، فالحياة بمعناها الواسع الحقيقي هي العلم والقدرة، وعليه فإن من يملك العلم والقدرة اللا متناهيتين يملك الحياة الكاملة فحياة الله - تعالى - هي مجموعة علمه وقدرته ، وفي الواقع بالعلم والقدرة يمكن التمييز بين الحي وغير الحي . أما النمو والحركة والتغذية والتكاثر فهي صفات كائنات ناقصة ومحدودة ، فهي تكمل نقصها بالتغذية والتكاثر والحركة ، أما الذي لا نقص فيه فلا يمكن أن يتصف بمثل هذه الصفات " [٤] .

---

[١]) الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج٢ ، ص ٣٣٠ .
[٢]) سورة الفرقان : من الآية (٥٨) .
[٣]) سورة العنكبوت : آية (٦٤) .
[٤]) الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

ب ـــ العلم : إن الله - سبحانه - عالم بكل شي ، وقد ثبُت ذلك عن طريق النقل والعقل ، وهي أحدى صفاته الثبوتية الذاتية .

لقد أشـــار المتكلمون في مدوناتهم الكلامية إلى علم الله - تعالى - وأنه علم حضـــوري* " بمعنى حضور ذاته لذاته " [١] وليس حصولياً * على تفصيل مذكور في كتب العقائد ، وساقوا لأجل ذلك الأدلة والبراهين العقلية لإثبات ذلك .

أما ما يخص بحثنا فهو عرض الأدلة القرآنية للاســتدلال على علمه - ســبحانه وتعالى - قال تعالى : **﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْـــقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾** [٢] .

" إن الله تعالى يعلم الكون وما حدث ويحدث فيه كليا كان أو جزئيا ، ماديا كان أو معنويا ، ولا يتقيد علمه تعالى بزمان أو مكان أو بحال دون حال ، لأن علمه، ذاتي لا كســبي، وليس لذاته زمان ومكان، ولا هي تتغير بتغير الأحداث والأحوال " [٣] .

فالله ـ تعالى ـ هو العالم بكلّ شيء، فهو يعجّل ما تعجيله أصلح ، ويؤخّر ما تأخيره أصلح ، إنّه تعالى مبدأ لجميع الممكنات ، والعلم بالمبدأ يوجب العلم بالأثر فوجب كونه تعالى عالما بكلّها، وكذلك هذه الآية أيضاً دليل على أنّه تعالى عالم بجميع الجزئيّات [٤] .

---

*) العلم الحضـــوري هو: عبارة عن حضـــور المدرَك لدى المدرِك من دون توســـط أي شـــيء، السبحاني ، الألهيات على هدى الكتاب والسنة ، ج ١ ، ص ١٠٩ .

[١]) المصدر نفسه، ج١، ص ١١١ .

*) العلم الحصولي هو: ما لا تكون فيه الواقعيّة الخارجيّة معلومة بنفسها ، بل بتوسط صورة مطابقة لها ، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٨.

[٢]) سورة الأنعام : آية (٥٩) .

[٣]) مغنية، تفسير الكاشف ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .

[٤]) ينظر: الحائري، مقتنيات الدرر، ج٤، ص ١٨٢ .

" بمعنى أنّ الأشياء منكشفة وواضحة له، حاضرة عنده غير غائبة عنه، بدليل أنّه تعالى فعل الأفعال المحكمة المتقنة، وكلّ من فعل ذلك فهو عالم بالضرورة " [١] .

ج ـ القدرة : هي " المَكِنَة على الفعل أو الترك، مع الاختيار والإرادة في ذلك ، فهي من صفات الفاعل المريد المختار " [٢] .

فالله تعالى قادر على كل مقدور، وعالم بكل معلوم، بدليل أنّ نسبة جميع المقدورات والمعلومات إلى ذاته المقدسة المنزّهة على السوية ،فاختصاص قدرته تعالى وعلمه ببعض دون بعض ترجيح بلا مرجّح ، وهو محال [٣]، قال تعالى : **﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰت وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِير وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾** [٤] .

إن قدرة الله ـ تعالى ـ قد تجلت في الخلق العظيم للسماوات والأرض لتهدينا إلى هذه الحقيقة [٥]، في بيان عظمته ودقته وإبداعه اللامتناهي في الخلق، إن الهدف من هذا هو لبيان أن الله ـ تعالى ـ قادر وهو على كل شيء قدير [٦] .

وفي كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) يدعو الناس إلى التفكر والتأمل والتدبر في قدرته ــ سبحانه ــ : « ولَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ... » [٧] .

---

[١]) السبحاني : جعفر، مع الشيعة الإمامية في عقائدهم ، الناشر : مشعر ، قم ـ ايران ، ط ٣ ، ١٤٢٧ هـ ، ص ٣٦ .

[٢]) العاملي ، بداية المعرفة ، ص ١٠١ .

[٣]) المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

[٤]) سورة الطلاق : آية (١٢) .

[٥]) ينظر: المدرسي : محمد تقي ، من هدى القرآن ، الناشر: دار القارىء، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٩ هـ ، ج ١١ ، ص ٧٩ .

[٦]) ينظر: الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ١٨، ص ٤٣٣ .

[٧]) الشريف الرضي، نهج البلاغة ، ص ٢٧٠، في صفة خلق أصناف من الحيوان، رقم الخطبة (١٨٥) .

وختاماً ... فالمنهج الذي اعتمده مفسرو الإمامية في إثبات وحدانية الله تعالى وصفاته ، هو المنهج العقلي ، واستدلو على وحدانيته تعالى ، عن طريق دليل التمانع العقلي ، أما بالنسبة لصفاته ، فالقرآن الكريم قد ذكرهذه الصفات وأكد عليها ، وأنه تعالى هو المتفرد بها دون غيره كصفة العلم والقدرة... وقرروها في تفاسيرهم عن طريق الأدلة المنطقية العقلية ، بالإضافة إلى السنة الشريفة .

المطلب الثاني : عقيدة العدل في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية :

إن الأصل الثاني الذي يقوم عليه الدين الإسلامي عند الإمامية بعد توحيده ـ سبحانه ـ هو العدل ؛ لأنه من صفات الله - سبحانه - ولهذا نجد أن الآيات الكريمة تحث الناس على إقامة العدل واتباعه ، فأمر الله ـ تعالى ـ به في محكم كتابه الكريم ،قال تعالى :﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ**﴾[1] .

فالعدل : "قائم على الموجودات بالعدل فلا يعطي ولا يمنع شيئا في الوجود الا بالعدل بإعطاء كل شئ ما يستحقه " [2] ، ويجب على الناس أن ينهضوا به ، فيتجلى في تنفيذ ما أراده الله ـ تعالى ـ من فهم هذا العدل الذي هو أساس صلاح الكون .

ويعدُّ العدل من الصفات الفعلية لله ـ تعالى ـ وقد جعلها متكلمو الإمامية والمعتزلة على نحو مستقل وأفردوها عن التوحيد ولذلك ؛ لقبوا بالعدلية .

وقد صنّف العدل من الصفات الثبوتية الكمالية ، وبهذا فالعدل يجب أن يكون وصفاً للذات ، ولكن هذا الأمرممنوع ؛ لإن معنى العدل هو إعطاء كل ذي حق حقه ، وهذا الحق يتحقق بالعدل، وبالتجاوز عن هذا الحق يكون الظلم، فإذا قلنا وضع الشيء في مكانه، فسيكون العدل مرادفا لصفة الحكمة ، وبهذا يكون العدل من صفات الفعل بهذا المعنى [3] .

---

[1]) سورة النحل : آية (٩٠) .

[2]) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢ ، ص ٣٣١ .

[3]) ينظر: مصباح اليزدي : محمد تقي ، نظرة حول دروس العقيدة الإسلامية ، تح : عبد الجواد الإبراهيمي، الناشر: مؤسسة أنصاريان ، قم ـ إيران ، ط ١، ١٤١٧ هـ ، ص ٩٢ .

أولاً : العدل لغةً واصطلاحاً :

١ـ العدل لغةً : وهو : "العدالة والمعادلة لفظ يقتضى معنى المساواة " [١] .

" والعَدالة، والمَعْدَلةُ، وتعديل الشهود : أَن تقول إنهم عُدُولٌ، وعَدَّلَ الحُكْمَ: أَقامه ، وعَدَّلَ الرجلَ زَكَّاه ، يقال رجل عُدَلة وقوم عُدَلوه، وهم الذين يُزَكُّون الشهودَ وهم عُدُولٌ " [٢] .

وقال الفيروز آبادي في تعريفه للعدل بإنه " ما قام في النفوس أنه مستقيم " [٣] .

أما اصـــطلاحاً : فقد عرفه الشـــيخ المفيد بقوله : " هو العدل الحكيم، الذي لايفعل قبيحاً ولايخل بواجب ، وهو الذي يذم فاعل القبيح في الدنيا ويعاقبه في الآخرة، ويمدح تاركه في الدنيا ويثيبه في الآخرة ، وأما الواجب هو الذي يمدح فاعله في الدنيا ويثيبه في الآخرة ويذم تاركه في الدنيا ويعاقبه في الآخرة " [٤] . فخلق الخلق لعبادته وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وعمهم بهدايته ، بدأهم بالنعم وتفضل عليهم بالإحسان ، لم يكلف أحدا إلا دون الطاقة ، ولم يأمره إلا بما جعل له عليه الاستطاعة . لا عبث في صنعه ولا تفاوت في خلقه لا قبيح في فعله ، جل عن مشاركة عباده في الأفعال ، وتعالى عن اضطرارهم إلى الأعمال . لا يعذب أحدا إلا على ذنب فعله ، ولا يلوم عبدا إلا على قبيح صنعه . لا يظلم مثقال ذرة فإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما . وعلى هذا القول جمهور مذهب الإمامية [٥] .

" إن من صفاته ــ تعالى ــ الثبوتية الكمالية أنه عادل غير ظالم ، فلا يجوز في قضائه ولا يحيف في حكمه ، يثيب المطيعين ، وله أن يجازي العاصـــين ، ولا يكلف عباده ما لا يطيقون ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقون ، وأنه ــ سبحانه ــ لا يترك الحسن عند عدم المزاحمة ولا يفعل القبيح ، لأنه ــ تعالى ــ قادر على فعل الحسن وترك القبيح مع فرض علمه بحسن الحسن وقبح القبيح ، وغناه عن ترك الحسن وعن فعل القبيح ، فلا الحسن يتضرر بفعله حتى يحتاج إلى تركه ، ولا القبيح يفتقر إليه حتى يفعله . وهو مع كل ذلك حكيم لا بد أن يكون فعله مطابقا

---

[١]) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٣٢٥ .
[٢]) أبن منظور، لسان العرب ، ج١١ ، ص ٤٣١، مادة (عَدِلَ) .
[٣]) القاموس المحيط ، ج ٤، ص ١٣ ، مادة (عَدِلَ) .
[٤]) ينظر: النكت الأعتقادية ، ص ٣٢ .
[٥]) المفيد ، أوائل المقالات ، ص ٥٨ ـ ٥٩ .

للحكمة وعلى حسب النظام الأكمل " ، ولعل رأي الشيخ المظفر هو الأرجح بعدّ العدل من الصفات الثبوتية الكمالية بحسب الظاهر [١] .

وقيل أيضاً في تعريفه هو: " رعاية حقوق الآخرين ، وإعطاء كل ذي حق حقه" [٢] .

ومعنى العدل " وضع كلِّ شيء في موضعه ، وعدمُ التجاوز عن حدّه ، ويقابله الظلم والجور .

إن الله ـ تعالى ـ عادل، لما عرفت أن العقل البشري إذا تُرك وإدراكه البديهي، يحكم بقُبْح الظلم ، ولزوم تنّزه كل موجودٍ عاقلٍ عنه ، واستحقاق فاعله للذم . وحُسنِ العدلِ، ولزوم اتصاف كل عاقلٍ به، واستحقاق فاعله للمدح ، فإذن يجب ـ في منطق العقل ـ اتصاف الخالق تعالى بالعدل " [٣].

ثالثا : العدل عند مفسري الإمامية :

لقد أشار مفسرو الإمامية إلى بيان معنى العدل، وأوردوا لهُ عدّة معاني، منها تعريف الشيخ البلاغي كمفهوم شرعي بمعنى الأقساط ، فعرفه قائلاً : " هو معاملة الطرف الواحد بالحق والإنصاف وان العدل هو الاستقامة على الحق في المعاملة مع الاثنين أو الأكثر أو في الحكم بينهم أو هو ما يعم هذا المعنى، كما قال تعالى :﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ [٤] [٥] . أما الحائري فقد أشار إلى معنى العدل بقوله : " هو أن يعامل كلّ أحد بفعله : إن خيرا فخير وإن شرّا فشرّ " [٦] .

وكذلك يأتي العدل بمعنى الوسط ، تقول : فلان متوسط في أخلاقه ، أي معتدل فيها ، فالعدل والخير متقاربان ، والمراد بالوسط هنا، أن الله ـ سبحانه ـ جعل دين المسلمين معتدلاً في العقيدة والأخلاق، أما العقيدة فلا شرك فيها ولا إلحاد، بل توحيد، وأما الأخلاق فلا مادية

---

[١]) المظفر، عقائد الإمامية ، ص ٤٠ ـ ٤١ .
[٢]) مصباح اليزدي، نظرة حول دروس العقيدة الإسلامية ، ص ٩٢ .
[٣]) العاملي ، بداية المعرفة ، ص ١٤٣ .
[٤]) سورة آل عمران : آية (١٨) .
[٥]) الأء الرحمن ، ج ٢ ، ص ٦ .
[٦]) مقتنيات الدرر، ج٤ ، ص ٢٦٣ .

فقط ، ولا روحية فقط ، بل من هذه وتلك بشـــرط التعادل والتكامل قال تعالى :﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّة وَسَطا﴾** " [١] [٢] .

مما لايخفى على أحد أن هناك مجموعة مسـائل احتوتها عقيدة العدل الإلهي وهي : مسـألة الحسن والقبح، الجبر والاختيار، القضاء والقدر، مسألة البداء .

وسنسلط الضوء على بيان مسألة البداء،عند مفسري الإمامية، والوقوف عن قرب، للتعرف على المناهج التي وظفوها في تفســير الآيات التي اســتدلوا بها على وجود البداء، مراعة للاختصار .

رابعاً : مسألة البداء :

إن مســألة البداء هي من المســائل التي كانت محل خلاف بين الفرق الإســلامية الكلامية، وبين الشــيعة الإمامية ، فنقطة الخلاف كانت تتمحور حول الســؤال الآتي: هل يجوز عليه ـ تعالى ـــ البداء بمعنى أنه ظهر له شيء بعد الخفاء !! أم الجائز هو بمعنى له أن يمحو ويثبت ما يشــاء فيجوز عليه تعالى أن يظهر شــيئاً كان خافياً على خلقه وليس خافياً عليه ســبحانه إذ لايعزب عن علمه مثقال ذرة ؟ فسبب هذا الاختلاف راجع إلى أن الشرع والعقل يرشدانا إلى وجود مجموعة من الحجج المتعارضة فيما بينها ، فبعض هذه الحجج تذهب إلى جواز البداء ، وبعضــها يرفض وجود البداء . وسـيحاول البحث تسـليط الضـوء على رأي علماء الإمامية بخصوص هذه المسألة والكشف عن أدلتهم .

١- البداء لغةً : من بَدا أَي ظهر لي شــيءٌ بعد الخفاء ، وهذا المعنى يســتحيل أن يطلق على الله ــ تعالى ــ نهائياً ، وهو يؤدي إلى حدوث علمه ــ تعالى ــ بشيء بعد جهله به ، وهذا مستحيل بالنسبة له [٣] .

---

[١]) سورة البقرة : من الآية (١٤٣) .

[٢]) مغنية، تفسير الكاشف ، ج١ ، ص ٢٢٣ .

[٣]) ينظر: أبن منظور، لسان العرب ، ج ١٤ ، ص ٦٧ .

وفي هذه الآيتين الكريمتين جاء معنى الظهور للمخلوقات وليس لله ـ تعالى ـ ، قال تعالى : ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ﴾ [١] ، أي " ظهرت لهم سيئات أعمالهم بعد ما كانت خفية عليهم" [٢] .

٢ـ أما اصطلاحاً : فقد عرفه الجرجاني: " ظهور الرأي بعد أن لم يكن " [٣] .

" البداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع ، فما في الأمر التشريعي والأحكام التكليفية نسخ فهو في الأمر التكويني والمكونات الزمانية بداء ، فالنسخ كأنه بداء تشريعي والبداء كأنه نسخ تكويني ولا بداء في القضاء " [٤] .

فكما أن النسخ يحصل في الأمورالتشريعية ، فإنّ البداء يحصل في الأمورالتكوينية أيضاً .

ومما لاشك فيه أن البداء الذي لا محذور فيه هو البداء الذي ينسب الخفاء إلى المخلوقات لا إلى الذات الإلهيّة المقدّسة .

" فالبداء يستحيل على الله تعالى ؛ لأنّه يستلزم نسبة الجهل إليه تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، وهذا ما لا يمكن أن يلتزم به عاقل موحِّد مؤمن بالله " [٥] .

فنحن لا نريد من " أفعالنا الاختيارية إلاّ بمصلحة داعية إلى ذلك تعلق بها علمنا، وربما تعلق العلم بمصلحة فقصدنا الفعل ثم تعلق العلم بمصلحة أخرى توجب خلاف المصلحة الأولى، فحينئذ نريد خلاف ما كنا نريده قبل، وهو الذي نقول: بدا لنا أن نفعل كذا، أي ظهر لنا بعدما كان خفياً عنا، فالبداء: ظهور ما كان خفياً من الفعل لظهور ما كان خفياً من العلم بالمصلحة، فهو من الأوصاف التي تتعلق بالعلم والقدرة " [٦] .

---

[١]) سورة الزمر: من الآيات (٤٧ ـ ٤٨) .
[٢]) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٢٧٣ .
[٣]) التعريفات ، ص ١٩ .
[٤]) الكربلائي: جواد بن عباس، الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، تح : محسن الأسدي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م، ج ٣، ص ٣١٦ .
[٥]) ينظر : الحيدري : كمال ، دروس في علم الإمام، تح : عبد الرضا أفتخاري، الناشر: دار فراقد ، قم ـ إيران، ط ١، ١٤٣٢ هـ ، ص ٢٠١ .
[٦]) الكليني ، الكافي ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

٣ ـ البداء عند مفسري الإمامية :

تعتقد الشيعة الإمامية الأثنا عشرية بالبداء، فهو من المسلّمات عندهم ، فالإيمان به لم يأتي من صدفةٌ محضة، أو من فراغ، فقد تضافرت روايات أهل البيت (عليهم السلام) على وجوب الاعتقاد به، ومن هذه الروايات .

أ ـ فعن مالك الجهني قال : سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول : « لو علم الناس ما في القول بالبداء من الاجر ما فتروا عن الكلام فيه » [١] .

ب ـ وعن البختري ، عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال في هذه الآية : يمحو الله ما يشاء ويثبت قال : فقال :« وهل يمحى إلا ما كان ثابتا وهل يثبت إلا ما لم يكن » [٢] .

ج ـ وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال :« إن لله علمين : علم مكنون مخزون، لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه فنحن نعلمه » [٣] .

د ـ وعن زرارة بن أعين، عن أحدهما (عليهما السلام) قال : « ما عبد الله بشئ مثل البداء » [٤] .

وقد أشار الشيخ البلاغي إلى حقيقة البداء ، وإنه من مختصات الله تعالى فيقول بهذا الصدد " فالفضل المذكور والأهمية الكبرى للاعتراف بالبداء ما هو إلا لأنه يرجع إلى الإقرار بهذه الحقيقة الإلهية، فالموجد للعالم إنما هو إله موجد بالإرادة والقدرة على مقتضى الحكمة ، متحكم بقدرته بما يتراءى من العلل وتعليلاتها التي هي من صنعه وإيجاده ، والخاضعة لتصرف مشيئته فيها " [٥] .

---

[١]) الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص ١٤٨ ، باب البداء ، ح (١٢) .
[٢]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٧، باب البداء ، ح (٢) .
[٣]) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٤٧، باب البداء ، ح (٨) .
[٤]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص١٤٦، باب البداء ، ح (١) .
[٥]) البلاغي : محمد جواد (ت ١٣٥٢ هـ)، الخوئي : أبو القاسم (ت ١٤١٣ هـ)، رسالتان في البداء تح : محمد علي الحكيم ، د ـ ط ، د ـ ت ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

ومن الآيات التّي استدل بها مفسرو الإمامية على البداء هذه الآية ، قال تعالى : ﴿**إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾** [١] .

أي أن الله تعالى يقدّر في تلك اللّيلة من أمور تلك السنة ولكن فيه البداء والمشيّئة يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء وينقص ويزيد ويلقيه إلى رسوله وهو (صلّى الله عليه وآله) يلقيه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يلقيه إلى الأئمّة حتّى ينتهي إلى الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ويشترط فيه البداء [٢] .

أما في قوله تعالى :﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ**﴾[٣] .

فقد ذكر الشيرازي في تفسيره : أن التعبير بمفردة ــ بدا ــ التي تعني ظهور الرأي الجديد، يدل على أن مثل هذا التصميم في حق يوسف لم يكن موجوداً من قبل، ويحتمل أن تكون هذه الفكرة قد اقترحتها امرأة العزيز أو أحد مستشاريه، للتستر على الفضيحة، وإبعاد يوسف عن الساحة، وبهذا دخل يوسف النزيه بسبب طهارته السجن [٤] .

وبعد هذا الاستطراد نعود الآن لموضوعنا الرئيسي، فقد ورد في البحارما يثبت أن هناك كتابان عند الله ـ تعالى ـ ، فعن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : « إن الله كتب كتابا فيه ما كان وما هو كائن فوضعه بين يديه فما شاء منه قدم ، وما شاء منه أخر، وما شاء منه قدم ، وما شاء منه أخر، وما شاء منه محا ، وما شاء منه أثبت ، وما شاء منه كان ، وما لم يشأ منه لم يكن » [٥] .

فالمراد بالكتابان " كتاب المحو والإثبات وأم الكتاب اما ان يكونا أمرين تتبعهما هاتان المرحلتان من وجود الأشياء، اللتان إحداهما تقبل المحو والإثبات والأخرى لا تقبل الا الثبات

---

[١]) سورة الدخان : آية (٤) .
[٢]) ينظر: الحائري، مقتنيات الدرر، ج١٠، ص ٧٧ .
[٣]) سورة يوسف : آية (٣٥) .
[٤])ينظر: الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج ٧ ، ص ٢٠٦ .
[٥]) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ١١٩، باب النسخ والبداء ، ح (٥٧) .

واما ان يكونا عين تينك المرحلتين وعلى أي حال ظهور أمر أو إرادة منه تعالى بعد ما كان الظاهر خلافه واضح لا ينبغي الشك فيه " [1] .

إن النزاع في ثبوت البداء كما يتبين من أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ونفيه كما يظهر من غيرهم هو نزاع لفظي، فالدليل على أن النزاع لفظياً، استدلالهم على نفى البداء عنه ــ سبحانه ــ فإنّ ذلك يستلزم التغير في علمه ، مع أنه لازم البداء بالمعنى الذي يفسر به البداء فينا ، لا البداء بالمعنى الذي يفسره به الاخبار فيه ـ سبحانه ـ [2] .

فالبداء الذي يستلزم منه التغيير في الرأي، هو البداء الخاص فينا كبشر، وليس الخاص بالله تعالى ، فلا يمكن لأي عاقل القول به، فإنّ ذلك سينسب الجهل وعدم العلم لله تعالى .

وفي الموضع نفسه يقول العلامة الطباطبائي في مسألة تصوير الجنين في بطن أمه ومايكتب عليه وما يقدر لهُ : " أن الملكين يكتبان جميع ما قدر له على لوح يقرع جبهة أمه فيكتبان جميع ما في اللوح ويشترطان البداء فيما يكتبان ، ومقتضى هذا الأمر جواز التغيّر فيما كُتب للولد من كتابه ، كما أن مقتضى هذا الكلام هو خلاف ماتقدم ، ولكن لا تنافي بين المدلولين فإن لكل شئ ومنها الانسان نصيبا في اللوح المحفوظ الذي لا سبيل للتغيّر والتبدّل إلى ما كتب فيه ، ونصيبا من لوح المحو والإثبات الذي يقبل التغيّر والتبدّل فالقضاء قضاءان محتوم وغير محتوم " [3] .

فهناك أجلان للإنسان ، الأول المحتوم وهو المسمى ، والثاني غير المحتوم وهو الموقوف ، فقد قال تعالى في محكم كتابه الكريم : ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِين ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاًۖ وَأَجَل مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ**﴾ [4] .

وهذا الكلام يؤيده حديث الإمام الصادق (عليه السلام) الوارد في بحار الأنوار، فعن عبد الله بن مسكان قال، قال (عليه السلام): « الأجل المقضي هو المحتوم الذي قضاه الله وحتمه

---

[1]) الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ١١، ص ٣٨٢ .
[2]) ينظر: المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ٣٨٢ .
[3]) المصدر نفسه ، ج١٤ ، ص ٣٥٤ .
[4]) سورة الأنعام : آية (٢) .

، المسمى هو الذي فيه البداء يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير » [١] .

وقد أشار السيد الخوئي إلى هذا المعنى بقوله : " إن القضاء الحتمي المعبر عنه باللوح المحفوظ ، وبأم الكتاب ، والعلم المخزون عند الله يستحيل أن يقع فيه البداء . وكيف يتصور فيه البداء ؟ وأن الله تعالى عالم بجميع الأشياء منذ الأزل ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء " [٢] . فأم الكتاب هي كناية عن علمه تعالى بما كان في الماضي ، وعلمه بما سيكون في المستقبل وهو الذي يعبر عنه ـ اللوح المحفوظ ـ [٣] .

وإبرز الآيات التي تمسكو بها الشيعة الإمامية واستدلوا بها على البداء ، هي هذه الآية ، قال تعالى : ﴿ **يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ** ﴾ [٤].

وهناك أقوال في معنى المحو والإثبات، الذي ورد في الآية الكريمة ، ينقلها الشيخ الطبرسي ومنها، إن معنى ذلك في الأحكام من الناسخ والمنسوخ، إنه يمحو من كتاب الحفظة المباحات، وما لا جزاء فيه، ويثبت ما فيه الجزاء من الطاعات والمعاصي، انه يمحو ما يشاء من ذنوب المؤمنين، تفضلاً منه فيسقط عقابها، ويثبت ذنوب من يريد عقابه عدلاً، انه عام في كل شئ ، فيمحو من الرزق، ويزيد فيه ، ومن الأجل، ويمحو السعادة والشقاوة، ويثبتهما ، إنه في مثل تقتير الأرزاق والمحن ، والمصائب ، يثبته في أم الكتاب ، ثم يزيله بالدعاء والصدقة ، وفيه حث على الانقطاع إليه سبحانه ، إنه يمحو بالتوبة جميع الذنوب ،ويثبت بدل الذنوب حسنات [٥].

---

[١]) المجلسي ، بحار الأنوار، ج ٤ ، ص ٩٩، الباب الثالث ، باب النسخ والبداء ، ح (٧) .
[٢]) الخوئي : أبو القاسم (ت ١٤١٣ هـ)، البيان في تفسير القرآن، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط ٤، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م ، ص ٣٩٠ .
[٣]) ينظر: مغنية ، تفسير الكاشف ، ج ٤، ص ٤١٥ .
[٤]) سورة الرعد : آية (٣٩) .
[٥]) مجمع البيان ، ج ٦ ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

فالشـيرازي يشـير إلى أن هناك مرحلتين أحدهما : اللوح المحفوظ ، والثاني : لوح المحو والإثبات ، فالأول كأن ما كتب فيه محفوظ لا يتغير أبدا ، أما الثاني فمن الممكن محو ما كتب فيه وتغييره [١] .

وهنا لابد من الإشـارة إلى قول صـاحب التفسـير الكبير الفخر الرازي ، الذي تحدث عن عقيدة البداء لدى الشـيعة الإمامية : " قالت الإمامية : البداء جائز على الله تعالى ، وهو أن يعتقد شـيئا ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقده ، وتمسـكو فيه بقوله : يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشـاءُ وَيُثْبِتُ . واعلم أن هذا باطل لأن علم الله من لوازم ذاته المخصـوصـة ، وما كان كذلك كان دخول التغير والتبدل فيه محالا " [٢] .

ويرد عليه الشيخ الشيرازي، بإن مسألة البداء تشبه إلى حد كبير مسألة النسخ ، فيقول : نعلم أن النسخ جائز لدى كل المسلمين، يعني من الممكن أن ينزل حكم في الشريعة فيتصور الناس أن هذا الحكم دائمي، لكي بعد فترة من الزمن يعلن الرسول (صلى الله عليه وآله) عن تغيير هذا الحكم وينسخه، ويحل محله حكماً آخر كما في حادثة تغيير القبلة .

إن هذا في الواقع نوع من أنواع البداء ولكن في القضـايا التشـريعية والقوانين والأحكام يسمونه بالنسخ، وفي الأمور التكوينية يسمى بالبداء، لذلك يقولون : النسخ في الأحكام نوع من البداء ، والبداء في الأمور التكوينية نوع من النسخ [٣] .

لذا جاء في الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام)، عن محمد بن مسلم قال، قال (عليه السلام) : « ما بعث الله عز وجل نبيا حتى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار بالعبودية، وخلع الأنداد، وأن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء » [٤] .

---

[١]) ينظر: تفسير الأمثل ، ج٧ ، ص ٤٣٥ .

[٢]) الفخر الرازي : أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦ هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) أو (تفسير الرازي)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ،ط٣ ، ١٤٢٠ هـ ، ج ١٩ ، ص ٥٢ .

[٣]) ينظر: تفسير الأمثل ، ج ٧ ، ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ .

[٤]) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤، ص ١٠٨، باب النسخ والبداء، ح (٢١) .

وفي طبيعة الحال، إن العهد الأول مرتبط بالطاعة والتسليم لله ـ تعالى ـ ، والعهد الثاني هو في محاربة الشرك، وثالث العهود مرتبط بمسألة البداء، ونتيجته أن مصيره بيده ، فيستطيع أن يغير الشروط فيشمله اللطف أو العذاب الإلهي، وهنا لابد من التوقف عند مسألة في غاية الأهمية قد أوردها الشيرازي في تفسيره فيقول : " إننا عندما ننسب البداء إلى الله ـ تعالى ـ فهو يكون بمعنى ـ الإبداء ـ أي بمعنى إظهار الشئ الذي لم يكن ظاهرا لنا من قبل ولم يكن متوقعا ، وإن ما ينسب إلى الشيعة الإمامية بأنهم يعتقدون أن الله يندم على عمله أحياناً، أو يخبر عن شئ لم يعلمه سابقاً، فهذه من أكبر التهم ولا يمكن الصفح عنها أبدا " [1] .

وهناك شواهد قرآنية تؤيد ما ذهب إليه الإمامية في مسألة البداء ومنها، قصة نبي الله يونس (عليه السلام)، فإنّ عدم طاعة قومه أدت إلى أن الله ـ تعالى ـ ينزل العذاب عليهم ، وقد تركهم نبيهم لعدم هدايتهم واستحقاقهم العذاب، لكن فجأة وقع البداء حيث رأى أحد علمائهم آثار العذاب، فجمعهم ودعاهم إلى التوبة فقبل الجميع ورفع العذاب، قال تعالى :﴿ **فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِين**﴾ [2] .

وكذلك الحال بالنسبة إلى قضية ذبح إسماعيل (عليه السلام) من قبل إبيه إبراهيم (عليه السلام) ، فنقرأ في قصته في القرآن الكريم ، أنه أُمر بذبح إسماعيل، فذهب بابنه إلى المذبح وتله للجبين، فعندما أظهر إسماعيل استعداده للذبح ظهر البداء الإلهي وظهر أن الأمر امتحان لكي يرى الله تعالى مستوى الطاعة والتسليم عند إبراهيم (عليه السلام) [3] .

وفي الصدد نفسه، يمكن أن يتبادر إلى الذهن السؤال الآتي، ماهي الفائدة المبتغاة من وجود البداء ؟

إن الفائدة من وجود البداء تتلخص في أمور منها، امتحان شخص مع قومه، أو تأثير التوبة في الرجوع إلى الله تعالى، كما هو الحال في قصة يونس أو التأثيرالكبير للصدقة

---

[1]) تفسير الأمثل ، ج٧، ص ٤٤٠ ـ ٤٤١ .
[2]) سورة يونس : آية (٩٨) .
[3]) ينظر: الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج٧ ، ص٤٣٩ ـ ٤٤٠ .

ومســـاعدة المحتاجين وعمل الخير، كل هذه الاعمال ســـتؤدي في النهاية إلى دفع الحوادث المفجعة وأمثالها، وهذا يعني أن كل الحوادث المستقبلية قد جعلت على نحو خاص، ثم تغيرت الشـرائط فأصـبحت أمراً آخر، حتى يعلم الناس أن مصـيرهم بأيديهم، وهم قادرون أن يغيروا مصـيرهم من خلال تغيير سـيرتهم وسـلوكهم، وهذه من أكبر الفوائد الّتي نلمسـها من البداء ، فما ورد من الروايات على أن الإنسـان إذا لم يعرف الله تعالى بالبداء لم يعرفه معرفة كاملة، فهي إشارة لتلك الحقائق [1] .

أما فيما يخص بيان الفرق بين النســخ والبداء، فيقول الســيد الحكيم : " فالفرق بينهما في الموضــوع الذي يقع النســخ فيه أو البداء، فالازالة والتبديل إذا وقعا في التشــريع ســميناهما نسـخا، وإذا وقعا في الأمور الكونية من الخلق والرزق والصـحة والمرض وغيرها سـميناهما بداء " [2].

وخلاصة القول في البداء : إننا إذا قلنا بالبداء لله ـ تعالى ـ فهو بداء منه، وإذا قمنا بنسب البداء للناس فهو بداء لهم، فالبداء هنا بمعنى الابتداء وهو ظهور ما خفي عن الناس، وأما البداء عند الناس فهو بمعنى الظهور بعد الخفاء، فالبداء هو الإقرار الصــريح، بأن جميع مافي العالم هو تحت سيطرته وقدرته على نشأته وبقائه، فالبداء يجعل العبد في حالة انقطاع دائم لله ــ تعالى ــ، وهي كذلك تقتضي من العبد أن ينصرف إلى الله ــ تعالى ــ ويطلب منه إجابة دعائه، وهكذا في ســائر العبادات والصــدقات التي جاءت عن الأئمة الأطهار (عليهم الســلام) لزيادة في العمر أوفي الرزق، بحســب حاجة العبد ، فهذا التأكيد الوارد في روايات أهل البيت (عليهم الســلام) على قضــية الاهتمام في مســألة البداء ، فالســر من وراء هذا الاهتمام هو أن بعض المفسرين ينكر البداء الذي يؤدي بالنتيجة إلى القول بإن الله ـ تعالى ـ لايملك المقدرة في تغيير ماجرى عليه قلم التقدير، فالله ـ تعالى ـ منزه عن كل ذلك، وأن كل الأمور تجري بإرادته وتحت سلطانه .

---

[1]) ينظر: الشيرازي، تفسير الأمثل ، ج٧ ، ص ٤٤٠ .

[2]) علوم القرآن، ص ٢٠١ .

فالله - تعالى - قد وضــع آجال الناس في أم الكتاب وهو الأجل المســمى، وأما الأجل غير المسمى فقد وضعه في كتاب المحو والإثبات [1] .

أما عن المنهج المستعمل في تقرير عقيدة البداء عند مفسري الإمامية، فهو المنهج الروائي، فقد استعانوا بالروايات الواردة عنهم (عليهم السلام)، لتقرير هذه العقيدة المهمة، التّي هي محل خلاف وجدال بينهم، وبين من يخالفهم في هذه العقيدة .

[1]) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ج ٧ ، ص ٩ .

المبحث الثاني : عقيدتي النبوة والإمامة في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية.

المطلب الاول: عقيدة النبوة في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية :

النبوة سفارة الله ــ عزوجل ــ ، والأنبياء (عليهم السلام) هم أفضل البشر وأكملهم وأتقاهم وأصلحهم، وهم يمثلون القدوة الحسنة في كل خير، والإنسان في حياته يحتاج إلى من يرشده إلى الله ــ سبحانه ــ ، ويعرّفه على حقيقة وجوده ووظيفته في هذه الدنيا، ويبيّن له معالم دينه، وخصوصاً مسائل الحلال والحرام ،ويحذره من الوقوع في المحظورات، ومن هنا تتبيّن أهمية وجود النبوة ودورها الفعال في حياة الإنســـان ، لأنها تمثل قيادة إلهية لا تكون إلا مع نزول الوحي من الســـماء، كما أن الإمامة هي الامتداد الفكري والعقائدي المرتبط بالنبوة، وهي من أهم المراكز الحساسة في الإسلام، لأنها تحفظ الأمة وتحميها من الانحرافات والأفكار الهدامة، وتقدم لهم الكرامة والعزة والحرية، وتحقيق كل ما يطمحون إليه .

أولاً : النبوة لغةً واصطلاحاً :

أ : النبي لغةً : وهي مأخوذة من نَبَأَ وأَنْبَأَ أَي أَخبر، ومنه أخذ النبي ؛ لانه المنبىء الذي يقوم بأخبار الناس وتبليغهم رســـالات الله عزوجل، وقيل : أُخِذَت النَّبْوةِ من النَّباوةِ، وهي الارتفاع عن الأَرض ، أَي إن النبي هو أَشْرَف المخلوقات جميعها [1] .

ب : أما اصطلاحاً : فقد عَرَف المحقق الحلي النبي فيقول: **"** هو البشري المخبر عن الله تعالى بغير واسطة من البشر" [2]، وأما العلامة الحلي في تعريفه لمفهوم النبي فإنه يضع مجموعة من القيود التي تساعدنا في تحديد الهوية الإجمالية لشخصية النبي المرسل: " هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر ، فبقيد الإنسان يخرج الملك ، وبقيد

---

[1]) ينظر: أبن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص ١٦٣ .

[2]) المحقق الحلي، أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد (ت ٦٧٦ هـ)، المسلك في أصول الدين، تح : رضا الأستادي، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد ـ ايران ، ط ٢ ، ١٤٢١هـ - ١٣٧٩ ش ، ص ١٥٣ .

المخبر عن الله يخرج المخبر عن غيره ، وبقيد عدم واسطة بشر يخرج الإمام والعالم فإنهما مخبران عن الله تعالى بواسطة النبي " [١] .

وأما الجرجاني في تعريفه للنبوة ، فإنه كان ناظراً لقضية الوحي، وتعدد صوره ، وقدر تعلقه بمسألة إرسال الأنبياء ؛ اذ يقول : " هو من أوحى اليه بملك أو ألهم في قلبه أو نبه بالرؤيا الصالحة " [٢] .

ويظهر للباحث أن أدق التعريفات وأكملها هو تعريف العلامة الحلي، لما يحتويه من الدقة المتناهية في تحديد القيود والضوابط التي تساعدنا في التعرف على أنبياء الله تعالى المرسلين إذ ؛ حدد جنس الأنبياء وأنهم بشر وليس ملائكة، وكذلك أنهم مخبرون عن الله عزوجل وليس عن غيره .

[١]) المقداد السيوري : جمال الدين أبو عبد الله المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الحلي الأسدي (ت ٨٢٦ هـ) ، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر ، تح : المقداد السيوري ، الناشر : دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م ، ص ٣٤ .

[٢]) الجرجاني، التعريفات ،ص ١٠٥ .

ثانياً: النبوة عند مفسري الإمامية :

أهتم مفسرو الإمامية بشرح وتبيان عقيدة النبوة، التي أخذت حيزاً واسعاً في تفاسيرهم ، فالسيد حيدر الآملي يبيّن معنى النبوة ، عند أهل الشريعة : " فالنبيّ إنسان مبعوث من الله تعالى إلى عباده ليكملهم بأن يعرّفهم ما يحتاجون إليه من طاعته ، ويعلّمهم ما يجترحهم عن معصيته " ، وأما العلامات الدالة على صحة النبوة فهي ثلاثة أمور : " الأمر الأول، أن لا يقرّر ما يخالف ظاهر العقل، كالقول بأنّ الباري أكثر من واحد، والأمر الثاني، أن تكون دعوته للخلق إلى طاعة الله والاحتراز عن معصيته، والأمرالثالث والأخير، أن يظهر منه عقيب دعوى النّبوّة معجزة مقرونة بالتحدّي مطابقة لدعواه " [١] .

وقد تعرض العلامة الطباطبائي في تفسيره إلى بيان معنى النبوة فيقول : " هو الذي يبيّن للناس صلاح معاشهم ومعادهم من أصول الدين وفروعه على ما اقتضته عناية الله تعالى من هداية الناس إلى سعادتهم " [٢] .

ومما لاريب فيه أن النبوة هي سفارة بين الله وخلقه من خلال الوحي الذي ينزل عليه ،فالله تعالى يصطفيه من بين عباده، لما يتمتع به من صفات عظيمة جعلته مؤهلاً للتصدي لهذه المسؤولية الكبيرة إذ ؛ يجب أن يكون مبتعداً عن أي انحراف في الإدراك أو السلوك ، يمتلكُ من الوعي ما يجعله فاهماً لدوره وموقعه وامتداد خطه الرسالي، وعظمة الله في نفسه، وضعة نفسه أمام الله ، وشعوره العميق بالعبودية المطلقة أمام الألوهية المطلقة؛ لتكون رسالته منطلقاً للخير والصلاح والإصلاح والتأكيد على الحقيقة في كل مجالاتها الفكرية والعملية [٣] .

فالنبوة في حقيقتها هي مجرد أخبار عن الله ينقلها شخص لايمكن له الكذب أو ارتكاب الأخطاء، وأنها ليست قوة تنفيذية تقول للشيء كن فيكون، فالنبي بشر لا يملك لنفسه نفعا ، ولا يدفع عنها ضرا ، ويستعمل في تنفيذ أهدافه نفس الوسائل التي يستعملها المؤمن والكافر،

---

[١]) الآملي : حيدر (ت ٧٩٤ هـ)، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، تح : موسوي تبريزي محسن ، الناشر: نور على نور، ايران ـ قم ، ط ٣، ١٤٢٢ هـ ، ج٣، ص ٢٤١ .

[٢]) الطباطبائي ،الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص ١٤٠ .

[٣]) ينظر : فضل الله ، من وحي القرآن ، ج ٦ ، ص ١٢٧ .

ولا يتميز إلا بهذا الإخبار عن الله تعالى، وانه أخذ من الانسانية أشرف ما فيها ، وأطهّر ما في صفاتها ، ولكن الصفات الجلية لا تضع صاحبها في مكان يستغني فيه عن الأسباب العادية والقوانين [١] .

ومازال الكلام مستمراً في بيان صفات النبي وأهم مميزاتهُ، وللدلالة على صدق النبيّ في دعواه ودعوته ليس إلَّا انّ مدّعي النبوّة إذا كان ظاهر الصلاح معروفاً بصدقه وأمانته وأستقامته وصدق لهجته لا يخالف العقل في دعوته وأصولها ،فلا يجوز عقلاً اظهار المعجز على يده إلَّا إذا كان صادقاً في دعوى النبوة، فلو كان مع صفاته المذكورة كاذبا في دعواه، لكانت ظهور المعجزة على يديه ورعاية الله له ، قد أوقعت الناس في الجهل وأدخلتهم في متاهات الضلال وهذا قبيح ينتقص من جلال الله وقدسه [٢] .

والنبوّه شيء واحد لايتجزء، وإنّما التمايز حدث في الدرجات ، فمنهم من وصل إلى درجة الخلَّة كإبراهيم ولم يحدث هذا لأحد غيره ، وقد جمع لداود الملك والنبوّة ولم يحدث هذا لأحد غيره ، وسخّر لسليمان الجنّ والإنس والطير والريح ولم يحدث هذا لأبيه داود (على نبيّنا وآله وعليه السّلام) ، وخصّ محمّدا (صلَّى الله عليه وآله) بكونه مبعوثا إلى الجميع من الجنّ والإنس وتكون شريعته ناسخة لجميع الشرائع [٣] .

" والنبوّة بوصفها ظاهرة ربّانية في حياة الإنسان هي القانون الذي وضع صيغة الحلّ ، بتحويل مصالح الجماعة وكلّ المصالح الكبرى التي تتجاوز الخطّ القصير لحياة الإنسان ، إلى مصالح للفرد على خطّه الطويل ، وذلك عن طريق إشعاره بالامتداد بعد الموت ، والانتقال إلى ساحة العدل والجزاء التي يُحشر الناس فيها ليُرَوا أعمالهم وصيغة الحل هذه تتألّف من نظرية وممارسة تربويّة معيّنة للإنسان على أساسها ، والنظرية هي المعاد يوم القيامة ، والممارسة التربوية على هذه النظرية عملية قيادية ربّانية ، ولا يمكن إلا أن تكون ربّانية ،

---

[١]) ينظر: مغنية ، تفسير الكاشف ، ج٥ ، ص ٢١٤ .

[٢]) ينظر: البلاغي : محمد جواد النجفي (ت ١٣٥٢ هـ)، آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، د ـ ط ، ١٩٣٣ م، ج ٣، ص٥.

[٣]) ينظر: الحائري، مقتنيات الدرر، ج٢، ص ١٠٦ .

لأنها عملية تعتمد على اليوم الآخر ، أي على الغيب ، فلا توجد إلا بوحي السماء، وهى النبوّة " [١] .

وخلاصة القول : أن النبوة جاءت لتقيم للناس قواعد العدل المبنية على أساس الإخلاص لدنياهم وأخرتهم ، ولا يمكن أن تخون قضايا الناس في الحرب والسلم ، ولا يمكن أن تنقص من حقوقهم بأي شكل من الأشكال ، فهي تمثل الإخلاص الكامل، والأمانة والصدق التام، ومنها تستمد الحياة عدالتها وصدقها في كل أمر من أمورها العامة والخاصة ، وهي التي تشهد للناس وكذلك تشهد عليهم في يوم القيامة [٢] .

ثالثاً : إثبات عصمة الأنبياء عند مفسري الإمامية :

اشتغل مفسرو الإمامية على إثبات عصمة الأنبياء (عليهم السلام) عن طريق النصوص القرآنية التي جاءت متوزعة على السور والآيات المباركة إذ أن هناك مسائل استطاع من خلالها المفسرون إثبات ، مسألة **عصمة الأنبياء** (عليهم السلام) من الصغائر والكبائر وهل هي تبدأ بالنبوة أو تشمل الحقبة التي سبقت البعثة ؟ فهو عبد مأمور كسائر العباد، مما يجعله خاضعاً لسلطة التكليف الذي تتحرك العصمة في دائرته [٣]، وكذلك قضية **الوحي** الذي هو كلام إلهي يُكشف عن طريق الواسطة وأيضاً **المعجزة** التي تظهر على يد الأنبياء (عليهم السلام) .

---

[١]) الحيدري: كمال، الإعجاز بين النظرية والتطبيق ، تح : محمود نعمة جياشي، الناشر: دار فراقد ، قم ـ ايران ، ط ١، ١٤٢٦ هـ ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .

[٢]) ينظر: فضل الله ، من وحي القرآن، ج ٦، ص ٣٥٤ .

[٣]) ينظر: المصدر نفسه ، ج ١٩، ص ٢٥٤ .

أ ـ العصمة لغةً واصطلاحاً :

١ـ العصمة لغةً : مأخوذة من عصم، "وهي أن يعصمك الله من الش، أي أنه سبحانه يدفع عنك كل سوء، واعتصمت بالله، أي امتنعت به من جميع الشرور" [١] .

٢ ـ أما اصطلاحاً : فيعبر عنها الشيخ المفيد بقوله : " فضل من الله ــ عزوجل ــ على من علم أنه متمسك بعصمته ، والاعتصام هو فعل المعتصم، وليست العصمة تمنع من القدرة على فعل القبيح، ولا تجبر المعصوم إلى فعل الخير، ولا ملجئة له إليه، بل هو أمر يعلم الله تعالى أنه إذا فعله بأحد من عباده لم يؤثر معه معصيته له، وليس كل الناس يعلم هذا من حالهم ، بل المعروف منهم أنهم النخبة الأخيار الصالحون، فهي التوفيق واللطف والاعتصام من الذنوب والغلط في دين الله تعالى" [٢] .

وفي موضع أخر يعرفها بإنها : " لطف يفعله الله سبحانه بالمكلف بحيث يمتنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما " [٣] .

ب : العصمة عند مفسري الإمامية :

حظي موضوع عصمة الأنبياء (عليهم السلام)، باهتمام بالغ من قبل مفسري الإمامية ، ولهم فيها أقوال منها أن العصمة هي المنع والحفظ مما يحذر، والعاصم هو الحافظ المانع بتسبيبه أو فعله ، والمعتصم هو الملتجي إلى العاصم واللائذ به ليمنعه ويحفظه مما لاذ والتجأ حذرا منه ، وتختلف وجوه الحذر ومحققاته بحسب شأن المعتصم به ووجهة الحذر ، فالاعتصام بالله في هذا المقام هو التجاء العبد وانقطاعه اليه ليمنعه ويحفظه بهداه وتوفيقه من محاذير الضلال واتباع الهوى والنفس الأمارة بالسوء وموبقات المعاصي والأخلاق الذميمة ،

---

[١]) الفراهيدي، العين، ج١، ص ٣١٣ .

[٢]) المفيد : محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ)، تصحيح اعتقادات الإمامية، تح : حسين درگاهي ، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط ٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣ م ، ص ١٢٨ .

[٣]) المفيد : محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ) ، النكت الإعتقادية، تح : رضا المختاري ،الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ــ لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣ م ،ص ٣٧ .

ومهالك غضب الله ، وحرمان النفس من لطفه وتوفيقه ورضاه سبحانه وتعالى، والمحقق لهذا الاعتصام بعد مخالفة الهوى والنفس الأمارة هو اتباع دلالة العقل والفطرة وما جاءت به رسل الله في معرفته مع النظر في آياته واتباع مدلولها والإيمان برسله وكتبه [١] .

والأنبياء (عليهم السلام)معصومون من وقت ولادتهم ، وقد قال الله تعالى في وصف أنبيائه (عليهم السلام) : ﴿ **وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ**﴾[٢] .

واحتج المفسرون بهذه الآية المباركة لإثبات العصمة للأنبياء (عليهم السلام)، وبيان ذلك أنه تعالى حكم عليهم بكونهم أخيارا على الإطلاق، وهو يعمّ حصول الخيرية في جميع الأفعال والصّفات، ولا نعني أو ندري معنى للعصمة إلّا هذا كما بيّن في محلّه ،قال تعالى :﴿**وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ**﴾ [٣] .

أي اذكر لأمّتك هؤلاء الكرام من المذكورين أيضا ليقتدوا بهم ويسلكوا سبيلهم، وهم قوم آخرون من الأنبياء العظام تحمّلوا المشاق والشدائد في طريق الدعوة إلى التوحيد والهداية إلى دين الله " [٤] .

فدلالة هذه الآية المباركة أنها دالَّة على كونهم موصوفين بالخيريّة والاصطفاء ، وهو تعالى لا يختار من هو شانه المعصية، ولا يصطفى الَّا الماحض الخير، وذلك ينافي صدور الذنب [٥] .

فمعنى عصمة النبي تنزيهه بحكم العقل عن الخطأ والخطيئة في كل ما يتصل بالدين وأحكامه، بحيث يبلغ النبي من الطهر والقداسة، والعلم والمعرفة بالله وما يريده من عباده - مرتبة تستحيل معها المخالفة عمدا وسهوا [٦] .

---

[١]) البلاغي ، الأء الرحمن ، ج١ ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ .
[٢]) سورة ص : آية (٤٧) .
[٣]) سورة ص : آية (٤٨) .
[٤]) السبزواري : محمد النجفي (ت ١٤٠٩ هـ)، الجديد في تفسير القرآن المجيد، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، لبنان ـ بيروت ، ط١، ١٤٠٦ هـ ،ج٦، ص ١٢٤ .
[٥]) ينظر: الحائري، مقتنيات الدرر، ج١، ص ١٣٢ .
[٦]) مغنية، تفسير الكاشف ،ج١ ، ص ٨٦ .

والذي يثبت عصمة الأنبياء (عليهم السلام) بهذا المعنى، وعلى مختلف أقسامها، يتحتم عليه وجوب تأويل النقل بما يتفق مع صريح العقل، ومن نفى العصمة عن الأنبياء أبقى الظاهر على ظاهره [١] .

وقد ذكر السيد السبزواري رأي الإمامية في مسألة عصمة الأنبياء (عليهم السلام) : " وهو القول بالعصمة مطلقا من جميع الذنوب، وفي جميع الحالات وهذا هو مذهب الإمامية ، والرأي المناسب لمقام النبوة والرسالة هو القول بعصمتهم مطلقا من جميع الذنوب كبائرها وصغائرها، عمدا وسهوا قبل البعثة وبعدها . والمعصوم هو الممنوع عن فعل المعصية بلا إلجاء واضطرار حتّى ينافي الاختيار، وإلّا كان العادل أحسن من المعصوم وبعبارة أخرى : إنها عناية خاصة، وتوفيق من الله تعالى لبعض عباده ، لعلمه الأزلي بصفاء طينتهم وجوهرهم من دون أن يكون ذلك من العلة التامة كسائر عناياته وتوفيقاته عزّ وجل بالنسبة إلى عباده ، فقد يوفق عبدا لصلاة الليل مثلا، أو فعل الخيرات، وقضاء الحاجات أو الاتصاف بالأخلاق الفاضلة ونحو ذلك ، لا على وجه القهر والإلجاء والضرورة ، بل على نحو إيجاد الداعي إليها " [٢] .

فالعصمة هي نوع من العلم الذي يمنع صاحبه عن ارتكاب المعصية، وبعبارة أخرى علم مانع عن الضلال [٣] .

فيتضح لنا أنها العلم الذي لا يخالف قول ربّه قيد أنملة، ولا يتعدّى الحدود التي رسمها له في حياته قدر شعرة، ولن تنتفى المعصية في حياته فحسب، بل إنّ مجرّد التفكير فيها لن يجد له سبيلاً إليه [٤] .

---

[١]) مغنية ، تفسير الكاشف ، ج ١، ص ٨٦ .

[٢]) السبزواري : عبد الأعلى (ت ١٤١٤ هـ) ، مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، الناشر : دفتر آيت الله العظمى السبزواري ، ط٢ ، ١٤٠٩ هـ ، ج ١، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

[٣]) ينظر:الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ج ٥ ، ص ٧٨ .

[٤]) ينظر: الحيدري : كمال، العصمة بحث تحليلي في ضوء المنهج القرآنى، تح : محمد قاضى، الناشر: دار فراقد للطباعه و النشر، قم ، ط ١، د ـ ت ، ص ١٣٩ .

وعلى هذا يمكن القول أن العصمة لطف إلهي يمنع صاحبه من ارتكاب المعصية من جهة، واستعداد العبد بحيث لا يعصي الله في حياته ولا يريد أن يعصيه أو يفكر في معصيته من جهة أخرى .

ج : أقسام العصمة عند مفسري الإمامية :

للمفسرين في العصمة أقوال مختلفة بحسب اختلاف هذه الأقسام :

١ـ العصمة في العقيدة وأصول الدين : وهي " تنزيه النبي عن الكفر والإلحاد، وما إليه وهذه ثابتة لكل نبي بالبديهة والاتفاق، إذ لا يعقل أن يكفر النبي بالذي اختاره للنبوة " [١]، ومن زواية أخرى، هو معصوم كذلك من أرتكاب الذنوب والمعاصي التي تؤدي به إلى هتك حرمة العبودية لله ـ سبحانه وتعالى ـ [٢] .

٢ ــ العصمة في تبليغ الرسالة عن الله ــ عزوجل ــ [٣] **:** واتفق الشيعة الإمامية (وكذا سائر المسلمين وفرقهم) على ثبوت هذه العصمة لكل نبي، لأن الغرض من التبليغ حمل المكلفين على الحق، فان أخطأ المبلغ انتقض الغرض من تبليغه، ويؤيده قوله تعالى: **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، انْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾** [٤]،وقوله تعالى : **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾** [٥] .

فالقول بعصمة الأنبياء لاينفك أبدا عن القول بأن قولهم وفعلهم وتقريرهم حجة ودليل [٦] .

و بناء على ما تقدم، فإن المرسَل لا يخطأ أبدا وذلك لأن الغرض الأساس من إرسال الأنبياء من قبل الله ـ تعالى ـ هو هداية الناس ، فالله تعالى لا يختار من يخطأ ويرتكب المعصية ليوصل رسالته إلى الناسِ ، قال تعالى : **﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ**

---

[١]) مغنية ، تفسير الكاشف ، ج١ ، ص ٨٦ .
[٢]) ينظر: الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج٢ ، ص ٩٣ .
[٣]) ينظر: مغنية ، تفسير الكاشف ،ج١، ص ٨٦ ، ينظر: الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ١، ص ٩٣ .
[٤]) سورة النجم : آية (٣- ٤) .
[٥]) سورة الحشر: من آية (٧) .
[٦]) ينظر: مغنية، تفسير الكاشف ، ج١ ، ص ٨٦ .

وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَـدًا، لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَـالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَـىٰ كُلَّ شَـيْءٍ عَدَدًا﴾ [١] .

وتفسـيرا لذلك فالله - تعالى - يتعهّد بحفظ الوحي والرسـول الذي يحمله من بين يديه ومن خلفه حتى تصل الرسالة الإلهية إلى الناس سالمة من كل عيب ونقص [٢] .

٣ـ العصمة في الفتيا : " ومعنى الفتيا أن يفتي النبي بشيء عام ، كتحريم الربا، وتحليل البيع ، ويلاحظ ان هذا القسم يرجع إلى القسم الثاني ، أي التبليغ ، والنبي لايخطىء في تلقي الوحي ، فكل ما يصله عن طريقه فهو صحيح [٣] .

وهذا من الواجبات القطعية التي يجب أن تتوافر في النبي (صلى الله عليه وآله) لكي يصح اتباعه من قبل الناس ، قال تعالى: **﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّـرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾** [٤] .

نجد أن الآية الكريمة عرّفت الجمع ـــ النبيين ـــ بالألف واللام ، وهذه الصيغة تعنى أنّ جميع الأنبياء مشـــمولون بالحكم الوارد في الآية المباركة ، بمقتضـــى إفادة الجمع المعرف بالألف واللام للعموم لغوياً .

ثم قالت ، **﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾** [٥]، أي إنّ الكتاب نزل وهو مصـاحب للحق، من مبدأ نزوله إلى أن يصل الناس ،ونتيجة ذلك ؛ أن الله ـــ سبحانه ـــ أنزل معهم أي ـــ الأنبياء - الكتاب بالحق ليحكموا بين الناس في ما اختلفوا فيه[٦] .

---

[١] سورة الجن : الآيات (٢٧ ـ ٢٨) .
[٢] الحيدري : كمال ، عصمة الانبياء في القرآن مدخل الى النبوة العامه، تح : محمود نعمه جياشي ، الناشر: دار فراق، قم ، ط ١، د ـ ت ، ص ١٣٤ .
[٣] مغنية ، التفسير الكاشف ، ج١ ، ص ٨٧ .
[٤] سورة البقرة : آية (٢١٣) .
[٥] سورة البقرة : من الآية (٢١٣) .
[٦] ينظر: الحيدري، عصـــمة الأنبياء في القرآن مدخل الى النبوة العامه، ص ١٢٨، ينظر : الشيرازي، تفسير الأمثل، ج٢، ص ٨٩ .

وفي الصـــدد نفســـه فإنّ الله ســـبحانه أنزل الكتاب المتمثّل بوحيه لكي يخرج المجتمع الإنساني من وطأة هذا الاختلاف ويهديه إلى الصراط المستقيم [١] .

وهنا لابد من أن ننوه، أن الإمامية الأثنا عشرية، قد اتفقوا على أن النبي معصوم عن الخطأ في الحكم، كما هو معصـوم في التبليغ ، مع أنهم نقلوا عن الرسـول الأعظم (صـلى الله عليه وآله)، فقد ورد عن الإمام أبي عبد الله الصـادق (عليه السـلام)، عن أبيه (عليه السـلام)، عن رسـول الله (صـلى الله عليه وآله)، أنه قال : « انما أقضـي بينكم بالبينات والإيمان . . أنا بشـر وانكم تختصـمون إليّ، ولعل بعضـكم يكون ألحن بحجته من بعض - أي أفطن من خصـمه - فاحكم له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئا ، فإنما أقطع له قطعة من نار » [٢] ، فيكون الخطأ في حكمه - على تقديره - انما هو في البينة، أو في يمين الحالف، أو ما أشبه، أي في مستند الحكم لا في الحاكم [٣] .

فالنبي (صـلى الله عليه وآله)، لديه العصـمة التي تمنعه في أن يحكم بين الناس بغير الحق، ولكن يمكننا توجيه الحديث على نحو أن الخطأ لم يكن في حكم النبي (صـــلى الله عليه وآله) عندما حكم بين المتخاصـمين، فالخطأ يقع على من قدّم بينة غير صـحيحة ، أو قام بأداء يمين كاذب من أجل كسب الدعوة في الخصومة، والدليل على ذلك؛ ذيل الحديث الوارد عنه (صلى الله عليه وآله)، وأنه توعد من يفعل ذلك بالعذاب في النار .

٤ ـــ العصمة في أفعال الأنبياء وسيرتهم الخاصة : والإمامية أوجبوا العصمة مطلقاً عن كلّ معصية عمداً وسهواً وهو الحق لوجهين .

الوجه الأوّل : وتقريره أنّه لو لم يكن الأنبياء معصومين انتفت فائدة البعثة، واللّازم باطل، فالملزوم مثله، بيان الملازمة أنّه إذا جازت المعصـية عليهم، لم يحصـل الوثوق بصـحّة قولهم لجواز الكذب حينئذ عليهم، وإذا لم يحصـــل الوثوق لم يحصـــل الانقياد لأمرهم ونهيهم، فينتفى فائدة بعثهم وهو محال .

---

[١]) ينظر: الحيدري، عصمة الانبياء في القرآن مدخل الى النبوة العامه ، ص ١٢٩ .
[٢]) الكليني ، الكافي، ج ٧، ص ٤١٤، باب ان القضاء بالبينات والإيمان، ح (١) .
[٣]) مغنية، تفسير الكاشف ، ج١، ص ٨٧ .

الوجه الثّاني : لو صـــدر عنهم الذّنب لوجب اتّباعهم لدلالة النّقل على وجوب اتّباعهم ، لكنّ الامر حينئذ باتّباعهم محال لأنه قبيح ، فيكون صـــدور الذّنب عنهم محال وهو المطلوب [١] .

ولعل من الضـــروري أن نؤكد أن الأنبياء (عليهم الســـلام) معصـــومون في كل ما يقولون ويفعلون، تماما كما هم معصومون في العقيدة والتبليغ ويستحيل عليهم فعل الصغائر فضلا عن الكبائر، ولن تصدر منهم إطلاقا لا على سبيل القصد، ولا على سبيل السهو ، لا قبل النبوة ولا بعدها ، بحسب عقيدة الإمامية [٢] .

وبطبيعة الحال فإنّ الله تعالى قد أثبت هدايته لمن أراد أن يهديه، ونفى عنه كل ضـلال، فلا يؤثر فيه كل مضل أو ضال، ثم عدّ كل معصية ضلال، فإثبات هدايته ـــ تعالى في حق الأنبياء (عليهم السلام) ثم نفي الضلال عمن اهتدى بهداه، ثم عدّ كل معصية ضلالا تبرئه منه ـــ تعالى ـــ لساحة أنبيائه عن صدور المعصية منهم وكذا عن وقوع الخطأ في فهمهم الوحي وإبلاغهم إياه [٣] .

وعطفاً على ما تقدم، فالأنبياء معصـــومون في تلقي الوحي ، وفي تبليغ ما يصـــلهم منه ، فالله ـ تعالى ـ لايختار من يخطأ ويرتكب المعصية ليوصل رسالته ، فأنهم منزهون عن كبائر الذنوب وصغائرها ، فالمعصية مهما كانت صغيرة فإنها تخرجهم من دائرة كونهم أسوة وقدوة حسنة للمجتمع .

فلو آتى نبينا (صلى الله عليه وآله) بالمعصية ـــ حاشاه ـــ لصار لزاماً علينا أتباعه استنادا لقولـه تعـالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [٤] ، " فيفضـــى إلى الجمع ، بين الحرمة والوجوب ، وهو محال ، وإذا ثبت ذلك في

---

[١]) ينظر : المقداد السيوري ، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، ص ٣٨ .
[٢]) ينظر: مغنية ، تفسير الكاشف ، ج١ ، ص ٨٧ .
[٣]) ينظر: الطباطبائي ، تفسير الميزان، ج٢، ص ١٣٦ .
[٤]) سورة آل عمران : آية (٣١) .

حقّ محمّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ، ثبت أيضا في سائر الأنبياء ضرورة أنّه لا قائل بالفرق " [١] .

وهنا يأتي تساؤل ، عن قضية معصية آدم (عليه السلام)، فقد قال ـــ سبحانه ـــ في كتابه العزيز: ﴿ **فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ**﴾ [٢]،ومعنى الآية " أن آدم خالف ما أمره الله به فخاب ثوابه . والمعصية مخالفة الأمر سواء كان واجباً أو ندباً " [٣]، "ولا يمتنع أن يسمّى تارك النفل عاصيا كما يسمّى بذلك تارك الواجب يقولون : فلان أمرته بكذا وكذا من الخير فعصاني . واستعمل لفظة ـ غوى ـ في الخيبة ويجوز أن يكون المراد فخاب ممّا كان يطمع فيه بأكل الشجرة من الخلود " [٤] .

فالأمر الإلهي الذي أمر آدم أن لا يأكل من الشجرة ليس أمراً مولوياً ،فإذا خالفه كان ذلك الفعل قادحاً بعصمة آدم (عليه السلام) , بل كان أمراً إرشادياً إذ ؛ أن فرائض الله ـــ سبحانه ـ المولوية لم تكن مفروضة على آدم (عليه السلام) في الجنة بعد [٥] .

قال تعالى : ﴿**وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ**﴾ [٦]، فالعصيان في هذه الآية الكريمة هوعصيان لأمر إرشادي وليس لأمر مولوي ، فمعنى الأمرالإرشادي في هذه الآية هو: إراءة الطريق وإذا قابل الضلال، فليس من المرضي تفسير الغي في الآية بمعنى الضلال ، أنما هو خلاف الرشد ، الذي يأتي بمعنى إصابة الواقع [٧] .

وخلاصة القول: إن معصية آدم (عليه السلام) "هي معصية أمر إرشادي لا مولوي والأنبياء (عليهم السلام) معصومون من المعصية والمخالفة في أمر يرجع إلى الدين الذي يوحي إليهم من جهة تلقيه فلا يخطؤون، ومن جهة حفظه فلا ينسون ولا يحرفون، من ناحية

---

[١]) الحائري، مقتنيات الدرر، ج١، ص ١٣٢ .
[٢]) سورة طه: آية (١٢١) .
[٣]) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢١٨ .
[٤]) الحائري، مقتنيات الدرر، ج ٧، ص ١٢٦ .
[٥]) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص ١٤٥ .
[٦]) سورة طه :من الآية (١٢١) .
[٧]) ينظر: الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢٢٢ .

إلقائه إلى الناس وتبليغه لهم قولاً فلا يقولون إلا الحق الذي أوحي إليهم وفعلاً فلا يخالف فعلهم قولهم ولا يرتكبون معصية صغيرة ولا كبيرة لأن في الفعل تبليغا كالقول" [١] .

وأما معصـــية الأمر الإرشـــادي الذي لا داعي فيه إلا إحراز المأمور خيرا أو منفعة من خيرات حياته ومنافعها باختيار الطريق الأمثل كما يأمر وينهى المشـير الناصـح نصـحاً فإن طاعته ومعصيته خارجة عن دليل العصمة وهو الظاهر [٢] .

" إن القيام بأي عمل لا ينسجم مع الطريق القويم سوف يلقى بالإنسان في دائرة الضلال سواء كان القيام بذلك العمل عمداً أم سهواً ،والحصيلة التي يقرّرها القرآن الكريم تتمثّل في أنّ من كان على الصراط المستقيم ، لا يمكن أن يصدر منه ما يخالف أمر الله (عزّ وجلّ) لا عمداً ولا سهواً ، سواء أكان ذلك في إبلاغ الشريعة أو في تطبيقها وسواء أكان مما يختص بالرسالة الإلهية أو مما يختص بحياته الشخصية " [٣] .

فجميع أنبياء الله تعالى " معصومون من أرتكاب الكبائر قبل النبوة وبعدها، وما يستخف فاعله من الصغائر كلها، وهذا مذهب جمهور الإمامية " [٤] .

---

[١]) الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج١٤، ص ٢٢٢ .
[٢]) ينظر: المصدر نفسه ، ج١٤ ، ص ٢٢٢ .
[٣]) الحيدري، عصمة الأنبياء في القرآن مدخل إلى النبوة العامة ، ص ٧٠ ـ ٧١ .
[٤]) ينظر: المفيد ، أوائل المقالات ، ص ٦٢ .

ومن الآيات القرآنية الأخرى التّي استدل بها الشيعة الإمامية على وجوب العصمة للأنبياء (عليهم السلام) :

الآية الأولى : التّي استدلوا عن طريقها على عصمة الأنبياء (عليهم السلام) ، هي قوله تعالى : ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ (٤)** ﴾ [١] ، فهذه الآيات تحدثت عن موضوع في غاية الأهمية ، وهو رد على كل من يشكك ، أن القرآن الكريم أو الأوامر والنواهي التّي كان يبلغها النبي (صلى الله عليه وآله) ، لهم من عنده ، بل هي من عند الله ـ تعالى ـ وليست من عند النبي (صلى الله عليه وآله) .

فقوله : " ما ضل صاحبكم يعني النبي (صلى الله عليه وآله) ما ضل عن الحق ـ وما غوى ـ

أي وما خاب عن إصابة الرشد ، ـ وما ينطق عن الهوى ـ أي ليس ينطق عن الهوى أي بالهوى ، يقال : رميت بالقوس وعن القوس . والمعنى إنه لا يتكلم في القرآن وما يؤديه إليكم عن الهوى الذي هو ميل الطبع ـ إن هو إلا وحي يوحى ـ معناه ليس الذي يتلوه عليكم من القرآن إلا وحي أوحاه الله إليه ، فالوحي القاء المعنى إلى النفس في خفى إلا أنه صار كالعلم في ما يلقيه الملك إلا النبي (صلى الله عليه وآله) من البشرعن الله تعالى " [٢] .

" فالنبي ماعدل عن الحق ، ومافارق الهدى إلى الضلال . وماغوى فيما يؤديه إليكم . ومعنى غوى : ضل . وإنما أعاده تأكيدا . وقيل معناه ما خاب عن إصابة الرشد . وقيل : ماخاب سعيه ، بل ينال ثواب الله ، وكرامته .

ـ وماينطق عن الهوى ـ أي أنه لاينطق بالهوى ، وقيل معناه ، لايتكلم بالقرآن ، وما يؤديه إليكم ، عن الهوى الذي هو ميل الطبع ، إنما هو وحي يوحى : أي ما ينطق به من الأحكام ، إنما هو وحي يوحى يأتيه به الوحي جبرائيل ـ عليه السلام ـ " [٣] .

---

[١]) سورة النجم : الآيات (٢ ـ ٣ ـ ٤) .

[٢]) الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن ، ج٩ ، ص ٤٢٢ .

[٣]) الطبرسي ، مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ٢٨٨ .

فالمراد بالهوى ،هوى النفس ورأيها ، فالله ـ تعالى ـ قد نفى مطلق الهوى عن نطق نبيه (صلى الله عليه وآله) ، وأنه لأيخطأ في نطقه ، بدلالة قوله :﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣)**﴾ [١] ، وهذا فيه دلالة واضحة أن كلام النبي (صلى الله عليه وآله) ، إنما هو وحيّ يوحى إليه من قبل الله ـ تعالى ـ ، وأنه (صلى الله عليه وآله) بحسب الآية الثانية من سورة النجم ، لم يضل ولم ينحرف ولم يخرج عن جادة الصراط المستقيم ، ولم يتبع هوى نفسه ، فاتباع هوى النفس هي المصدر الرئيسي للأنحراف والضلال ، بل كان مسيطراً على هوى النفس ، متمسكاً تماماً بعصمته ، فهو لايعصي الله تعالى ولايرتكب ذنباً أو خطيئة ، فلو فرضنا جدلاً ، أنه (صلى الله عليه وآله) ، كان متبعاً لهواه ، لكانت هذه الصفة قادحة في أصل عصمته ، ولما استحق أن ينزهه القرآن الكريم عن هذه الصفة التي تضر بعصمته (صلى الله عليه وآله) [٢] .

فهذه الصفات التّي أوردها القرآن الكريم عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، هي صفات تنزيه للنبي (صلى الله عليه وآله) ، وأنه لايرتكب أي من هذه الأشياء والمعاصي صغيرها وكبيرها .

وأما الآية الثانية : التّي يستدل بها على العصمة ، قوله تعالى : ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** ﴾ [٣] .

فهذه الآية القرآنية المباركة تدل على العموم ، وهذا العموم في الآية الكريمة يعطينا دليلاً على العصمة ، وهو أن الله ـ تعالى ـ يأمرهم بإطاعة أوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، واجتناب مانهى عنه ، سواء في مجال المسائل المرتبطة بالحكومة الإسلامية أو الأقتصادية أو العبادية وغيرها ، فلو كان يخطأ ويرتكب المعصية ، لما أمرهم الله ـ تعالى ـ بإتباعه وتنفيذ

---

[١]) سورة النجم : الآيات (٢ ـ ٣) .

[٢]) ينظر : الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ١٩ ، ص ٢٧ .

[٣]) سورة الحشر : من الآية (٧) .

أوامره ، وكذلك أوجب على الناس تنبيهه ونهيه عن ذلك وعدم التسليم له ، فهذا الأمر يخالف مبدأ القدوة الحسنة [١] .

وبهذا الصدد يقول الشيخ المفيد : " وقد جاء الخبر بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) من ذريته كانوا حججاً لله تعالى منذ أكمل عقولهم إلى أن قبضهم ، ولم يكن لهم قبل أحوال التكليف أحوال نقص وجهل ، فإنهم يجرون مجرى عيسى ويحيى (عليهما السلام) في حصول الكمال لهم مع صغر السن وقبل بلوغ الحلم . وهذا أمر تجوزه العقول ولا تنكره ، وليس إلى تكذيب الأخبار سبيل ، والوجه أن نقطع على كمالهم (عليهم السلام) في العلم والعصمة في أحوال النبوة والإمامة ، ونتوقف فيما قبل ذلك ، وهل كانت أحوال نبوة وإمامة أم لا ونقطع على أن العصمة لازمة لهم منذ أكمل الله تعالى عقولهم إلى أن قبضهم (عليهم السلام) " [٢].

وخلاصة القول : هو أن نقول أن منصب النبوة الإلهي لاينالاه الظالم ، والظالم هو الذي يرتكب المعصية سواء كان كافراً أو غير كافر ، ومهما كان نوع المعصية التّي يرتكبها صغيرة كانت أو كبيرة ، هذه من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، أن النبي (صلى الله عليه وآله) الأسوة الحسنة ، والقدوة التّي يجب الأقتداء بها ، ومن هذا المنطلق يجب أن تكون هذه الأسوات معصومة على مستوى الأفعال وما يصدر عنها ، لتتمثل موقعها كأسوة ، ويصحّ توجيه القرآن الناس للأقتداء بها ، والاسترشاد بهديها وسلوكها [٣] ، وهذا يتفق مع قوله تعالى : ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَة** ﴾ [٤] .

---

[١]) ينظر : الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج ١٨ ، ص ١٨٤ .

[٢]) تصحيح اعتقادات الإمامية ، ص ١٣٠ .

[٣]) ينظر : الحيدري ، عصمة الأنبياء في القرآن مدخل إلى النبوة العامة ، ص ١١٨ .

[٤]) سورة الأحزاب : من الآية (٢١) .

المطلب الثاني : عقيدة الإمامة في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية :

إن من أبرز العقائد التي أنفرد بها مذهب الشـــيعة الإمامية الأثنا عشـــرية،عقيدة الإمامة ،ودارت حولها الكثير من المناظرات والنقاشات بينهم وبين من أنكر هذا الأصل العقدي ،فسلط علماء ومفسـرو الإمامية الضـوء على هذه العقيدة ومايتعلق بها، وأولوا لها أهتماماً خاصـاً لما تمثله من ركنية عقدية .

فالإمامة هي مفهوم ديني مهم عند الإمامية إذ يعتقدون إن الله تعالى أختار الأئمة (عليهم السـلام)، ليكونوا أوصـياء للنبي الأكرم (صـلى الله عليه وآله) وأمتداد للنبوة ، وأعلام هداية للبشرية جمعاء ، فهم الخلفاء بعد النبي (صلى الله عليه وآله) .

فالإمامة تُعد جزءاً رئيســـياً من العقيدة الإمامية، ويعتبر الإمام في العقيدة الاثنا عشـــرية إنســـاناً مقدســـاً ومصـــلحاً دينياً يحمل الحكمة والمعرفة الإلهية، ويتولى مســـؤولية قيادة الأمة وتوجيهها في الشؤون الدينية والدنيوية.

أ - الإمامة لغةً : " وهي من أَمَّ القومَ وأَمَّ بهم: أي تقدَّمهم، وهي الإمامةُ، أما الإمامُ : فهو كل من ائتَمَّ به قومٌ كانوا على الصراط المستقيم أَو كانوا ضالِّين " [1] .

ب ـــــ أما اصطلاحاً : " فهي رئاسـة عامّة في أمور الدّين والدّنيا لشـخص إنسـاني، وكونها لشخص إنساني فيه إشارة إلى أمرين :

الأمر الأول: انّ مستحقّها يكون شخصا معيّنا معهودا من الله تعالى ورسوله، لا أي شخص أخر.

والأمر الثاني: انه لا يجوز ان يكون مستحقّها أكثرمن واحد في عصر واحد " [2] .

---

[1]) أبن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٢٤، مادة (أمم) .
[2]) الحلي، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، ص ٤٠ .

وقيل أنها : "منصباً إلهياً يختاره الله تعالى بسابق علمه بعباده،كما يختار النبي (صلى الله عليه وآله)، ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه، ويأمرهم باتباعه " [١] .

أما السبحاني فقد عرفها : " بأنّها رئاسة إلهية عامة لشخص من الأشخاص وخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) في مسائل الدين والدنيا ويجب على كافة الأمة اتّباعه واطاعة أوامره " [٢] .

وتعتقد الإمامية أن الإمامة مثل النبوة، بكونها لطفاً من الله ــ عزوجل ــ ، فيجب أن يكون في كل عصر إمام مرشد يخلف النبي (صلى الله عليه وآله) في مهامه ،وتوجيه الناس وإرشادهم إلى ما فيه الخير والسعادة وتربيتهم وأصلاحهم في النشأتين، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس، وإدارة شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم، فالإمامة لا تكون إلا بالنص من قبل الله تعالى على لسان نبيه (صلى الله عليه وآله) أو على لسان الإمام الذي قبله، وليست هي بالتعيين أوالأنتخاب من قبل الناس، فليس لهم الحق أن ينصبوا أحدا، وليس لهم إذا شاءوا أن يعينوا إماما لهم عينوه، ومتى شاءوا أن يتركوا تعيينه تركوه، ليصح لهم البقاء بلا إمام [٣] .

ثانياً : الإمامة عند مفسري الإمامية :

أهتم مفسري الإمامية بعقيدة الإمامة ، لذا يقول البلاغي بخصوصها ، الإمامة لطف من الله - تعالى - ومن أكبر المصالح لأمور الناس للأهتمام بهم ؛ لأنها تتعلق بمصالحهم العامة والخاصة [٤] .

وقد أشار صاحب الدرر إلى أهمية الإمامة، وأنها أهمّ من الصلاة حتما وإنّ الصلاة تقوم وتبقى بالإمامة وبمن نصبه النبيّ (صلى الله عليه وآله) علماً للدين [٥] .

---

[١]) كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها ، ص ٢٢١ .
[٢]) الألهيات ،ج٤ ، ص ٨ .
[٣]) المظفر، عقائد الإمامية ، ص ٦٦ .
[٤]) الأء الرحمن ، ج ١، ص ١٢٣ .
[٥]) الحائري، ج ٥، ص ١٨٧.

والله ـــ تعالى ـــ في محكم كتابه العزيز يشير إلى مسألة الإمامة وأنها أستخلاف، وأن الخلافة لاتكون ألا لمن آمن وعملا صـــالحاً، قال تعالى: **﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾** [1] .

فهذه الآية قد أشارة إلى مسألة خلافة الأئمة (عليهم السلام) وأستخلافهم بعد النبي (صلى الله عليه وآله) فمعنى ليســتخلفنهم ،أي ليجعلنّهم خلفاء بعد نبيّكم (صـــلّى الله عليه وآله)، وفي المقطع الثاني من الآية الكريمة، يقول الله تعالى : **﴿كَمَا اسْـــتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** فالآية فيها من الدلالات ما يكفي للدلالة على وجود أوصياء للأنبياء (عليهم السلام)، لذلك وعد الله ـ تعالى ـــ الذين آمنوا وعملوا الصالحات، من الحاضرين في زمان النبي محمّد (صلى الله عليه وآله) وتحقق هذا الوعد يكون بعد الرسـول (صـلى الله عليه وآله) لهؤلاء الخلفاء؛ لأنّه لا نبيّ بعده فالمراد بالاستخلاف هي الإمامة [2] .

فمعنى الإمامة عند الشيخ مكارم الشيرازي، هي تحقيق المناهج الدينية بما في ذلك منهج الحكم بالمعنى الواســـع للحكومة، وإجراء الحدود وأحكام الله، وتطبيق العدالة الاجتماعية، وتربية الأفراد في محتواهم الداخلي وفي سلوكهم الخارجي [3] .

فمنزلة الإمامة أعلى من منزلة النبوة والرسالة، لأن منزلة النبوة والرسالة مقتصرة على تبليغ أوامر الله تعالى، وإنذار الناس، في حين أن الإمامة تشمل مهام النبوة والرسالة بالإضافة إلى تنفيذ الأحكام وتربية النفوس ظاهرها وباطنها، ومن الواضـــح أنه كانه من الأنبياء (عليهم السلام) من يتمتع بمقام الإمامة .

---

[1]) سورة النور: آية (٥٥) .
[2]) ينظر: الحائري، مقتنيات الدرر، ج ٧، ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ .
[3]) ينظر: تفسير الأمثل، ج ١، ص ٣٦٨ .

وهو منصب إلهي لقيادة البشرية، حيث يسعى الإمام إلى تنفيذ أحكام الله عملياً عن طريق إقامة حكومة إلهية وتولي زمام الأمور الضرورية، وإذا لم يتمكن من إقامة الدولة فإنه يسعى إلى تنفيذ الأحكام بقدر ما استطاع [١].

فهذا النوع من الإمامة يطلق عليه أسم ـ الإمامة الكبرى ـ : وهي استحقاق وتصرف عام في شؤون الناس، وهي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا وخلافة النبيّ محمد (صلَّى اللَّه عليه وآله) [٢].

وفي المقابل يوجد هناك ـ الإمامة الصغرى ـ " وهي كإمامة الصلاة، فهي ارتباط المصلي بمصل آخر بشروط بيّنها الشرع المقدس، فالإمام لم يصر إماما إلا إذا ربط المقتدي صلاته بصلاته ، وهذا الارتباط هو حقيقة الإمامة، وهو غاية الاقتداء" [٣].

فإن كلمة الإمام تطلق على من يؤم الناس في إقامة الصلاة، إلا أنه لا يستعمل في ذلك إلا مقيدا، فيعبر عنه بإمام الجمعة والجماعة، وأما إذا كان مطلقا غير مقيد، فإنه يستعمل بمعنى إمامة النبوة والرسالة، وإمام الوصاية والخلافة متبوع من قبل الناس في كل شيء، وهو لايتبع أحداً في أي شأن من شؤون الدين والدنيا في وقت إمامته [٤] .

وبناءاً على ذلك : فأن تعيين الحاكم في المجتمع الإسلامي على سيرة الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه وآله) وهي سنة الإمامة، دون الملوكية والامبراطورية والسير فيهم للمحافظة على الاحكام من دون تغيير، والتولي بالشورى في غير الاحكام من حوادث الوقت والمحل [٥] .

فالإمامة أصلها النبوة من خلال خاصيّة الكمال والمتابعة، وقوة السلوك، فهومتبع لموطئ أقدام مقامات النبي (صلى الله عليه وآله)، حتى أصبح إنساناً متكاملاً بجميع كمالاته، فيقوم

---

[١]) ينظر: الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج ١، ص ٣٧١ .
[٢]) ينظر: عبد المنعم : محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، مصر، د ـ ط ، د ـ ت ، ج١، ص ٢٨٢ .
[٣]) المصدر نفسه، ج١ ، ص ٢٨٢ .
[٤]) ينظر: مغنية ، تفسير الكاشف ، ج١، ص ١٩٧ .
[٥]) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ١٢٤ .

مقامه في الخلافة والولاية، فنورها مقتبس من مشكاة النبوة، مستفيد من أنوارها بغير واسطة ـ شيء خارج ـ فيوجب له الاستغناء من المرشد والمعلِّم، بل يفيض عليه الكمال الأعلى، والنور الأسنى، بسبب مقابلة نفسه لنفسه وشدة اتصالها بها، فينطبع فيها جميع الصور المنتقشة فيها من عالم الغيب، لكون نفسه نفسا قدسية كنفسه لشدة اتصالها بالعالم العلوي والمبدء الأعلى، وجمعها بين القوتين، إلَّا أنّ ذلك الاتصال لها مشروط باتصالها بمشكاة النبوة التي هي الطريق لها إلى الوصول إلى ذلك الاتصال [١] .

وعن منزلة الإمامة يتحدث الشيرازي ويبين؛ أن الإمامة مستمدة من التوحيد على حد تعبيره فيقول: "فإنّ لكلمة التوحيد فروعاً، أولها وأهمها التوحيد في الحاكمية والولاية والقيادة، ونحن نعلم أن الأئمة (عليهم السلام) يستمدون ولايتهم وزعامتهم من الله ـ تعالى ـ ، لا أنهم مستقلون بأنفسهم" [٢].

فمعنى الإمامة هي كون الإنسان الذي يقتدي به غيره، بأن يطبق أفعاله وأقواله على أفعاله وأقواله بنحو من التبعية، فهو خليفة يقضي بين الناس في مرافعاتهم بحكم الله، فله أن يأمر وينهي في أمور الدين والدنيا [٣] .

فالإمام هو "خليفة الرسول (صلى الله عليه وآله)، ويجب أنْ يكون مثله معصوماً من الخطأ والاثم، عالماً، قادراً على قيادة الأمة قيادة معنوية ومادية، والحفاظ على مبادي الاسلام الأصيلة وادامتها" [٤] .

---

[١]) ينظر: البروجردي: حسين بن محمد رضا (ت ١٢٧٧ هـ)، تفسير الصراط المستقيم، تح : غلام رضا بن علي أكبر مولانا البروجردي، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ، د ـ ط ، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م ، ج٣، ص ١٤١ .

[٢]) تفسير الأمثل، ج١٦، ص ٤٠ .

[٣]) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص ٢٧١ .

[٤]) الشيرازي: ناصر مكارم، دروس في العقائد الإسلامية، الناشر: مدرسه امام على بن ابى طالب ع ، قم ، ط٣ ،١٣٨٥ش ، ص ١٩٥ .

فالإمامة منصب إلهي يهبه الله تعالى، لمن استحق أن يكون بهذا المكان، فالإمام هو خليفة الرسول (صلى الله عليه وآله)، لقيادة البشرية في أمور الدين والدنيا، ويسعى إلى تطبيق أحكام الله تعالى في الأرض، والإمامة لاتكون ألا بالنص من قبل الله تعالى، وهذا المتفق عليه بين مفسري الإمامية قديماً وحديثاً .

ثالثاً : أدلة إثبات الإمامة عند مفسري الإمامية :

استدل مفسرو الإمامية بمجموعة من الأدلة النقلية والعقلية، على إثبات الإمامة، وسيكتفي البحث بإيراد دليلين، أحدهما نقلي، والآخرعقلي، لإثبات الإمامة .

١- الدليل النقلي : لعل أبرز ما استدل به مفسرو الإمامية، على إثبات الإمامة للأئمة الأطهار (عليهم السلام) إمامة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) فقد استنبطوا من هذه الآيات أدلة ذات قيمة عالية ، تثبت صحة مايعتقدون به، ومنها قوله تعالى: **﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾** [١] .

لقد وهب الله تعالى الإمامة لنبي الله إبراهيم (عليه السلام)، بعد خضوعة لمجموعة من الاختبارات والابتلاءات [٢] .

فالقرآن الكريم قد أجمل الكلمات ولم يفصح عنها، مع أنها هي وسيلة الابتلاء، ولكنه في الوقت نفسه أخبرنا عن إتمامها، من دون الإشارة، هل كان الإتمام من نبي الله إبراهيم(عليه السلام) أو من قبل الله ــ عزوجل ــ مع مايحتمله الضميرفي الكلمة، ولم يخبرنا عن كيفية هذا الإتمام، هل هو في وعي إبراهيم (عليه السّلام) للكلمة وحفظها في عقله في مقابل النسيان، أم في تجسيدها العملي في الواقع التطبيقي للحياة، لأن القضية لا تختلف باختلاف التفاصيل في ما يريد القرآن أن يفيض فيه، أو يفصح عنه من انطلاق العهد الإلهي من موقع الاختبار والكفاءة لا من موقع الاختيار التلقائي، فإن ذلك هو ما نحتاج أن نتعرفه، أمّا التفاصيل، فقد يحتاج

---

[١] سورة البقرة : آية (١٢٤) .
[٢] ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص ٢٦٧ .

المؤمنون الذين عاشوا في عهد إبراهيم أن يعرفوها لأنها تتصل بخطواتهم الفكرية والعملية في الحياة، ولا بد أن يكونوا قد عرفوها في ما دعاهم إليه من أحكام وتعاليم [١].

وبالنتيجة فالله تعالى لم يهبه الإمامة، إلا بعد أن ابتلاه واختبره، وقد ابتلي (عليه السلام) بمجموعة ابتلاءات في حياته لعل من أبرزها قضية ذبح ولده نبي الله إسماعيل(عليه السلام) [٢]، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾ [٣]، **إلى أن قال :**﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ** ﴾ [٤] .

وقوله تعالى: ﴿ **وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ**﴾، أي أن الله تعالى جاعل من ذريتي، فأمر الجعل فيه دلالة على المستقبل، وهذا الأمر يدل على معلومية اسماء الأئمة (عليهم السلام) [٥] .

فالإمامة هي : "جعل وعهد إلهي للدلالة على أن الإمام بحسب أهليته لهذه الكرامة في كماله وقيامه بمصلحة الناس على ما يقتضيه اللطف في صلاحهم وأهليته لانقيادهم اليه وهذا العهد الكريم من نحو الوصية والدلالة على التعيين ونظير ذلك قولهم ولي العهد" [٦] .

وبناءً على ذلك؛ فإن إبراهيم (عليه السلام) طلب من الله ــ تعالى ــ أن يجعل الإمامة في ذريته، وبما أن الإمامة هي بجعل من الله ـ عزوجل ـ ، إذاً احتاجت بحكم العقل إلى النص منه تعالى [٧] .

---

[١]) ينظر: فضل الله ، من وحي القرآن ، ج٣ ، ص ٩ ـ ١٠ .
[٢]) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ج١ ، ص ٢٦٨ .
[٣]) سورة الصافات : آية (١٠٢) .
[٤]) سورة الصافات : آية (١٠٦) .
[٥]) ينظر: البلاغي، الأء الرحمن ،ج١، ص ١٢٣، ينظر: السبزواري، مواهب الرحمن، ج٢، ص ١١.
[٦]) البلاغي ، الأء الرحمن ،ج١ ، ص ١٢٤ .
[٧]) ينظر: مغنية، تفسير الكاشف،ج١ ، ص ١٩٨ .

ولابد من التنويه إلى أن الإمامة التي طلبها إبراهيم (عليه السلام) لذريته، هي غير النبوة والرسالة اللتان كانتا بحوزته، فهو قد طلبها بعد أن رزقهُ الله تعالى الذرية بعدما بلغ مرحلة الشيخوخة، قال تعالى: ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ** ﴾ [1]، وقوله تعالى عن حكاية زوجه: ﴿**قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوز وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيب**﴾[2] .

فطلب إبراهيم (عليه السلام) لا يصح إلا لمن كان عنده ذرية، أما من كان آيساً من الذرية، فلايصح أن يطلب شيئاً لذريته [3] .

" ولو كان ذلك في أوائل حياته وقبل أن يرزق الذرية، لكان من الواجب أن يقول - ومن ذريتي إن رزقتني ذرية - وإلا لزم منه أن يخاطب الخليل (عليه السلام) ربّه الجليل بما لاعلم له به ، وهذا ما يتنزّه عنه مقام إبراهيم الخليل (عليه السلام) " [4] .

فالنبي إبراهيم (عليه السلام) مانال منصب النبوة والإمامة الاّ بقبول التوحيد، والأنقياد لحكمه تعالى، وطلب الإمامة لاولاده، فقال - سبحانه وتعالى - لاينال عهدي الظالمين، فهنا دلالة واضحة على أن منصب الإمامة والرياسة في الدين لايصل إلى الظالم [5] .

وأما من هم الظالمين؟ "فهو مطلق من صدر عنه ظلم ما، من شرك أو معصية، وان كان منه في برهة من عمره، ثم تاب وصلح " [6] .

وبناءً على ذلك؛ " فالناس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام: من كان ظالما في جميع عمره، ومن لم يكن ظالما في جميع عمره، ومن هو ظالم في أول عمره دون آخره، ومن هو بالعكس ، هذا وإبراهيم (عليه السلام) أجل شأنا من أن يسأل الإمامة للقسم الأول والرابع من

---

[1]) سورة إبراهيم : آية (٣٩).
[2]) سورة هود : آية (٧٢) .
[3]) ينظر: الحيدري ، العصمة بحث تحليلي في ضوء المنهج القرآني ، ص ٣٤ .
[4]) الحيدري ، مدخل إلى الإمامة ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .
[5]) ينظر: الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ظر: الحائري ، مقتنيات الدرر، ج١ ، ص ٢٩٧ .
[6]) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١ ، ص ٢٧٤ .

ذريته، فبقي قســـمان وقد نفى الله أحدهما، وهو الذي يكون ظالما في أول عمره دون آخره، فبقي الآخر، وهو الذي يكون غير ظالم في جميع عمره" [١] .

" والظالم يعم من ظلم نفسه بمخالفته للحق وكيف يليق من لا رادع له من كماله عن الظلم لنفســه أو لغيره لأن يعهد الله اليه بإمامة الناس وإصــلاح أمورهم وإرشــادهم" [٢]، بدلالة قوله تعالى: ﴿ **قُلۡ هَلۡ مِن شُـــرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ**﴾[٣] .

وقد جاء في الروايات الشريفة الواردة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، أن الذي يسجد لصنم أو يبعد وثناً، فإنه لايكون إماماً للناس، فعن ابن أبي منصور، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: « ...من عبد صنماً أو وثناً لايكون إماماً »[٤]، وقول الرسول (صلى الله عليه وآله) قال: «فانتهت الدعوة إلي وإلى أخي علي عليه السلام لم يسجد أحد منا لصنم قط فاتخذني الله نبيا وعليا وصيا » [٥] .

وكذلك روى زيد الشحام، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :« لا يكون السفيه إمام التقي » [٦]، وغيرها من الروايات الاخرى .

وبناءً على ماتقدم:" فيكون ذكرعبادة الصنم من باب النص على أحد المصاديق من موانع الإمامة وهي ما تنافي العصمة التي يدل العقل على اعتبارها في هذه الإمامة " [٧] .

---

[١]) الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج١، ص ٢٧٣ .
[٢]) البلاغي، الأء الرحمن، ج١، ص ١٢٤ .
[٣]) سورة يونس : آية (٣٥) .
[٤]) الكليني ، الكافي، ج١، ص ١٧٥، باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة، ح (١).
[٥]) المجلسي ، بحار الأنوار، ج٢٥ ، ص٢٠١، باب عصمتهم ولزوم عصمة الإمام (عليه السلام) ،ح (١٢).
[٦]) الكليني ، الكافي، ج١، ص ١٧٥، باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة ، ح (٢) .
[٧]) البلاغي، الأء الرحمن، ج١، ص ١٢٤ .

٢ـ الدليل العقلي :

من الأدلة العقلية التي استدل بها مفسرو الإمامية على إثبات الإمامة :

أ ــ دليل قاعدة اللطف :أن اللطف واجب على الله تعالى، وتنصيب الإمام وتكليفه بالإمامة، هو لطف واجب على الله تعالى، فالشـــيخ المفيد يعرف اللطف بإنه:" هو مايقرب المكلف معه من الطاعة، ويبعده عن المعصية " [١] .

أن رحيل النبي (صــلى الله عليه وآله) ترك فجوة كبيرة في مجالي العقيدة والشــريعة، وترك أيضاً نزاعاً في تعيين الإمام، ولطفه ـ سبحانه ـ يقتضي سد هذه الفراغات، بتنصيب من هو صـــنو النبي الأكرم (صـــلى الله عليه وآله) في علمه بالعقيدة والشـــريعة، وفي العدالة والعصـمة، والتدبير والحنكة، وحسـم مادة النزاع المشـتعل برحيل الرسـول (صـلى الله عليه وآله)، ولم شعث الأمة، وجمعهم على خط واحد[٢] .

لذا فقد اجمعت الإمامية على وجوب الإمامة عن طريق العقل، وقالوا أنها لطف من الله تعالى، واللطف واجب عليه .

"فالصـغرى: تتم من حيث أن المكلفين بحاجة إلى الصـلاح والكمال والتسـديد نحو الهدى والرشـــاد، وإلى من يبعدهم عن التناحر والتنافر، ويمتّن فيهم روح الطاعة لله تعالى وذلك ببث أحكامه، وتبليغ أوامره ونواهيه ليتم الدين لله وتكون له الحجّة البالغة على الناس .

أما الكبرى : فإن الإمامية أجمعت على وجوب اللطف عليه تعالى، واللطف هو ما يكون المكلف فيه أقرب إلى فعل الطاعة، وأبعد من فعل المعصـية، ولما كان تعالى قد أراد من عبده الطاعة وكره له المعصـــية، فإن عدله يقتضـــي توفر ما يهيّؤه لذلك فالإمام لطف يســتعين به

---

[١]) المفيد ، النكت الاعتقادية ، ص ٣٥ .

[٢])ينظر: السبحاني : جعفر، أضواء على عقائد الشيعة الإمامية ،الناشر :مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، قم ، ط١، ١٤٢١ هـ ، ص ٣٨٧ .

المكلف لمعرفة أحكام الله ليكون إلى الطاعة أقرب، ومن فعل المعصية أبعد وبهذا ثبت المطلوب " [1].

وختاماً ... وبعد استعراض أدلة مفسرو الإمامية في إثبات عقيدة الإمامة، يتضح للبحث أنهم خلقوا حالة من الممازجة بين الدليل النقلي، والدليل العقلي، للاستدلال على الإمامة في القرآن الكريم، فهم قد استعانوا بالروايات الشريفة لإثبات أن الإمام الذي يتم تنصيبه وتكليفه من قبل الله تعالى، هو الذي لايكون ظالماً لنفسه أو لغيره، ومن اشد أنواع الظلم هو السجود للأصنام والأوثان، فإبراهيم (عليه السلام)، قد طلب الإمامة لذريته، فجاءه الرد من قبل الله تعالى، أن الإمامة عهد و العهد لاينال الظالمين .

أما الدليل العقلي، فاستدلوا بقاعدة اللطف، وأنه واجب على الله تعالى تنصيب وتعيين، إمام يكون هو المتصدي لقيادة الأمة، حتى يبين لهم عقيدتهم، ويوضح شرع الله تعالى لهم .

[1] الحلو: محمد علي (ت ١٤٤٠ هـ) ،عقائد الإمامية برواية الصحاح الستة، الناشر: دار الكتب الاسلامي، ط١٤٢١،١هـ ، ص٢١ .

المبحث الثالث: عقيدة المعاد في القرآن الكريم عند مفسري الإمامية .

إن التذكير بيوم القيامة هو من الوسائل الفعالة في تهذيب النفس البشرية، وتربية الروح ، وله أعظم الأثر في ضبط الإنسان عند العثرات وحمايته من الوقوع في الهاوية ، لأنه إذا أحس الإنسان أن هناك يوماً يعود فيه إلى خالقه ، وأن هناك قدرة إلهية تحاسبه على كل كبيرة وصغيرة، فعليه أن يستعد لذلك اليوم ، قال تعالى : ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَال وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْب سَلِيم (٨٩)**﴾ [١] .

المطلب الأول : المعاد لغةً واصطلاحاً :

أولا : المعاد لغةً : هو رجوع الروح بعد مفارقتها للجسد في يوم القيامة [٢] . والمَعادُ : كل شيء إليه المصير، من عاد الشيءُ يعودُ عَوْداً ومَعاداً أي رجع ، وصار إليه [٣] .

والمعاد هو رجوع الناس إلى الله سبحانه لانه المنشىء والمعيد وهو الذي بدأ خلقهم ثم يعيدهم وإليه المصير [٤] .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰل مُّبِين** ﴾ [٥] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ [٦] .

---

[١] سورة الشعراء : الآيات (٨٨ ـ ٨٩) .
[٢] ينظر: أبن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ج٤، ص ١٨١ .
[٣] ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص ٣١٧ ، مادة (عاد) .
[٤] ينظر: أبن معصوم المدني: علي خان صدر الدين المدني الهاشمي الشيرازي (ت ١١٢٠ هـ) ، الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول ، تح : مؤسسه آل البيت لإحياء التراث (شعبه مشهد) ، الناشر : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث – مشهد ، د ـ ط ، ١٣٨٤ ش ، ج ٦ ، ص ١١٨ .
[٥] سورة القصص : آية (٨٥) .
[٦] سورة الروم : آية (٢٧) .

ثانياً : أما اصـطلاحا : المعاد هو " الذي يتقدمه وجوده، أي أعيد على الوجود الذي كان عليه" [١]، أما تعريف المظفر للمعاد فهو" إن الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود به عباده ، فيثيب المطيعين ويعذب العاصين " [٢] .

وأما تقسيماته فهو يقسم إلى جسماني وروحاني : فالجسماني هو" عبارة عن أن الله تعالى يعيد أبداننا بعد موتها ويرجعها إلى هيئتها الأولى" ، وأما الروحاني " عبارة عن بقاء الروح بعد مفارقة البدن سعيدة منعمة أومعذبة شقية بما اكتسبته في الدنيا " [٣] .

---

[١]) الشريف المرتضى : أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي (ت ٤٣٦ هـ) ، رسائل الشريف المرتضى ، تح : السيد أحمد الحسيني ــ السيد مهدي الرجائي ، الناشر : دار القرآن الكريم – قم ، د ـ ط ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

[٢]) المظفر : محمد رضا (ت ١٣٨٣ هـ) ، عقائد الإمامية ، تح : الدكتور حامد حفني داود ، الناشر : انتشارات أنصاريان - قم – ايران ، ص ١٢٦ .

[٣]) الزنجاني : إبراهيم الموسوي النجفي ، عقائد الإمامية الإثني عشرية ، الناشر : مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٣ ق ، ج ١ ، ص ٧٢ .

المطلب الثاني : المعاد عند مفسري الإمامية :

إن عقيدة المعاد هي أحد الأصول الاعتقادية الخمسة لدى الإمامية " وهو أصل إسلامي خطير وقد اتفق المسلمون جميعاً على الاعتقاد بأن الله يعيد الناس يوم القيامة ويضع الموازين القسط فلا يظلم أحد مثقال ذرة ووفيت كل نفس ما عملت فإما إلى النعيم الدائم وإما إلى العذاب المسقم " [١] ، وقد تناوله مفسرو الإمامية بصورة مفصلة في تفاسيرهم، فعبر عنه العلامة الطباطبائي بأنه " رجوع الإنسان بشخصه وعينه لا بمثله فإن مثل الشئ غيره، إن إثبات رجوع الأجساد والمخلوق منها ثانيا مثل المخلوق أولا وشخصية الشخص الإنساني بنفسه لا ببدنه فإذا خلق البدن ثانيا وتعلقت به النفس كان شخص الإنسان الدنيوي بعينه وإن كان البدن وهو جزء الإنسان بالقياس إلى البدن الدنيوي مثلا لا عينا وهذا كما أن شخصية الإنسان ووحدته محفوظة في الدنيا مدى عمره مع تغير البدن وتبدله بتغير أجزائه وتبدلها حالا بعد حال والبدن في الحال الثاني غيره في الحال الأول لكن الانسان باق في الحالين على وحدته الشخصية لبقاء نفسه بشخصها ، وهذا ما يسميه المتكلمون بالمعاد الجسماني والمعاد الروحي " [٢] وهي مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ (١٠) قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ** ﴾ [٣] أي إنكم مأخوذون من أبدانكم محفوظون لا تضلون ولا تفتقدون [٤] .

فالبعث يقابل كلمة المعاد لأنها عملية إحياء للموتى بربط تلك الأجسام بالأرواح .

إن مرحلة إحياء الموتى وأعادتهم للحياة مرة أخرى هو من الأمور التي أكد عليها القرآن الكريم في أكثر من مورد ، قال تعالى : ﴿ **وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ** ﴾[٥] ،فهذه العظام التي اختلطت مع التراب وتحولت إلى رميم تعود لتلبس الحياة من جديد، وتخرج من القبر بشراً سوياً، لتكون حاضرة في تلك المحاكمة والحساب في محكمة

---

[١]) الزنجاني ، عقائد الإمامية الإثني عشرية ، ج ٢ ، ص ١٠ .
[٢]) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ج ١٤ ، ص ٨٨ .
[٣]) سورة السجدة : الآيات (١٠ ـ ١١) .
[٤]) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ج ١٤ ، ص ٨٨ .
[٥]) سورة يس : آية (٥١) .

الإلهي العظيمة، وكما أنهم ماتوا بصـــيحة واحدة ، فبنفخة واحدة يبعثون أحياء من جديد، فلا يشـــكل موتهم عقبة أمام قدرة الله عزوجل على إحيائهم ، ولا حياتهم كذلك، تماماً مثل جمع الجنود في الجيوش، فبنفخة بوق واحدة ينهضـــون جميعا ويخرجون من خيمهم ، ويقفون في صف واحد، كذلك في مسألة إحياء الموتى وبعثهم إلى الله تعالى فهي بهذه البساطة والسرعة ، والتعبير في هذه الآية يشـير بوضـوح إلى أن للمعاد جانباً جسـمانياً بالإضـافة إلى الجانب الروحي، وأن الجسد يعاد بناؤه من جديد بالمواد السابقة نفسها [١] .

ومازال الكلام مسـتمراً في عقيدة المعاد عند مفسـري الإمامية ، وهذه المرة سـنقف عند البلاغي في تفســير قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ** ﴾ [٢] ، إن ذلك اليوم الموعود الذي ســيجمع الله فيه الناس هو يوم القيامة والحشــر وسيبعثهم الله تعالى من قبورهم للجزاء،وأنه لايوجد شك في ذلك اليوم الذي جعله الله سبحانه يوماً لإقامة القسط بين الخلائق ، وهو لايخلف الميعاد [٣] .

وقد وقع الكلام في وجوب المعاد بحق الله ســبحانه وتعالى ، فالعلماء في هذه المســألة فريقان منهم من يقول : " إنّ المعاد واجب على الله عقلا ، وفريق يقول : لا يجب شــيء عليه أصــلا . والقول الثاني ضــعيف جدّا وعلى القول بالوجوب قالوا : يجب أن يكون إله العالم رحيما عادلا منزّها عن الإيلام والإضرار إلَّا لمنافع أجلّ وأعظم منها ومن الواجب في حكمته وعدله سبحانه أن يأمرهم بما هو خير لهم وينهاهم عمّا يضرّهم فإنّه لو لم يمنع عن القبائح ولم يرغّب في الخيرات قدح ذلك في كونه محسـنا عادلا ومن المعلوم أنّ الترغيب في الطاعات لا يمكن إلَّا بربط الثواب بفعلها والزجر عن القبائح لا يمكن إلَّا بربط العقاب بفعلها ، وذلك الثواب المرغَّب فيه والعقاب المهدّد به غير حاصل في دار الدنيا فلا بدّ من دار أخرى يحصل هذا الثواب وهذا العقاب وهو المطلوب وهذا هو الدليل الأوّل " [٤] .

---

[١]) ينظر: الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ١٤، ص ٢٠٩ .
[٢]) سورة آل عمران : آية (٩) .
[٣]) ينظر: البلاغي، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٥٩ .
[٤]) الحائري، تفسير مقتنيات الدرر، ج ٥ ، ص ٢١٣ .

وما زلنا بصـدد الحديث عن المعاد ، حيث يقول الله عزوجل في محكم كتابه العزيز : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْم تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ** ﴾[1] ، فدلالة الآية واضـــحة على وجود القيامة لأنّه لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم لزم أن يكون إمّا غافلا عن ذلك المظلوم والظالم أو عاجزا عن الانتقام أو كان راضـيا ، والثلاثة محال على الله فامتنع أن لا ينتقم للمظلوم من الظالم ، ولمّا كان امتناع هذه الغفلة معلوما لا جرم عدم الانتقام كان محالا ، وهذا البيان تهديد للظالم وتعزية للمظلوم ولمّا ثبت الانتقام ثبت المعاد [2] .

وأمّا المعاد لأنّ الإنسان إذا تفكّر في نفسه يرى قواه صائرة إلى الزوال وأجزاءه مائلة إلى الانحلال فله فناء ضـــروريّ كأبيه وامّه فلو لم يكن له حياة أخرى لكان خلقه على هذا الوجه للفناء عبثا مع هذه المفاسد الَّتي باشرها الإنسان في هذه النشأة فلا بدّ وأن يكون له حياة أخرى وعود آخر للجزاء فثبت المعاد [3] .

فالمعاد هو الأجزاء التي منها ابتداء الخلق وهي الأعضـاء الأصـلية عندهم ، والله يحفظها ، ولا يجعلها جزءا لبدن آخر [4] .

إن الإنسـان لم يأت إلى هذا العالم للبقاء فيه ، وإنّما جاء إليه للسـير فيه إلى كماله الذي من أجله ﴿ **قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَـــىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾ [5]، وهو الكمال اللائق به ، وكمال الإنســان اللائق به إنّما يظهر في الدار الآخرة في المعاد ، وإلّا فهذه الدُّنيا ليســت دار الجزاء وإنّما هي دار العمل [6] .

من الموضـوعات المرتبطة بالمعاد أرتباطاً وثيقاً ومباشـراً ، هما النشـر والحشـر ، حيث يرادف النشور البعث في المعنى : نَشَر الميتُ يَنْشُر نُشُوراً إذا عاش بعد الموت ، وأَنْشَره الله

---

[1]) سورة إبراهيم : آية (٤٢) .
[2]) الحائري ، تفسير مقتنيات الدرر ، ج ٦ ، ص ١٢٤ .
[3]) المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص ٢٠٧ .
[4]) مغنية ، تفسير الكاشف ، ج ٧، ص ١٢٩ .
[5]) سورة طه : آية (٥٠) .
[6]) الحيدري: كمال، المعاد رؤية قرآنية ، تح : رزق خليل عبد الأمير، الناشـر: دار فراقد للطباعه و النشر، قم ، ط ١، د ـ ت ، ج١، ص ٣١٩ .

أَي أَحياه [١] . ويشير السبزواري إلى أن البعث يأتي بمعنى الإثارة والإرسال والتوجيه أي : " الإيجاد من العدم إلى عالم الدنيا " [٢]. والحشـــر : والمراد منه أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين لنقاش الحســاب وجزاء الأعمال ، ويبعث الناس من قبورهم ويســوقهم إلى الحشــر وهو يوم القيامة [٣] . قال تعالى : ﴿**وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدا** ﴾ [٤] .

وبناء على ما ســبق فإن البعث هو العودة إلى الشــيء، وهو ما يجب الإيمان به بالنســبة لعودة الأجســاد بعد الفناء في يوم القيامة ، وهذا ما وعد الله تعالى العباد على لســان الرســل والأنبياء قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ** ﴾ [٥] .

إن الإنســان يخرج من هذه الدنيا، وينتقل من دار الفناء والأعمال إلى دار البقاء والثواب، وهو القضــاء الإلهي لجميع البشــر، وعلى هذا الأســاس فإن النشــر والحشــر والمعاد هي ثلاثة موضــوعات تشــترك في أنها تتعلق بعالم الآخرة. فالنشــرعودة بعد الفناء، والحشــر جمع بعد تشتت، والمعاد إرجاع الروح إلى الجسد وعودتها مرة أخرى .

---

[١]) أبن منظور، لسان العرب ، ج٥ ، ص ٢٠٦ .

[٢]) السبزواري :عبد الأعلى (ت١٤١٤هـ)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، الناشر: دفتر سماحة آيت الله العظمى السبزوارى ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ ، ج١ ، ص ٢٤٨ .

[٣]) ينظر: الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج١٨ ، ص ١٨٨ ، ينظر: مغنية، تفسير الكاشف ، ج٥ ، ص ١٣٤ .

[٤]) سورة الكهف : آية (٤٧) .

[٥]) سورة يونس : آية (٤) .

المطلب الثالث :إثبات المعاد وكيفيته عند مفسري الإمامية :

نال موضوع إثبات المعاد أهتماماً بالغ من قبل المفسرين ، وسعوا إلى تثبيته سواء كان عن طريق الأدلة النقلية أو العقلية ، وكذلك بحثواعن كيفيته وكان لهم التاريخ الطويل في تفسير الآيات المتعلقة بإثبات المعاد وكيفيته .

أولا : إثبات المعاد عند مفسري الإمامية :

أثبت مفسرو الإمامية وعلى رأسهم الشيخ الطوسي عقيدة المعاد عن طريق الأماتة والإحياء، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ** ﴾ [١] ، والآية فيها دلالة واضحة على أن الله عزوجل سيجمع الناس ليوم لاريب فيه ولاشك وهو يوم القيامة ، وأنه سبحانه لايخلف وعده ووعيده في حساب الخلائق [٢] . فذلك اليوم هو يوم القيامة والحشر فيبعث الله سبحانه من في القبورللحساب ولكي يجازيهم على مافعلوه في عالم الدنيا [٣] .

إن الله سبحانه قادر على الحشر والبعث وأنّه لا بدّ من وقوعه لأنّ بتقدير أن لا يثبت ذلك كان الاشتغال بالطاعة والاحتراز عن المعصية عبثا ولغوا وإلى هذا الأصل إشارة بقوله ﴿ **هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ** ﴾[٤] لأنّه لمّا أحيا أوّلا ثبت كونه قادرا على الإحياء ثانيا [٥] .

وجاء في تفسير قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ** ﴾ [٦] ، فالآية الكريمة وضحت إنكارهم الصريح للحشروما يستتبعه

---

[١]) سورة آل عمران : آية (٩) .
[٢]) ينظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص ٤٠٢ .
[٣])ينظر: البلاغي، آلأ الرحمن في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٥٩ .
[٤]) سورة يونس : آية (٥٦) .
[٥]) الحائري، مقتنيات الدرر، ج ٥ ، ص ٣٥ .
[٦]) سورة الأنعام : الآيات (٢٩ ـ ٣٠) .

يوم القيامة من الاشـــهاد وأخذ الاعتراف بما أنكروه ، وكانوا ينكرون المعاد كما حكى الله سبحانه وتعالى ذلك في أكثر من موضع [١] .

وكانوا يقطعون بأن هذه الحياة لاتوجد حياة بعدها ، وأنهم غير مبعوثين بعد الممات ، فتأتي الآية القرآنية التي بعدها للجواب على ماكانوا يقطعون به فيقول ـــ سبحانه وتعالى ـــ : ﴿**وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ** ﴾ [٢] ، فأنهم سيصدقون بما جحدت به أنفسهم ، ويقرون ويعترفون بما أنكروه ﴿ **وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ** ﴾ [٣] إذ سيقفون على ربهم فيشاهدون بأعينهم ماكانوا ينكرونه في الحياة الدنيا ، وأنهم بعد الموت مبعوثون فيعترفون ويقرون بالحقيقة التي أخبرهم الله تعالى بها في الدنيا [٤] .

أما ماهي الحكمة من أعادة الموتى، فقد بين الله ســبحانه وتعالى ذلك في ســورة يونس المباركة ، قال تعالى : ﴿ **إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ** ﴾ [٥] لقد مكّن الله تعالى الإنســان على العمل ، وأعطاه العقل الذي يميزبه بين الخير والشر [٦] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ**﴾[٧] وقد شبه الله تعالى النشأة الثانية بالنشأة الأولى ، وكما تحققت هذه فستحقق ، فإنها ستتحقق حتماً تحقيقاً لوعده تعالى ، وليس ذلك على الله بعزيز ، فإن من خلق الكون قادر على استعادته بعد زواله وتشتت أجزائه [٨] قال تعالى :﴿**وهُوَ الَّذِي**

---

[١]) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٧، ص ٥٦ .
[٢]) سورة الأنعام : آية (٣٠) .
[٣]) سورة الأنعام : آية (٢٩) .
[٤]) ينظر: الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ،ج٧ ، ص ٥٧ .
[٥]) سورة يونس : آية (٤) .
[٦])ينظر: مغنية ، تفسير الكاشف ، ج٤ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .
[٧]) سورة الأنبياء : آية (١٠٤) .
[٨]) ينظر: مغنية ، تفسير الكاشف ، ج ٥ ، ص ٣٠٢ .

يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[1] . فزوال وجود الأشـــياء وانتهائها إلى أجلها ليس فناء لها وإبطالاً كما نتصـــوره ، بل هو رجوعاً إليه كما نزلت منه ، وما عند الله تعالى فهو أزلي فلم يكن إلا بسـطا ثم قبضـا فإن الله تعالى يبدأ الأشـياء برحمته ويردها إليه بقبضـها وهو المعاد الذي وعد الله سبحانه وتعالى به[2] .

ومن يشـكك في المعاد فلينظر إلى بدء الخلق ، فإن من خلق العالم في البدء يسـتطيع أن يعيده من جديد ، وهو الله عزوجل [3] .

ثم أن الغاية من المعاد هو من أجل مكافأة المؤمنين على جميع أعمالهم الصـــالحة فهي لا تخفى على الله عزوجل مهما كانت صـغيرة ليجازي الذين أمنوا وعملوالصـالحات بالقسـط ، وأما الذين اختاروا طريق الكفر والجحود، ولم يكن لهم عمل صالح - و الإيمان الصالح أساس العمل الصـــالح – فإن لهم عذاباً أليماً وكثير من العقوبات بانتظارهم وقد أعد الله تعالى لهم شراباً من حميم وعذاباً أليماً بما كفروا[4] .

وهناك دليل أخر لإثبات المعاد عند مفســـري الإمامية وهو دليل التفكر قال تعالى: **﴿ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابا وَعِظَـــــمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾**[5] وقد أوضحت الآيتين الكريمتين معنى لم يفهموه ، بل قالوا مثل ما قال آباؤهم الأولون، وقلدوهم في إنكار البعث، فقالوا: إذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا، فكيف نبعث واسـتوردوا هذه الشـبهة الفاسـدة من آبائهم الأولين، وعلى الرغم من أن قضـية المعاد هي من القضـايا التي تحدث بها الأنبياء (عليهم السلام) مع أقوامهم على مر العصـور ولكنهم ضـلوا مستمرين في عنادهم وأصـرارهم على تكذيب هذه الحقيقة ، لذا يقول الله عزوجل : **﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰـذَا مِن قَبْلُ إِنْ**

---

[1]) سورة الروم : آية (٢٧) .
[2]) ينظر: الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ١٠ ، ص ١١ .
[3]) ينظر: الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج ٦ ، ص ٢٩٧ .
[4]) ينظر: الشيرازي، تفسير الأمثل ، ج ٦ ، ص ٢٩٧ .
[5]) سورة المؤمنون : الآيات (٨١ ـ ٨٢) .

هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ هذا الأمر جاء منذ قديم الزمان عن جميع الأنبياء ثم لم يكن موجوداً بطول العهد ثمّ قالوا ليس هذا إلَّا ما كتبه الأوّلون وهو ليس له حقيقة [١] .

ومازال القرآن الكريم يدعوهم للتفكر والتأمل والتدبر في حقيقة المعاد من خلال الآيات المباركة ، قال تعالى : **﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾** [٢]

تهدف من هذه الآيات إلى تقديم دليل ضـــد أولئك الذين ينكرون الإعادة والرد عليهم ودحضـهم لأنهم كانوا من عبدة الأوثان وذلك لأنّهم كانوا مقرّين ومعترفين بوجود الله سبحانه ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يقولون : أننا نعبد الأصنام لتقرّبنا إلى الله زلفى فجادلهم الله بقوله : قل لمن الأرض ومن فيها **﴿ فسَـــيَقُولُونَ لِلَّه ﴾** [٣] ومن كان خالق الأرض ومن فيها وخالق حياتهم ويســـتطيع أن يميتهم ويفنيهم فإن عبادة من خلقك وأنعم عليك واجبة، دون عبادة ما لا ضرر فيه ولا نفع لكم . **﴿ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾** [٤] لتعلموا عدم جدوى وبطلان ما أنتم عليه .

فزاد في الحجّة فقال :**﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّـــماواتِ السَّـــبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** [٥] فوجه الدلالة في الآية واضح فإذا كان هوخالق السماوات والعرش وعظمتهما وهم يقرّون ويعترفون بأنّ الله خلقهما فلم لاتخافون عذابه وتتركون عبادة غيره [٦]

"اهتم الإســلام اهتماما بالغا بالدعائم الأولى للإســلام ، وإثباتها بشــتى الأســاليب ، وهذه الدعائم هي : الايمان بالله ، والرسول ، واليوم الآخر " [٧] .

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم التي جاءت تتحدث عن البعث والحشـر سيلاحظ أنها على أنواع من أجل إثبات المعاد ومنها :

---

[١]) ينظر: الحائري، مقتنيات الدرر ، ج ٧ ، ص ٢٩٦ .
[٢]) سورة المؤمنون : الآيات (٨٤ ـ ٨٥ ـ ٨٦) .
[٣]) سورة المؤمنون : آية (٨٥) .
[٤])سورة المؤمنون : آية (٨٥) .
[٥]) سورة المؤمنون : آية (٨٦) .
[٦]) ينظر: الحائري ،مقتنيات الدرر ، ج ٧ ، ص ٢٩٦ .
[٧]) ينظر: مغنية ، تفسير الكاشف ،ج ٢ ، ص ٣٦٩ .

١- هناك مجموعة من الآيات تحدثت ونقلت أخبار يوم القيامة [١] ، مثل قوله تعالى : ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ** ﴾ [٢] .

٢- وأخرى تحدثت على تأكيد وقوع القيامة بالقسم ونفي الشك فيه [٣] ، مثل قوله تعالى : ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا** ﴾ [٤] .

٣- الاستدلال بخلق النباتات ، مثل قوله تعالى : ﴿ **وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ** ﴾ [٥] .

٤ـــ الاستدلال بالخلق الأول للإنسان [٦] ، مثل قوله تعالى : ﴿ **أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا**﴾ [٧] .

فالله سبحانه هو مصدر كل رحمة، وهو الذي فرض على نفسه الرحمة، وفاض على الجميع بنعمه وكرمه وكتب على نفسه الرحمة فهل يمكن لإله بهذه الطبيعة أن يقطع سلسلة حياة الإنسان بالموت تمامًا ويوقف تكامل الحياة واستمرارها [٨] .

ومن أدلة وجود المعاد هو دليل يرتبط بالإنسان نفسه وهو مايعبر عنه محكمة الوجدان لدى الإنسان التي توجد في داخله ، الذي ينشط ويسعد عندما يشرع في إنجاز عمل صالح ، وبهذه الطريقة تثبت صاحبها وتكافئه ، وعندما يقوم بارتكاب الأعمال السيئة وغير الموافقة للشرع

---

[١]) ينظر: مغنية ، تفسير الكاشف ، ج٢ ، ص ٣٩٦ .
[٢]) سورة إبراهيم : آية (٤٨) .
[٣]) ينظر:مغنية ، تفسير الكاشف ، ج٢ ، ص ٣٩٦ .
[٤]) سورة النساء : آية (٨٧) .
[٥]) سورة فاطر : آية (٩) .
[٦]) ينظر: مغنية ، تفسير الكاشف ، ج٢ ، ص ٣٩٦ .
[٧]) سورة الأسراء : آية (٥١) .
[٨]) ينظر: الشيرازي، تفسير الأمثل ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ .

فإنه سوف يقوم بتقريع نفسه ويشعر بتأنيب الضمير وتبدأ نفسه تؤنبه وتعذبه إلى حد أنه قد يصل إلى التفكير بالانتحار لكي يتخلص من مايمر به من عذاب الضمير [١] .

يقدم القرآن الكريم فكرة إعادة الله للخلق كعقيدة من عقائدهم التي يفرض الاستسلام لها ، مع أنهم لا يعتقدون بالمعاد ، كما تحدّث القرآن في أكثر من مرة ، وربما كان الجواب عن ذلك ، أن هذا الأسلوب القرآني لا يريد استنطاقهم في الجواب من خلال السؤال بشكل فعلي ، بل أراد منهم أن يقروا بالحقيقة العقدية بطريقة إيحائية ، للإيحاء بأن باستطاعة أي إنسان أن يوجه إليه هذا السؤال ، فلا بد له من أن يجيب بهذا الجواب ، الفطرة تفرض عليه ذلك ، باعتبار ارتباطها بالحقيقة وارتباط الحقيقة بها من أقرب طريق ، وهذا أسلوب درج عليه القرآن في أكثر من موضع [٢] .

إن المؤمنين قد أثبتوا البعث بكل جزئياته التي وعدهم الله بها وبينها لهم كما وعدهم ، وأما الكفار فإنهم ينكرون أصل البعث الذي اشترك في الوعد به المؤمنون والكفار جميعا، ولذلك احتج الله سبحانه حتى تتم الحجة عليهم بأصله [٣] .

فيقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَآ ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ [٤] .

فبعث الأموات مرة أخرى وإعادتهم للحساب والجزاء قد نزل به الوحي ، ولا يأباه العقل فوجب عليهم التصديق والايمان به [٥] .

فالذي يملك القدرة على الإيجاد في المرة الأولى قادر على إعادته في المرة الثانية، فالقدرة على فعل شئ ما هي بالنتيجة قدرة على فعل مثله أيضاً .

---

[١]) ينظر: الشيرازي، تفسير الأمثل ، ج١٩ ، ص ٢٠٢ .
[٢]) فضل الله ، من وحي القرآن، ج ١١ ، ص ٣٠٧ .
[٣]) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ج ٨ ، ص ١١٨ .
[٤]) سورة الأحقاف : آية (٣٤) .
[٥])ينظر: مغنية ، تفسير الكاشف ، ج ٤ ، ص ١٣٢ .

إن الإنسان يشاهد كيف تحيا الأرض وتنمو النباتات ، وتخرج الدجاجة من البيضة، والطفل من النطفة ، فمن يستطيع فعل هذا الأمر هو قادر على أن يفعله مرة أخرى، وهو دليل من التجربة والمشاهدة العينية للإنسان كيف أن الله سبحانه يحيي الموتى أيضاً [١] .

وقد ثبت صدق المعاد ومسألة القبر والجنّة والنار والصراط والميزان عن طريق المخبر بذلك، وهو النبي (صلَّى الله عليه وآله)، وكلُّ ما جاء به النبيّ (صلَّى الله عليه وآله) من نبوّة الأنبياء السابقين على نبيّنا (صلى الله عليه وآله)، ومن تكليف المكلَّفين، ومن الحشر والنشر والجنّة والنار، وما أعدّ الله لهم من الثواب والعقاب والطعام والشراب [٢] .

ثانياً : كيفية المعاد عند مفسري الإمامية :

تناول علماء الإمامية ومفسروهم كيفية المعاد، ووقفوا عنده طويلاً بصورة تفصيلية ، كونه من أهم العقائد المهمة لديهم ، ولهم فيه ثلاثة أراء .

الرأي الأول : المعاد الجسماني على إجماله هو رجوع الإنسان في يوم البعث والنشور ببدنه بعد الموت ، وإرجاعه إلى صورته الأولى بعد أن يصبح رميماً [٣] .

---

[١]) ينظر: الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج ١٢ ، ص ٣٥٧ .

[٢]) ينظر: الشهيد الأول: محمد بن مكي العاملي (ت ٧٨٦ هـ)، غاية المراد في شرح نكت الارشاد، تح : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية: رضا المختاري، علي أكبر زماني نژاد، علي المختاري ، السيد أبو الحسن المطلبي ، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، قم ، د ـ ط ، ١٤١٤هـ ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

[٣]) ينظر: المظفر، عقائد الإمامية ، ص ١٢٧ .

الرأي الثاني: أن يكون المعاد بالأرواح دون الأبدان وهو مايسمى بالمعاد الروحاني [١] .فاليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسمانيّ ويميلون إلى البعث الرّوحانيّ [٢] . لأنهم يعتقدون أن الأرواح أبدية غير فانية [٣] .

الرأي الثالث : وقد توسط مفسرو الإمامية هذه الأراء بحسب مانقل السبحاني : " أنّ المعاد جسماني وروحاني ، لأنّ النفس وإنْ كانت مجرّدة إلّا أنّ تجرّدها ليس تامّاً حتى يستحيل تعلّقها بالمادة من جديد " [٤] .

وبناءً على ذلك ؛ فإن سعادة الأرواح تتحقق في معرفة الله تعالى ومحبته ، وأن سعادة الأجساد في إدراك الأشياء المحسوسة ، والجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحياة غير ممكن [٥] . لأنه يكون منغمساً في تجلي أنوار عالم القدس لايستطيع أن ينتبه إلى أي من اللذات الجسدية ، ومع استغراقه في تحقيق هذه اللذات الجسدية فأنه لا ينتبه إلى اللذات الروحانية ، لأن هذا الجمع غير ممكن لأن نفوس البشر ضعيفة في عالم الدنيا ، فإذا مات استمد من عالم القداسة والطهارة وقوي وأصبح قادراً على الجمع بين الأمرين [٦] .

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الخلق على ثلاثة أصناف كما أشار إلى ذلك الحائري : "صنف منها الملك الروحانيّ العلويّ اللطيف النورانيّ وجعل غذاءهم من جنسهم الذكر وخلقهم للعبادة ولا يعصون اللّه طرفة عين أبدا ، وصنف منها الحيوان الجسمانيّ السفليّ الكثيف الظلمانيّ وجعل غذاءهم من جنسهم الطعام وخلقهم للعبرة والخدمة كالبقر والغنم وأمثالها ، وصنف منها الإنسان المركّب من الملكيّ الروحانيّ والحيوانيّ الجسمانيّ جعل غذاءهم من جنسهم وجعل لروحانيّتهم الذكر ولجسمانيّتهم الطعام وخلقهم للمعرفة والعبادة والخلافة " [٧] .

---

[١] ينظر: شبر: عبدالله (ت ١٢٢٠ هـ)، حق اليقين في معرفة أصول الدين، الناشر: أنوار الهدى ، قم ، ط ٢، ١٤٢٤ هـ ، ص ١٣٣ .
[٢] ينظر: الحائري، مقتنيات الدرر، ج ٥ ، ص ١٢٧ .
[٣] ينظر: السبزواري ، مواهب الرحمن ، ج ٥ ، ص ١٠٣ .
[٤] مفاهيم القرآن، ج ٨ ، ص ٧٧ .
[٥] ينظر: شبر، حق اليقين في معرفة أصول الدين ، ص ٣٤٠ .
[٦] ينظر: المصدر نفسه ، ص ٣٤٠ .
[٧] الحائري، مقتنيات الدرر ،ج ٢، ص ٢٣٧ .

إنّ مصدر الأعادة هو الروح والجسد مع بعضهما بالقالب الدنيوي نفسه, وهذا النوع من المعاد هو الحقّ ، وهو الذي عليه علماء الإمامية .

إذ جاء في الكتاب الحكيم : ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾ [١] ، وقوله ـ عزوجل ـ في آية أخرى من السورة نفسها ﴿ **وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ** ﴾[٢] . والمعروف أن الذي في القبور هي الأجساد التي يخرجها الله تعالى من قبورها ، وليست الأرواح فالأرواح موجودة في عالم البرزخ ، لذا يبعث الله تلك الأجساد لتلتحق مع أرواحها ، وبهذا يتحقق المعاد الذي وعد الله تعالى به .

وهذا هو المحكي في قصة نبي إبراهيم (عليه السلام) فيما يخص إعادة الموتى ، إذ ؛ قال تعالى ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [٣] .

وكذلك هذا المضمون قد ورد في كلمات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة " أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ وأَوْكَارِ الطُّيُورِ وأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ ومَطَارِحِ الْمَهَالِكِ سِرَاعاً إِلَى أَمْرِه مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِه " [٤] .

أما الشهداء فإنهم أحياء في حياة البرزخ يتنعمون ، فإذا بعثهم الله وحشرهم ، كان نعيمه وعذابه على مثل ما كان عليه في الدنيا في روحه الإنسانيّ والحيوانيّ والجسميّ ، من جميع أجزائه الدنيويّ ، من لحم وشحم وعظم ، وكل ما في جسده في الدنيا. [٥] .

إن تلك المادة التي تلاشت وانتهت ستلتقي مرة أخرى وتنصهر مع روحها ، وفي موضوع المعاد ورجوع الإنسان أثبتنا أن روح الإنسان بعد أن تتخذ قالباً معينا لا يمكن لها أن تتعايش

---

[١]) سورة يس : آية (٧٩) .
[٢]) سورة يس : آية (٥١) .
[٣]) سورة البقرة : آية (٢٦٠) .
[٤]) الشريف الرضي، نهج البلاغة ، الخطبة ٨٣ ، ص ١٠٨ .
[٥]) ينظر: الحائري، مقتنيات الدرر، ج ١، ص ٣٤٠ .

مع غير الجسد الأصلي لها ، الذي تربت وعاشت بكنفه. وهذا هو السر والحكمة في البعث الروحي والجسدي معاً، أي إن الروح ستجتمع مع المادة الأولى نفسها [1] .

خلاصة القول : إن الأعادة الجسدية، لا مفر منها والإذعان لها وقبولها ، فللجسد عالمه الخاص من الراحة أو التعب ، وللروح كذلك عالمها الخاص من اللذائذ والألم ، فالإنسان الذي ركب من الملكي الروحاني والحيواني الجسماني جعل غذاءهم من جنسهم وجعل لروحانيتهم الذكر ولجسمانيتهم الطعام والشراب وخلقهم لكي يتغذوا بالمعرفة ويعبدوا الله سبحانه وخلافته في الأرض إذ هناك فرق شاسع بين لذة الروح في عالم الملكوت ولذة الجسد المنجر إلى عالم الطين، ولا بد من موقف تقف فيه الروح والجسد مع بعضهما على حقيقة أمرهما فالبعث بالجسماني والروحاني معاً موقف يكشف الغطاء عن البدن والروح من ثواب أو عقاب أو راحة أو تعب .

ووفقا لذلك " تعتقد الإمامية أن الله سبحانه يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء، ومعاد الانسان هو الشخص بعينه وبجسده وروحه بحيث لو رأه الرائي لقال : هذا فلان، ولا يجب أن تعرف كيف تكون الإعادة ، وهل هي من قبيل إعادة المعدوم ، أو ظهور الموجود " [2] . وسنسلط الضوء على مسألة الرجعة لأنها تتعلق بمسألة الإعادة عند مفسري الإمامية .

[1]) ينظر: الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج٩ ، ص ١٥٧ .
[2]) كاشف الغطاء ، أصل الشيعة واصولها ، ص ٢٣٢ .

المطلب الرابع : الرجعة عند مفسري الإمامية :

إن الإشارة إلى الرجعة وتفسيرها مهمة لإنها قضية محورية في العقيدة الإمامية، وتختلف آراء المفسرين والعلماء في تفسير هذه العقيدة وتطبيقاتها العملية لذا ؛ قد تجد تباينًا في وجهات النظروالتفسيرات بين المفسرين بخصوص مسألة الرجعة .

الرجعة لغةً واصطلاحاً :

أولاً : الرجعة لغة : وهي " مأخوذة من الرجوع ، وهو الإعادة ، والرجعة : هي العود إلى الدنيا بعد الممات " [١] .

ثانياً : أما اصطلاحاً : " فإن الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي (عليه السلام) قوماً ممن كان قد تقدم موته من شيعته ، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته ، ويعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم ، فليتأذوا بما يشاهدون من ظهور الحق وعلو كلمة أهله **"** [٢] .

والرجعة هي : " بمعنى رجوع الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) وعودة ثلة من المؤمنين وغيرهم إلى عالم الدنيا بعد قيام دولة الإمام المنتظر (عليه السلام)، وقد فسرها بعضهم برجوع دولة الحق لا بعودة الأموات إلى الدنيا وهو تفسيرلا يقول به مشهور مفسري ومتكلمي الإمامية " [٣] .

وقد تناول مفسرو الإمامية مسألة الرجعة في تفاسيرهم ، فالعلامة الطباطبائي يرى أن يوم الرجعة، هو من مراتب يوم القيامة، حتى لو بدا أقل منه لامكان وقوع الشر والفساد فيه في الجملة دون يوم القيامة [٤] .

---

[١]) الراغب الأصفهاني ، مفردات غريب القرآن ، ص ١٨٨ .
[٢]) الشريف المرتضى ، رسائل المرتضى ، ج١ ، ص ١٢٥ .
[٣]) ينظر: الطبسي : نجم الدين ، الرجعة في أحاديث الفريقين ، د ـ ط ، د ـ ت ، ص ٧ .
[٤]) ينظر: الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج٢ ، ص ١٠٩ .

أما الشيخ مكارم الشيرازي فيعبر عن الرجعة فيقول : فبعد أن تشرق الأرض بنور وجهه المبارك وظهوره (عليه السلام) وبين يدي القيامة ، يعود إلى عالم الدنيا ، طائفتان من الناس ،الطائفة الأولى تصعد في مراتب الكمال وهم المؤمنون الصادقون الخلص، وأما الطائفة الثانية فإنها تنال عقابها الشديد وهم الكفار الأشرار [١] .

إن مبدأ الرجعة هو من الأمور التي أقرها القرآن الكريم من خلال آياته المباركة ، لذلك وظف مفسرو الإمامية هذه الأيات واستدلوا بها على إثبات الرجعة ، قال تعالى : ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ** ﴾ [٢] ، واستدل به الإمامية على صحة معتقدهم بالرجعة في الدنيا ، لأنه قال : من كل أمة ، وهي للتبعيض فدل ذلك على أن هناك يوما يحشر فيه جماعة دون أخرى ، وذلك لأن يوم القيامة يحشر فيه الناس جميعاً ، كما قال عزوجل : ﴿ **وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدا** ﴾ [٣] [٤] .

فهذه الآية استدل بها الإماميّة على صحّة الرجعة وذكروا : إنّ دخول ـــ من ـــ في الكلام يوجب التبعيض فدلّ ذلك على أنّ اليوم المشار إليه في الآية يحشر فيه ناس دون أخرين وليس ذلك من صفات يوم القيامة الَّذي يعبر عنه سبحانه : ﴿ **وحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً**﴾[٥] وقد تواردت الأحاديث عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) أنّ الله تعالى سيرجع عند قيام الإمام المهديّ جماعة ممّن تقدّم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ويفرحوا بظهور دولته ، ويرجع جماعة من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقّونه من العقاب على أيدي أتباعه ، ويرون الذلّ والخزي بما يشاهدون من علوّ كلمته ، ولا يشكّ عاقل أنّ هذا الأمر مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه وقد فعل الله مثل ذلك في الأمم السابقة ونطق به القرآن الكريم في الكثير من المواضع مثل قصّة عزير وغيرها [٦] .

---

[١]) ينظر: الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج ١٢ ، ص ١٤١ .
[٢]) سورة النمل : آية (٨٣) .
[٣]) سورة الكهف : آية (٤٧) .
[٤]) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ، ج ٨ ، ص ١٢٠ .
[٥]) سورة الكهف : آية (٨٣) .
[٦]) ينظر: الحائري، مقتنيات الدرر ، ج٨ ، ص ١١٤ .

فالظاهر من الآية المباركة يدل على أن هذا الحشـــر هو في غير يوم القيامة ، وذلك لأنه حشر للبعض دون بعضهم الآخر من كل أمة لا كلهم .

وقد عبر الله تعالى عن صـفة الحشـر الذي يقع في يوم القيامة: ﴿ **وَحَشَـرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً**﴾ [١] [٢] .

إن في الأمم مصدقين بآيات الله ومكذبين بها ، والله سبحانه يحشر غدا للحساب والجزاء جميع المكذبين دون اسـتثناء ، ومعلوم ان الله سـبحانه يحشـر المصـدقين والمكذبين، ولكن الغرض من ذكر المكذبين التهديد والوعيد فَهُمْ يُوزَعُونَ تمنعهم الملائكة من الذهاب يمنة ويسرة، وتسوقهم إلى الموقف سوق النعاج إلى الذبح [٣] .

وقيل : المراد بهذا الحشـر هو الحشـر للعذاب بعد الحشـر الكلي الشـامل لجميع الخلق فهو حشر بعد حشر وفيه أنه لو كان المراد الحشر إلى العذاب لزم ذكر هذه الغاية دفعا للابهام [٤] مصـداقا لما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَـرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ** ﴾ ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[٥] .

وقد ذكرالشـيرازي مجموعة من الناس قد ثبتت لهم الرجعة ، نذكرها كأمثلة تطبيقية إذ ؛ وردت أمثلة الرجعة في الكتاب الحكيم ، ووقوعها في أماكن عدة في شـأن الأمم السـابقة نذكر منها :

الشـاهد الأول : يروي لنا القرآن الكريم قصـة النبي الذي مر بقرية خاوية على عروشـها ، وقد تعفنت عظام أهلها وتناثرت في كل مكان ، فجعل يتعجب ويقول : كيف يحيى الله هذه الأموات بعد موتها ؟ فأبقاه الله ميتاً مئة عام ، ثم أحياه ، فقال له : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوماً أو جزء من يوم قال : لا بل لبثت مئة عام ، ومؤدى هذه الآية المباركة من سـورة البقرة ،

---

[١]) سورة الكهف : آية (٨٣) .
[٢]) ينظر: الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ١٥ ، ص ٣٩٧ .
[٣]) مغنية ، تفسير الكاشف ، ج ٦ ، ص ٤٠ .
[٤]) الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ١٥ ، ص ٣٩٧ .
[٥]) سورة فصلت : الآيات (١٩ ـ ٢٠) .

وســـواء كان هذا النبي عزيرا أو غيره ، فلا يوجد فرق في ذلك ، والأهم من ذلك أن القرآن العظيم صرح بحياته بعد موته في هذه الدنيا فأماته الله مئة عام ثم أعاده مرة أخرى .

الشاهد الثاني : القرآن الكريم في الآية (٢٤٣) من سورة البقرة نفسها يتحدث عن مجموعة أخرى من الناس تركوا ديارها خوفا من الموت واتخذوا من مرض الطاعون ، ذريعة لعدم الذهاب إلى ســـاحات القتال ، فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم ، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾[١] .ومع أن بعض المفسرين لم يحتملوا وقوع مثل هذه الحادثة ، واعتبروها مجرد مثال لاغير ، إلا أنه من الواضـــح أن مثل هذه التأويلات فيما يتعلق بظاهر الآية – أو حتى وضوحها - لا يمكن أن تكون كذلك [٢] .

الشاهد الثالث : ونطالع في الكتاب الحكيم معاجز للنبي عيسى (عليه السلام) ،قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى** ﴾ [٣] ، ويشـــير هذا التعبير إلى أن المســـيح (عليه الســـلام) قام بإحياء الموتى على نحو فعلي ، والتعبير بالفعل المضـــارع (تخرج) في دلالة واضـــحة أنه (عليه السلام) قد أحيا الموتى مراراً ، وهذا الإحياء بنفسه يعد شكلاً من أشكال الرجعة لبعض الناس .

الشـــاهد الرابع : وأما الآيتان (٧٢) و(٧٣) من ســـورة البقرة ، فذكرت أن رجلاً من بني أســـرائيل قتل ، فنشـــأت جدالات وخلافات حول القاتل ، وما أمرهم الله به من الأنعام ، فأمرهم بضـــرب القتيل ببعض البقرة التي وردت صـــفاتها في الآية (٧٢) إذ يقول ســـبحانه : ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًـــا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ** ﴾ [٤] ، فقال الله ســـبحانه وتعالى لهم اضربوه ببعضها فيبعث الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون [٥] .

---

[١]) سورة البقرة : آية (٢٤٣) .
[٢]) ينظر: الشيرازي، تفسير الأمثل ، ج١٢ ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .
[٣]) سورة المائدة : آية (١١٠) .
[٤]) سورة البقرة : آية (٧٢) . .
[٥]) ينظر: الشيرازي، تفسير الأمثل ، ج ١٢ ، ص ١٤٣ .

وبالإضافة إلى هذه الشواهد الأربعة التي ذكرناها، هناك شواهد أخرى في القرآن الكريم ، بما في ذلك قصة أصحاب الكهف، وهي شكل من أشكال الرجعة، وهناك أيضاً قصة الأربعة من الطير التي أمر إبراهيم أن يذبحها ويفرقها فأتينه سعيا بعد ذبحهن وتفريقهن على رأس كل جبل، ليعلم احتمال المعاد للناس ويكون مجسدا برجوع هذه الطيور الى الحياة ثانيةً .

وعلى أية حال، فكيف يمكن لشخص يؤمن بالقرآن االكريم، ويؤمن بأنه كتاب سماوي، وينكر هذه الآيات البينات في الرجعة ؟ والرجعة في الأساس ماهي إلا العودة إلى الحياة بعد الموت أليست الرجعة مثالاً مصغراً من القيامة في هذه الدنيا ،فكيف يمكن لمن يؤمن بالقيامة بمعناها الواسع ، كيف يمكنه أن لأيؤمن بمسألة الرجعة ويعترض عليها وينكرها، وما ذكرناه من أمثلة يثبت لنا إمكانية الرجعة [١] .

وأصل الرجعة ليست من مبتكرات علماء الإمامية ، وإنما هي مستمدة من مرويات أهل البيت (عليهم السلام) ، فقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) مايؤكد موضوع الرجعة : " ليس منا من لم يؤمن بكرّتنا ، ويستحل متعتنا " [٢] ، كرتنا أي رجعتنا .

وقد استدل الإمامية على صحة معتقدهم بالرجعة بالاعتماد على ما وصلهم من روايات جاءتهم من أئمتهم (عليهم السلام) ، وهذا ما أكده الإمام الرضا (عليه السلام) عندما سأله المأمون عن الرجعة ، فقال الإمام (عليه السلام) لهُ : " إنها لحق قد كانت في الأمم السالفة ونطق به القرآن وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة قال (عليه السلام) : إذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسى بن مريم (عليه السلام) فصلى خلفه وقال (عليه السلام) : إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قيل : يا رسول الله ثم يكون ماذا ؟ قال ثم يرجع الحق إلى أهله " [٣] .

---

[١]) ينظر: الشيرازي، تفسير الأمثل ، ج ١٢ ، ص ١٤٤ .

[٢]) الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، من لايحضره الفقيه، تح : علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ ، ج٣ ، ص ٤٥٨ .

[٣]) الصدوق ، عيون أخبار الرضا (ع)، ج٢، ص ٢١٨ .

فالهدف من الرجعة قبل قيام الساعة وبحسب ما يستفاد من روايات آل البيت (عليهم السلام)، من أن هذا الموضـــوع ليس محدد بالناس عامةً، بل يختص بمجموعة من المؤمنين الخلص الذين هم في مرتبة عالية من درجات الإيمان، والكفار والطغاة الظلمة الذين هم في درجات منحطة من الكفر والظلم، فيبدو أن الرجعة لهاتين الطائفتين للدنيا ثانية ، حتى تستطيع الطائفة الأولى من إكمال حلقتها التكاملية ، وأن تذوق الطائفة الثانية جزاءها نظيرماكانوا يفعلونه في عالم الدنيا [١]، ولذلك جاء في القرآن الكريم مايؤكد هذا المعنى ، قال تعالى : ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيِمَّة وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ** ﴾ [٢] .

وقد فسر الإمام الباقر (عليه السلام) كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) " على يدي تقوم الساعة " قال :" يعني الرجعة قبل القيامة ، ينصر الله بي وبذريتي المؤمنين " [٣] . ومما سبق يتبين أن الرجعة أمر واجب ، ومن لم يؤمن به فقد خرج عن الملة اســـتناداً لحديث الإمام الصادق (عليه السلام) : " ليس منا من لم يؤمن بكرتنا ، ويستحل متعتنا " [٤] .

ولأهمية موضـــوع الرجعة إذ ؛ أنها تمثل ســـير النظام الدنيوي متوجه إلى يوم تظهر فيه آيات الله كل الظهور، فلا يعصـا فيه سبحانه وتعالى بل يعبد عباده خالصـة، لا يشـوبها هوى نفس، ولا يعتريه اغواء الشـيطان، ويعود فيه بعض الأموات من أولياء الله تعالى وأعدائه إلى الدنيا ، ويفصل الحق من الباطل [٥] .

---

[١]) ينظر: الشيرازي ، تفسير الأمثل ، ج١٢ ، ص ١٢٥ .
[٢]) سورة القصص : آية (٥) .
[٣]) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٢٠ ، ح (١٥٣) .
[٤]) الصدوق، من لايحضره الفقيه ، ج ٣ ، ص ٤٥٨ .
[٥]) الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .

الخَاتِمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقد خلص البحث إلى أهم النتائج التالية :

١- إن المنهج الذي يمكن اعتماده في إثبات العقيدة ، هو المنهج الأستدلالي ، أي أن المناهج القرآنية قائمة على إقامة الأدلة سواء كانت، فطرية قلبية أو عقلية ، أو مبنية على أساس التجربة كالقصص القرآني .

٢- من المناهج التي أكد عليها القرآن الكريم المنهج الفطري، فنجده في مرات متعددة يدعو تلك الفطرة السليمة التي أودعها الله تعالى لدى الإنسان إلى الإيمان وترك طريق الضلاله . وأيضاً من المناهج الأخرى المنهج العقلي بمعنى التنبيه على ما يؤدي إليه العقل ، فنراه سبحانه وتعالى يدعو الإنسان إلى التدبر والتفكر بآيات الله تعالى في الخلق ، ثم يسألهم من خلق هذه الأشياء بهذه الدقة اللامتناهية ، فهذه العظمة في الخلق أليست دليلاً على جود صانع ومدبر .

أما المنهج القصصي فهو من المناهج التي ذكرها الله في محكم كتابه العزيز، وحذرهم من خلالها ، في أنهم لو بقوا مستمرين على العصيان وعدم الطاعة، فأنّه سيحل بهم العذاب، كما حصل لقوم نوح وإبراهيم (عليهم السلام) .

فالله تعالى كما يذكر الأقوام السيئة التي لم تذعن له ولا لربوبيته من خلال القصة في القرآن ، فأنه تعالى يذكر بعض المؤمنين الذين آمنوا وتركوا زينة الحياة الدنيا من أجل رضاه سبحانه وعدم معصيته وهذه الثلة الطيبة قد ذكرها القرآن الكريم وهم أصحاب الكهف ، ليكونوا القدوة الحسنة للمؤمنين الذين يريدون السير على خطاهم .

٣ ـــ إن النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، هو المفسر الأول للقرآن ، بعد القرآن نفسه ، أما النزاع الحاصل حول مسألة أن النبي (صلى الله عليه وآله) فسر القرآن الكريم أو لم يفسره ، فالظاهر أنّه (صلى الله عليه وآله) فسر من القرآن مايصعب عليهم فهمه، وأما مايفهموه من القرآن فلم يفسره لهم .

وكذلك اهتمام أهل البيت (عليهم السلام) بتوضيح القرآن الكريم وتبينه وتفسيره، وكذلك توجيه أتباعهم وشيعتهم وحثهم على تدبر وسوره وآياته .

٤ـــ إن الاعتقادات لا تثبت بخبر الآحاد ، لذا كل الأحاديث والروايات التي تكون خبراً واحداً فهي ليست حجة في إثبات العقيدة عند مفسرو الإمامية .

٥- إن علم الكلام ونشأتهُ كانت على يد أصحاب الأئمة (عليهم السلام) وبتوجيه منهم (عليهم السلام)، بخلاف المتعارف عليه أن نشأته كانت على يد (واصل بن عطاء) ، فعند الرجوع إلى مناظرات أصحابهم مع أصحاب الأفكار والتيارات على مر العصور، ندرك أنهم كانوا السابقين إلى الخوض فيه .

٦- حث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أصحابهم على الاهتمام بمسألة الاعتقاد، كون أن مسألة العقيدة هي مقدمة على كل المسائل الأخرى ومنها العبادية، فكما ورد عنهم (عليهم السلام) إن أول الدين هو معرفة الله تعالى .

٧- إن منهج مفسري الشيعة الإمامية في تقرير المسائل العقائدية وإثباتها، يعتمد بالدرجة الأولى على المنهج العقلي، وفي بعض الأحيان يستعينون بمنهج تفسير القرآن بالقرآن، وكذلك الأحاديث والروايات الشريفة للاستدلال على صحة عقائدهم، وبطلان العقائد المنحرفة .

٨ـــ لقد استطاع مفسرو الإمامية من إثبات الإلوهية لله تعالى عن طريق المنهج العقلي بأدلته ومن هذه الأدلة دليل التمانع ، وهو استحالة أن يكون مع الله تعالى إله آخر يشاركه في ملكه أو حكمه أو سلطانه ، وكذلك أثبتوا صفاته الثبوتية الذاتية عن طريق المنهج العقلي، بأنه لايمكن لله تعالى أن يكون جاهلاً أو غير قادر أو يعترضه الموت .

٩- استطاع مفسرو الإمامية من إثبات عقيدة البداء ، عن طريق الروايات الواردة عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، فهذه العقيدة بالتحديد هي محل خلاف وجدال بينهم ، وبين من يخالفهم في إثباتها .

١٠- أثبت مفسرو الإمامية عصمة الأنبياء (عليهم السلام) عن طريق العقل، وأنه كيف لله تعالى أن يختار نبياً يرتكب الذنوب والمعاصي، ويجعله قدوة، ويطلب من عباده الاستماع له ، وإطاعة أوامره، فهذا خلاف العقل والعدل، وكذلك أثبتوا أن جميع الأنبياء (عليهم السلام) منزهون عن ارتكاب الذنوب والمعاصي من وقت ولادتهم حتى وفاتهم .

١١- أما ما يخص معصـية آدم (عليه السـلام)، فإنها لم تكن معصـية بالمعنى المتعارف عليه، وإنما كانت هي مخالفة لأمر إرشـادي وليس لأمر مولوي، فالتكليفات المولوية لم تكن موجودة ،عندما خلق آدم (عليه السلا م) .

١٢- إن مسـألة المعاد هي من المسـائل المهمة التي اهتم بها مفسـري الإمامية اهتماما خاصـاً ، فقد اسـتدلوا عليه من خلال مناهج عدّة ومنها، منهج تفسـير القرآن بالقرآن، وكذلك عن طريق المنهج العقلي، وأيضـاً عن طريق منهج المشـاهدة والتجربة، فالقرآن الكريم يقدم لهم مجموعة من الآدلة العقلية والحسـية، ومن خلال مايشـاهدونه من إحياء لبعض الأشـياء الحية، كمثل الأرض الميتة التي يحييها الله تعالى بأمره، وكذلك من خلال بعض القصـص التي يقصـها القرآن الكريم في إحياء بعض الأموات، وإعادتهم للحياة مرة ثانية .

١٣- أثبت مفسـرو الإمامية، أن المعاد والبعث والحسـاب يكون للروح والجسـد معاً، بخلاف بعض أراء الفلاسفة ، الذين اختلفوا مع بقية المسلمين في هذه المسألة .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

_ أبن الأثير: مجدالدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ)

١ - النهاية في غريب الحديث والأثر ، تح : طاهر أحمد الزاوي ـــ محمود محمد الطناحي ، المكتبة العربية ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

_ الآمدي : سيف الدين (ت ٦٢٣ هـ) .

٢ - أبكار الأفكار في أصول الدين ، الناشر : دار الكتب ، القاهرة ، د ـ ط ، ١٤٢٣ ق .

_ آملي : جوادي .

٣- القصة في القرآن ، مجلة التوحيد ، ايران ، قم المقدسة ، العدد الثلاثون ، ١٣٦٦ هـ ـ ش .

_ الآملي : حيدر (ت ٧٩٤ هـ) .

٤- تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، تح : موسوي تبريزي محسن ، الناشر : نور على نور ، ايران ـ قم ، ط ٣ ، ١٤٢٢ هـ .

_ الأمين : محسن (ت ١٣٧١ هـ) .

٥- أعيان الشيعة ، تحقيق وأخراج : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .

_ البحراني : يوسف بن أحمد (ت ١١٨٦ هـ) .

٦- لولؤة البحرين في الأجازة لقرتي العين، تح : محمد صـــادق بحر العلوم ، الناشـــر : مكتبة فخراوي ، المنامة ـ البحرين ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م .

_ بدوي : عبد الرحمن .

٧- مناهج البحث العلمي ، وكالة المطبوعات الكويت ، ط ٣ ، ١٩٧٧ م .

_ البروجردي : حسين بن محمد رضا (ت ١٢٧٧ هـ) .

٨- تفسير الصراط المستقيم ، تح : غلام رضا بن علي أكبر مولانا البروجردي ، الناشر : مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ، د ـ ط ، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م .

_ البغا : مصطفى ديب ، مستو : محيي الدين ديب .

٩- الواضح في علوم القرآن ، الناشر : دار الكلم الطيب ـ دار العلوم الانسانية ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م .

_ البلاغي : محمد جواد (ت ١٣٥٢ هـ) .

١٠- آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، د ـ ط ، ١٩٣٣ م .

_ البنا : حسن .

١١- رسائل العقائد ، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، مطبعة المنار ، القاهرة ـ مصر ، د ـ ط ، د ـ ت .

_ البهبهاني : محمد باقر الوحيد (ت ١٢٠٥ هـ) .

١٢- حاشية الوافي ، الناشر : مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني ، قم ـ ايران ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ .

_ بيطار : زهير .

١٣- الإمامة تلك الحقيقة القرآنية ، الناشر : دار السيرة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ .

_ البيهقي : أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) .

١٤- شعب الإيمان ، تح : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .

_ التفتازاني : سعد الدين بن مسعود بن فخر الدين عمر بن عبدالله (ت ٧٩٢هـ) .

١٥- شرح المقاصد ، الناشر : الشريف الرضي ، افست ـ قم ، ط ١ ، ١٤٠٩ ق .

_ الجرجاني : أبو الحسن علي بن محمد بن علي الشريف (ت ٨١٦ هـ) .

١٦- التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ،١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

_ الجوهري : إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ) .

١٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، د ـ ط ، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

_ الحائري : علي الطهراني (ت ١٣٥٣ هـ) .

١٨- تفسير مقتنيات الدرر ، الناشر : الشيخ محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية ، د ـــ ط ، ١٣٣٧ ش .

_ حب الله : حيدر .

١٩- إضاءات في الفكر والدين والأجتماع ، الناشر : مؤسسة البحوث المعاصرة ، ط١ ، ١٤٣٤ هـ.

_ الحجار : عدي جواد علي .

٢٠- الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني ، الناشر : قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء ـ العراق ، ط١ ، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

_ الحجازي : إبراهيم .

٢١- آيات العقائد ، تح : رامين الكلمكانى ،الناشر : مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة ، ط١ ، ١٤٢٤ ق ـ ١٣٨٢ ش .

_ الحر العاملي : أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ١١٠٤ هـ) .

٢٢- أمل الأمل ، تح : السيد أحمد الحسيني ، الناشر : دار الكتاب الإسلامي ، د ـ ط ، ١٣٦٢ ش.

_ الحسن : طلال .

٢٣- مناهج تفسير القرآن ، من أبحاث السيد كمال الحيدري ، مكتبة عروج ، بغداد ـ العراق ، د ـ ط ، د ـ ت .

_ حسن : غالب .

٢٤- نظرية العلم في القرآن ومدخل جديد للتفسير ، الناشر : دار الهادي ـــ بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١م .

_ حسين : عماد علي عبد السميع .

٢٥- التيسير في أصول وأتجاهات التفسير ، الناشر : دار الإيمان ، الأسكندرية ، د ـ ط ، ٢٠٠٦ م.

_ الحكيم : رياض .

٢٦- علوم القرآن دروس منهجية ، دار الهلال ، قم ، ط ٥ ، ١٤٣٥ هـ ـ ٢٠١٤ م .

_ الحكيم : محمد باقر (ت ١٤٢٥ هـ).

٢٧- القصص القرآني ،الناشر:المركز العالمي للدراسات الإسلامية ، قم ـ ايران ، ط ٢، ١٣٧٤ هـ.

٢٨- علوم القرآن ، الناشر مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ، مطبعة النخيل ـ النجف الأشرف ، ط ٥ ، د ـ ت .

٢٩- تفسير سورة الحمد ، مجمع الفكر الإسلام ، شريعت – قم ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ.

_ الحلو: محمد علي (ت ١٤٤٠ هـ) .

٣٠- عقائد الإمامية برواية الصحاح الستة، الناشر: دار الكتب الاسلامي، ط١ ، ١٤٢١ هـ .

_ الحلي : العلامة جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن محمد بن المطهّر (ت ٧٢٦ هـ) .

٣١- ترتيب خلاصـــة الأقوال في معرفة أحوال الرجال ، تح : قســـم الحديث في مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ .

٣٢- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، تح : حسن زاده الآملي ، الناشر : مؤسسة نشر الإسلامي - قم ، ط ٧ ، ١٤١٧ هـ .

_ الحلي : المحقق أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد (ت ٦٧٦ هـ) .

٣٣- المسلك في أصول الدين ، تح : رضا الأستادي ، الناشر : مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد - ايران ، ط ٢ ، ١٤٢١هـ - ١٣٧٩ ش .

بن حنبل : أبو عبدالله أحمد بن محمد الشيباني الذهلي (ت ٢٤١ هـ) .

٣٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت ، د ـ ط ، د ـ ت .

_ حوي : سعيد (ت ١٤٠٩ هـ) .

٣٥- الأساس في التفسير ، الناشر : دار السلام ، مصر ـ القاهرة ، ط ٦ ، ١٤٢٤ هـ .

_ الحيدري : كمال .

٣٦- المنهج التفسيري ، الناشر : دار فراقد للطباعة والنشر ، قم ، ط٢ ،١٤٣١ ق .

٣٧- أصول التفسير والتأويل ، الناشر : دار فراقد للطباعه والنشر ، قم ، ط ٢ ، د ـ ت .

٣٨- الإعجاز بين النظرية والتطبيق ، تح : محمود نعمة جياشي، الناشر: دار فراقد ، قم ـ ايران ، ط ١، ١٤٢٦ هـ .

٣٩- العصـمة بحث تحليلي في ضـوء المنهج القرآنى ، تح : محمد قاضـى ، الناشـر : دار فراقد للطباعه و النشر ، قم ، ط ١ ، د ـ ت .

٤٠- المعاد رؤية قرآنية ، تح : رزق خليل عبد الأمير ، الناشـر : دار فراقد للطباعه و النشـر ، قم ، ط ١ ، د ـ ت .

٤١- دروس في علم الإمام ، تح : عبد الرضا أفتخاري ، الناشر : دار فراقد ، قم ـــ إيران ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ .

_ الخطيب : عبد الكريم .

٤٢- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، بيروت ، دار المعرفة ، د ـ ط ، ١٣٩٥ هـ .

_ الخميني : روح الله الموسوي (ت ١٩٨٩ م) .

٤٣- التوحيد والفطرة ، إعداد مركز الإمام الخميني الثقافي ، الناشـــر : الدار الإســـلامية ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م .

_ الخوئي ، أبو القاسم (ت ١٤١٣ هـ) .

٤٤ ـ رسالتان في البداء ، تح : محمد علي الحكيم ، د ـ ط ، د ـ ت .

٤٥- البيان في تفسير القرآن ، الناشر : دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط ٤ ، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

٤٦- مصباح الأصول ، الناشر : مكتبة الداوري ، قم ، ط٥ ، ١٤١٧هـ .

٤٧ ـ معجم رجال الحديث ، ط ٥ ، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م .

_ خياط : يوسف.

٤٨- معجم المصطلحات العلمية والفلسفية ، دار لسان العرب ، بيروت ، د ـ ط ، د ـ ت .

_ ابن داوود : تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي (ت ٦٤٧ هـ) .

٤٩- الرجال، تحقيق وتقديم : السيد محمد صادق آل بحر العلوم ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٩٢ هـ .

_ الذهبي : محمد حسين (ت ١٣٩٧ هـ) .

٥٠- التفسير والمفسرون، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د ـ ط ، د ـ ت .

_ الرازي : فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦ هـ) .

٥١- المطالب العالية من العلم الألهي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧ ق .

٥٢- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) أو (تفسير الرازي) ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠ هـ .

_ الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ).

٥٣- مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، لبنان ـ بيروت ، د ـ ط ، ١٩٨٧ م .

_ الراغب الأصفهاني : الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢ هـ) .

٥٤- المفردات في غريب القرآن ، الناشر : دفتر نشر الكتاب ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ .

_ الرضائي : محمد علي .

٥٥- مناهج التفسير واتجاهاته دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن ، تعريب قاسم البيضاني ، الناشر: مركز الحضارة لتنمية الفكرالإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ .

_ رضوان : عمر بن إبراهيم .

٥٦- أراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ، الناشر : دار طيبة ، عربستان ـــ الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .

_ الريشهري : محمد .

٥٧- موسوعة العقائد الإسلامية ، تح : مركز بحوث دار الحديث ، الناشر : دار الحديث للطباعة والنشر، ط ١ ، ١٤٢٥هـ - ١٣٨٣ ش .

_ الزبيدي : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق (ت ١٢٠٥ هـ) .

٥٨- تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

_ الزركشي : محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ).

٥٩- البرهان في علوم القرآن ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة – مصر ، د ـ ط ، ١٣٧٧ هـ .

_ الزنجاني : إبراهيم الموسوي النجفي .

٦٠- عقائد الإمامية الإثني عشرية ، الناشر : مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٣ ق .

_ السبحاني : جعفر .

٦١- أضواء على عقائد الشيعة الإمامية ،الناشر :مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، قم ، ط١، ١٤٢١ هـ .

٦٢- العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (ع) ، تح : جعفر الهادي ، الناشر : مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، د ـ ط ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٦٣- مفاهيم القرآن ، الناشر : مؤسسة الإمام الصادق ، قم ، ط ٤ ، ١٤٢١ق .

_ السبزواري : عبد الأعلى (ت١٤١٤هـ) .

٦٤- مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، الناشر : دفتر سماحه آيت الله العظمى السبزوارى ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ .

_ السبزواري : محمد النجفي (ت ١٤٠٩ هـ) .

٦٥- الجديد في تفسير القرآن المجيد ، الناشر : دار التعارف للمطبوعات ، لبنان ـــ بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ .

_ الستراوي : عبد الشهيد مهدي .

٦٦- القرآن نهج وحضارة ، الناشر : مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م .

_ أبن سعد : محمد بن مَنِيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ) .

٦٧- الطبقات الكبرى ، الناشر : دار صادر ، بيروت ، د ـ ط ، د ـ ت .

_ سعيد : جلال الدين.

٦٨- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، د ـ ط ، د ـ ت .

_ السند : محمد.

٦٩- تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم ، الناشر : مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، طهران ـ إيران ، ط ١ ، ١٤٣٤ هـ ق .

_ آل سيف : فوزي .

٧٠- رجال حول أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، الناشر : دار الصفوة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .

السيوري : جمال الدين أبو عبد الله المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد الحلي الأسدي (ت ٨٢٦ هـ) .

٧١- النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر ، تح : المقداد السيوري ، الناشر : دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط٢ ، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م .

_ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد أبن سابق الدين الخضيري (ت ٩١١ هـ) .

٧٢- الاتقان في علوم القرآن ، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ـ مصر ، د ـ ط ، ١٣٧٧ هـ .

_ شبر : عبدالله (ت ١٢٢٠ هـ) .

٧٣- حق اليقين في معرفة أصول الدين ، الناشر : أنوار الهدى ، قم ، ط ٢ ، ١٤٢٤ هـ .

_ الشريف الرضي : أبو الحسن محمّد الرضي بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦ هـ) .

٧٤- نهج البلاغة ، تح : صبحي الصالح ، الناشر : دار الكتاب اللبناني ، ط ١ ، ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .

_ الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي (ت ٤٣٦ هـ).

٧٥- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ، تح : إبراهيم محمد أبو الفضل ، الناشر : دار الفكر العربي ، القاهرة ـ مصر ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .

٧٦- رسائل الشريف المرتضى ، تح : السيد أحمد الحسيني ـــ السيد مهدي الرجائي ، الناشر : دار القرآن الكريم – قم ، د ـ ط ، ١٤٠٥ هـ .

_ الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ).

٧٧- الملل والنحل ، تح : محمد سيد كيلاني ، الناشر : دار المعرفة ، لبنان – بيروت .

_ الشهيد الأول : محمد بن مكي العاملي (ت ٧٨٦ هـ) .

٧٨- غاية المراد في شرح نكت الارشاد ، تح : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية : رضا المختاري ، علي أكبر زماني نژاد ، علي المختاري ، السيد أبو الحسن المطلبي ، الناشر : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، قم ، د ـ ط ، ١٤١٤هـ .

_ الشهيد الثاني : زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن جمال الدين بن تقي بن صالح الجبعي العاملي (ت ٩٦٥ هـ) .

٧٩- المقاصد العلية في شرح الرسالة الألفية ،تح :مركز الأبحاث والدراسات الاسلامية - محمد الحسون ـــ قسم احياء التراث الإسلامي ،الناشر : مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامى - مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ، ط ١ ، هـ ١٤٢٠ - ١٣٧٨ ش .

_ الشيرازي : محمد الحسيني (ت ١٤٢٢ هـ) .

٨٠- تقريب القرآن إلى الأذهان ، الناشر : دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، د ـ ت .

_ الشيرازي : ناصر مكارم (بمساعدة مجموعة من الفضلاء) .

٨١- نفحات القرآن طرُقُ معرفة الله أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، الناشر : مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، إيران ـ قم ، ط١ ، ١٤٢٦ هـ .

_ الشيرازي : ناصر مكارم .

٨٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـــ لبنان ، د ـــ ط ، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م .

٨٣- دروس في العقائد الإسلامية، الناشر: مدرسه امام على بن ابى طالب ع ، قم ، ط٣ ،١٣٨٥ش.

_ الصدر: محمد باقر (ت ١٤٠٠ هـ) .

٨٤- المدرسة الإسلامية ، الناشر : مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر ـــ قده ـــ ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ .

_ الصدوق : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) .

٨٥- التوحيد ، تح : هاشم حسينى طهراني ، الناشر : جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية ، قم ، ط١ ، د ـ ت .

٨٦- من لايحضره الفقيه ، تح : علي أكبر الغفاري ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ .

٨٧- عيون أخبار الرضـــا ، تقديم وتعليق : حســين الاعلمي ، منشـــورات الاعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م .

٨٨- الأمالي ، تح : قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة – قم ، الناشر : مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ، د ـ ط ، ١٤١٧ هـ .

_ الصغير : محمد حسين علي .

٨٩- المبادى العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، د ـ ط ، د ـ ت .

_ الطباطبائي : محمد حسين (ت١٤٠٢ هـ) .

٩٠- الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، د ـ ط ، د ـ ت .

٩١- القرآن في الإسلام ، تح : السيد أحمد الحسيني ، د ـ ط ، د ـ ت .

٩٢- الشيعة في الإسلام ، مركز بقية الله الأعظم للنشر والدراسات ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .

_ الطبرسي : ميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ) .

٩٣- خاتمة المستدرك ، تح : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، قم – ايران ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .

_ الطبرسي : أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ) .

٩٤- مجمع البيان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤١٥ه - ١٩٩٥ م .

٩٥- تفسير جوامع الجامع ، تح : مؤسسة النشر الإسلامي ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة ، قم ، د ـ ط ، ١٤٢١ هـ .

_ الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) .

٩٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تح : خليل الميس ـــ صدقي جميل العطار ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، د ـ ط ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥ م .

_ الطبسي : نجم الدين .

٩٧- الرجعة في أحاديث الفريقين ، د ـ ط ، د ـ ت .

_الطوسي : الشيخ أبو جعفر محمد أبن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) .

٩٨- الفهرست ، تح : جواد القيومي ، الناشر مؤسسة نشر الفقاهة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .

٩٩- التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب العاملي، دار أحياء التراث العربي، د ـ ط ، د ـ ت .

١٠٠- الأبواب (رجال الطوسي) ، تح : جواد القيومي الإصفهاني ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .

١٠١- اختيار معرفة الرجال(رجال الكشي) ، تح : السيد مهدي الرجائي ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، قم ، ١٤٠٤ هـ .

_ العاملي : حسن مكي .

١٠٢- بداية المعرفة منهجية حديثة في علم الكلام ، الناشر : مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية ، مطبعة مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م .

_ العاملي: جعفر مرتضى (ت ١٤٤١ هـ) .

١٠٣- سلمان الفارسي في مواجهة التحدي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ.

_ عبد المنعم : محمود عبد الرحمن .

١٠٤- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، مصر، د ـ ط ، د ـ ت .

_ العدوي : محمد خير محمود .

١٠٥- معالم القصة في القرآن الكريم ، دار العدوي ، الأردن ، د ـ ط ، ٢٠٠٢ م .

_ العسكري: مرتضى (ت ١٤٢٨ هـ).

١٠٦- عقائد الإسلام من القرآن الكريم ،الناشر: كلية اصول الدين، ط٥، ١٤٢٦ هـ .

_ العميدي : ثامر .

١٠٧- حياة الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ،الناشر : دار الحديث ، قم ، ط ١ ، د ـ ت .

_ العيسوي : عبد الرحمن .

١٠٨- علم النفس العام ، دار الفجالة ، مصر ، د ـ ط ، ١٩٣٦ م .

_ الفارابي : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) .

١٠٩- الصحاح ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ـــــ لبنان ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

_ أبن فارس : أبي الحسين أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) .

١١٠- معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر ، د ـ ط ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

_ الفراهيدي : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) .

١١١- العين ، تح : د. مهدي المخزوومي ـ د . ابراهيم السامرائي ، الناشر : مؤسسة دار الهجرة ، مطبعة الصدر ، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ .

_ فضل الله : محمد حسين (ت ١٤٣١ هـ) .

١١٢- من وحي القرآن ، الناشر : دار الملاك ، لبنان ـ بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ . ق .

_ الفضلي : عبد الهادي (ت ١٤٣٤ هـ).

١١٣- أصول البحث ، مؤسسة دار الكتاب العربي ، قم ـ ستاره ، ط ٤ ، ١٤٣٤ هـ ـ ٢٠١٣ م .

١١٤- مذهب الإمامية بحث في النشأة وأصول العقيدة والتشريع ، مركز الغدير للدراسات ، ط ١ ، د ـ ت .

_ آل فقيه : محمد جواد .

١١٥- أبو ذر الغفاري ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان .

١١٦- عمار بن ياسر ، مؤسسة دار الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠ هـ .

١١٧- المقداد بن الأسود الكندي، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٤١٢ هـ .

_ فياض :عبد الله .

١١٨- تاريخ الإمامية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ـ العراق ، ط ١ ، ١٩٦٧ م .

_ الفيروز آبادي : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧ هـ) .

١١٩- القاموس المحيط ، تح : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بأشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ، ط ٨ ، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م .

١٢٠- بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الناشر : جمهورية مصر العربية ، وزارة الاوقاف ، المجلس الاعلى للشئون الإسلامية ـ مصر – القاهره ، ط ٣ ، ١٤١٦هـ .

_ الفيض الكاشاني : محمد محسن بن مرتضى بن محمود (ت ١٠٩١ هـ).

١٢١- التفسير الصافي ، تح : العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، الناشر : مكتبة الصدر ، طهران ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ ـ ١٣٧٤ ش .

_ الفيومي : أحمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠هـ) .

١٢٢- المصـــباح المنير في غريب الشـــرح الكبير للرافعي ، تح : د . عبد العظيم الشـــناوي ، دار المعارف ، ط ٢ ، د ـ ت .

_ القرطبي : أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي (ت ٦٧١ هـ) .

١٢٣ـــــ الجامع لأحكام القرآن ، تح : أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشـعب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٧٢هـ .

_ القطان : مناع .

١٢٤- مباحث في علوم القرآن ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠ م

_ القمي : عباس (ت ١٣٥٩ هـ) .

١٢٥- مفاتيح الجنان ، تح : محمد رضـا النوري النجفي ، الناشر: مكتبة العزيزي ، قم ، د ـــــ ط ، ١٣٨٥ ش ـ ٢٠٠٦ م

_ كاشف الغطاء : محمد حسين (ت ١٣٧٣هـ).

١٢٦- أصل الشيعة وأصولها ، تح : علاء آل جعفر، الناشر: مؤسسة الإمام علي (ع) ، د ـــــ ط ، ١٤١٥ هـ .

_ كاظم : محمد عبد الخالق .

١٢٧- الخلود في جهنم ، الناشـــر: المركز العالمي للدّراســـات الإســـلامية ، مطبعة اميران ، ط١ ، ١٤٢٦ هـ .

_ الكربلائي : جواد بن عباس .

١٢٨- الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة ، تح : محسن الأسدي ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م .

_ الكلبايكاني : علي الرباني.

١٢٩- ماهو علم الكلام ، الناشـر : مؤسـسـة بوسـتان كتاب (مركز الطباعة والنشـر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي) ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٢٧ ق ـ ١٣٨٥ ش .

_ الكليني : محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩ هـ) .

١٣٠- الكافي، تح : علي أكبرالغفاري ،الناشر: دا الكتب الإسلامية ، طهران ، ط ٤ ، ١٣٦٥ ش .

_ لالاند : إندريه .

١٣١- موســـوعة لالاند الفلســـفية ، تعريب : خليل أحمد خليل ، منشـــورات عويدات للمطبوعات الجامعية في فرنسا ، باريس ، ط ٢ ، ٢٠٠١ م

_ لويس معلوف.

١٣٢- المنجد لغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت ـ لبنان ، ط ٢٦ ، ١٩٧٣ م .

_ أبو ليلة : محمد محمد .

١٣٣- القرآن الكريم من المنظور الأستشراقي ، الناشر: دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م .

_ المازندراني : علي أكبر السيفي .

١٣٤- دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ .

١٣٥- البراهين الواضحة في عقائد الإمامية على ضوء العقل و الكتاب و السنة ،الناشر : جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ـ ايران ، ط١ ، د ـ ت .

_ المازندراني : مولى محمد صالح (ت ١٠٨١هـ) .

١٣٦- شرح أصول الكافي ، تحقيق مع تعليقات : الميرزا أبو الحسن الشعراني ، ضبط وتصحيح : علي عاشور ، الناشر : دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠ .

_ المجلسي : محمد باقر (ت١١١٠ هـ) .

١٣٧- بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار ، مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان ، ط٢، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .

١٣٨- مجموعة مؤلفين ، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الأجتماعية ، الأشراف العام : بوحوش عمار ، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الأستراتيجية والأقتصادية ، برلين ، ط ١ ، ٢٠١٩ م .

_ المدرسي : محمد تقي .

١٣٩- من هدى القرآن ، الناشر : دار القارىء ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٩ هـ .

١٤٠- أصول العقائد وأحكام التقليد والبلوغ ، الناشر : انتشارات محبان الحسين (ع) ، قم ، ط ٤ ، ١٤٢٨ هـ .

_ المرتضى : أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي (ت ٤٣٦ هـ) .

١٤١- رسائل الشريف المرتضى ، تح : السيد أحمد الحسيني ـــ السيد مهدي الرجائي ، الناشر : دار القرآن الكريم ، قم ، د ـ ط ، ١٤٠٥ هـ .

_مطهري : مرتضى (ت ١٣٩٩هـ) .

١٤٢- الفطرة ، ترجمة : جعفر صادق الخليلي ، مؤسسة البعثة ، بيروت ــ لبنان ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .

_ المظفر : محمد رضا (ت ١٣٨٣ هـ) .

١٤٣- عقائد الإمامية ، تح : الدكتور حامد حفني داود ، الناشر : انتشارات أنصاريان - قم – ايران .

_ أبن معصوم : علي صدر الدين المدني (المتوفي في القرن الحادي عشر) .

١٤٤- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، الناشر : المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ، د ـ ط ، د ـ ت .

١٤٥- الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول ، تح : مؤسسه آل البيت لإحياء التراث (شعبه مشهد) ، الناشر : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث – مشهد ، د ـــ ط ، ١٣٨٤ ش .

_مغنية : محمد جواد (ت ١٤٠٠ هـ) .

١٤٦- الإسلام والعقل ، الناشر : دار و مكتبة الهلال ، لبنان ـ بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ .

١٤٧- التفسير الكاشف ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، ط ٣ ، ١٩٨١م .

_ المفيد : محمد بن محمد النعمان (ت ٤١٣ هـ) .

١٤٨- الفصول المختارة ، تح : السيد علي مير شريفي ، دار المفيد للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٤ – ١٩٩٣ م .

١٤٩- أوائل المقالات ، تح : الشيخ إبراهيم الأنصاري ، الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م .

١٥٠- تصحيح اعتقادات الإمامية ، تح : حسين درگاهي ، الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م .

١٥١- النكت الإعتقادية ، تح : رضا المختاري ،الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣ م .

_ الملكي : محمد باقر .

١٥٢- توحيد الإمامية ، تح : محمد البياباني الاسكوئي ـــ علي الملكي الميانجي ، الناشر : وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - مؤسسة الطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .

_ أبن منظور : محمد بن مكرم الأفريقي (ت ٧١١هـ) .

١٥٣- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، د ـ ط ، ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦م .

_ الميلاني : محمد هادي (ت ١٣٩٥ هـ) .

١٥٤- تفسير سورتي الجمعه والتغابن، تح: علي حسيني ميلانى، الناشر: الحقائق، قم، ط ٢، د ـ ت .

_ الناكوري : أبو الفيض (ت ١٠٠٤ هـ) .

١٥٥- سواطع الالهام في تفسير كلام الملك العلام ، الناشر : دار المنار ، ايران ـــ قم ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .

_ النبهان : محمد فاروق .

١٥٦- المدخل إلى علوم القرآن الكريم ، الناشر : دار عالم القرآن ، حلب ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م .

_النجاشي : أبوالعباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي البغدادي (ت ٤٥٠هـ) .

١٥٧- فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ط ٥ ، ١٤١٦ هـ .

_ النشار : علي سامي .

١٥٨- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٩ ، د ـ ت .

_ النوبختي : أبومحمد الحسن بن موسى الأشعري (ت ٣١٠ هـ) .

١٥٩- فرق الشيعة ، تح : عبد المنعم الحفني ، ط ١ ، دار الرشاد ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢ م .

_ النيسابوري : أبو الحسن علي بن احمد بن محمد أبن علي الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) .

١٦٠- أسباب نزول الآيات ، الناشر : مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ـ ط ، ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .

_ الهندي : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥هـ) .

١٦١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تح: بكري حياني ـ الشيخ صفوة السقا ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ، د ـ ط ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩ م .

_ بن ياسين : حكمت بن بشير .

١٦٢- الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ، الناشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة ، المدينة النبوية ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م .

_ آل ياسين: محمد حسن .

١٦٣- اصول الدين ، الناشر: مؤسسه آل ياسين ـ قم ، ط ١، ١٤١٣ ق .

_ اليزدي : محمد تقي مصباح .

١٦٤- نظرة حول دروس العقيدة الإسلامية ، تح : عبد الجواد الإبراهيمي ، الناشر : مؤسسة أنصاريان ، قم ـ إيران ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .

الرسائل والأطاريح :

_ الشميلاوي : ضياء عبد الرحمن عاتي .

١- مصادر التفسير ومناهجه عند الإمامية في العصر الحديث ، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ أبن رشد ـ في جامعة بغداد ، ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م .

المجلات والدوريات :

_ حسن : حسين حميد .

١- القصة القرآنية وأثرها في ديوان الخلفاء ، مجلة آداب الكوفة ، العراق ، النجف الأشرف ، المجلد الأول ، العدد السادس والخمسون ، ٢٠٢٣ م .

_ آل دوخي : يحيى .

٢- المنهج القرآني في تأصيل العقيدة دراسة تحليلية تطبيقية ، الدليل ، العراق ـــ كربلاء المقدسة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، ٢٠١٧ م .

_ معرفة : محمد هادي (ت ١٤٢٧ هـ) .

٣- كاربرد حديث در (أستخدام الحديث في التفسير) ، المجلة المتخصصة للجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، المجلد الأول، لعام ٢٠١٨ .

_ الموسوي : رزاق حسين .

٤- نشأة علم الكلام أسبابه ودوافعه ، مجلة كلية الفقه ، العراق ـ النجف الأشرف ، العدد الرابع عشر ، السنة الحادية عشر ، ٢٠١١ .

The study aims to explain the Qur'anic approaches to proving the Islamic doctrine as stated by the Imami Shiite interpreters, such as the innate and rational approach and other approaches. The research also sought to reveal the most important interpretive approaches that the Imami interpreters used to prove the doctrine in their interpretive books, such as the transmissional and rational approach.

The study was able - according to human capacity - to show the real and important role of the Qur'anic and narrative texts in proving beliefs, and this is in contrast to the prevailing approach among theologians. When you review their words, you will find that they rely entirely on reason in establishing the doctrinal system, and therefore, the researcher tries to research with the tools he possessed to highlight the impact of the Quranic and narrative texts and their explanation in proving the correct and true beliefs

The problem of the research centered around the fact that the Imami theologians have limited the way to access to the doctrine through rational evidence only. Is it possible to reach it through the narrational evidence represented by the Holy Qur'an and the Noble Prophet's Sunnah? And prove the opposite of what they found? Or it is not possible.

The research used; Analytical and descriptive methodologies in .answering the research problem

The most prominent key points covered in the research were as follows:

1- Qur'anic approaches and their impact on proving the doctrine.

2- The emergence of interpretation and doctrine sciences, the approach of Imami interpreters, and their importance in proving the doctrine.

3 - Proving the doctrine in the Holy Qur'an according to Imami interpreters.

The most prominent findings of the research are:

1- The Holy Qur'an emploies a number of methods to prove doctrine, such as the innate, rational, and anecdotal method.

2 - Imami interpreters tries to prove the Islamic doctrine through traditional and rational interpretive approaches.

Keywords : method, the Qur'an, proof, doctrine, interpretation, Imamiyyah.

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Kerbala /Faculty of Islamic Sciences

Department of Quranic Studies and Jurisprudence

The Qur'anic approach in proving the doctrine according to Imami scholars - presentation and analysis

A Thesis Submitted to the Council of the Faculty of Islamic Sciences, University of Kerbala, in Partial Fulfilment of the Requirements for the Degree of Master of Sharia and Islamic sciences

by

Haider Hussein Abbas Jaber

Supervised by

Asst. Prof. Asma'a Qasim Muhammad, (PhD)

January/ 2024 **Jumada Al-Thani/1445**